كلمة العدد

الأرشيفات الروسية وإطلالة على المجهول

بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

سوف يطالع القارئ على صفحات هذا العدد عدداً كبيراً من الأبحاث بقلم باحثين روس فيما يعتبر ظاهرة جديدة لم يشهدها البحث التاريخي العربي من قبل . هذه الظاهرة جاءت بعد سقوط الستار الحديدي وتفكك الاتحاد السوفييتي وهي في الوقت الذي تكشف فيه عن عدد من الوثائق من أرشيفات سان بطرس برج السابق إلا أنها تقدم للباحث في التاريخ مادة خصبة للغاية تحدد كيف كانت القيادة الروسية تفكر تجاه الشرق الأوسط والخليج كما تقدم للذين احتاروا طويلاً أجوبة لأسئلة كانت ملحة حول مواقف الاتحاد السوفييتي السابق من بعض قضايا المنطقة .

هذا الاتجاه الجديد يفتح آفاقاً عريضة أمام الباحثين للإطلال على أرشيفات كانت من قبل في عداد المجهول وذلك ليقدموا لنا الوجه الآخر للصورة . فقد كان الاتحاد السوفييتي قوة عظمى لما يقارب القرن وكانت له مواقف واضحة أحياناً ومحيرة في أغلب الأحايين وكان قطباً موجوداً أثناء

الصراعات التي شهدتها المنطقة بين القوى المحلية والقوى الأجنبية . . وكان الاتحاد السوفييتي سواء في العهد الإمبراطوري أو العهد الثوري يحلم بموطئ قدم في المنطقة كما كان يحلم بالوصول إلى المياه الدافئة . . فكيف كانت سياسته لتحقيق ذلك، ولماذا تردد في مواجهة بريطانيا وغيرها . . وكيف فشل بعد اعتناقه النظرية الماركسية في أن يوفق بينها وبين الأساس الديني العميق الذي يعتبر من المسلمات بين شعوب المنطقة .

إن العدد القليل من الوثائق التي اعتمدت عليها الأبحاث المطروحة في هذا العدد يقدم أشياء تدعو للدهشة . . فهي تكشف لنا عن اهتمام كبير منذ أيام روسيا القيصرية بالمنطقة، كما تكشف عن كثير من المحاولات لجمع بعض المعلومات عن شعوب الخليج والجزيرة العربية، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أن بعض الموفدين الروس الذين حاولوا ذلك لم يستطيعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه المبشرون والمستشرقون الإنجليز . حقيقة سقط بعض الموفدين الإنجليز في بعض الأخطاء . . ولكن الأخطاء التي وقع فيها الموفدون الروس كانت أفدح .

وعلى الرغم مما أشارت إليه بعض الوثائق من أن بعض السفن الروسية التي زارت المنطقة قد قوبلت بترحاب على كل المستويات، إلا أن الروس لم يحاولوا الاستفادة من ذلك واكتفوا بالنظر إلى المنطقة من بعيد وبثلاث أو أربع سفن ضمن خط تجاري بين البحر الأسود وبعض موانئ المنطقة في وقت كان يمكن فيه أن تتسع هذه العلاقة وأن تحظى المنتجات الروسية بسوق أوسع وأعرض . . بعض الوثائق تشير إلى ما يقوم في المنطقة من تمسك شديد بالعقائد والتقاليد، بل إن بعض الوثائق يشيد بهذه التقاليد ويعرب عن الإعجاب بها وهذا يطرح سؤالاً هو لماذا أصر الاتحاد السوفييتي السابق على أن تتخذ سياسة الكومنترن موقفاً مادياً صلباً مع أن الكومنترن أصلاً كان يتعامل مع شعوب خارج نطاق الاتحاد السوفييتي ؟ ولماذا فضل الاتحاد السوفييتي الاعتماد على بعض العناصر المسيسة من الشباب لمحاولة نشر الفكر الشيوعي بدل أن يعلن سياسة واضحة صريحة تتفادى الصدام مع مشاعر شعوب المنطقة وهو الأمر الذي استغلته القوى الاستعمارية استغلالاً جيداً للإطاحة بأي تواجد روسي في المنطقة .

يقولون أن السياسة لا قلب لها ولا ضمير . . ولكن السياسة الروسية كما يظهر فيما كشف عنه من بعض الوثائق رغم أنها تعتمد على الفكر المادي الماركسي . . إلا أنها مارست العبث بمشاعر الفقر والعدالة . . وهي أمور كانت أبعد ما تكون عن فكرها ونظريتها، وذلك في محاولة لاستقطاب مشاعر بعض الشباب . . وكانت النتيجة هي الفشل الذريع بعد تفكك الاتحاد السوفييتي . أصبحت هناك اليوم دول الحزام الجنوبي وهي دول مشاعرها الإسلامية عميقة للغاية كما أنها تسعى للتقرب من العالم العربي ودعم الروابط التي تربط بينها وبينه .

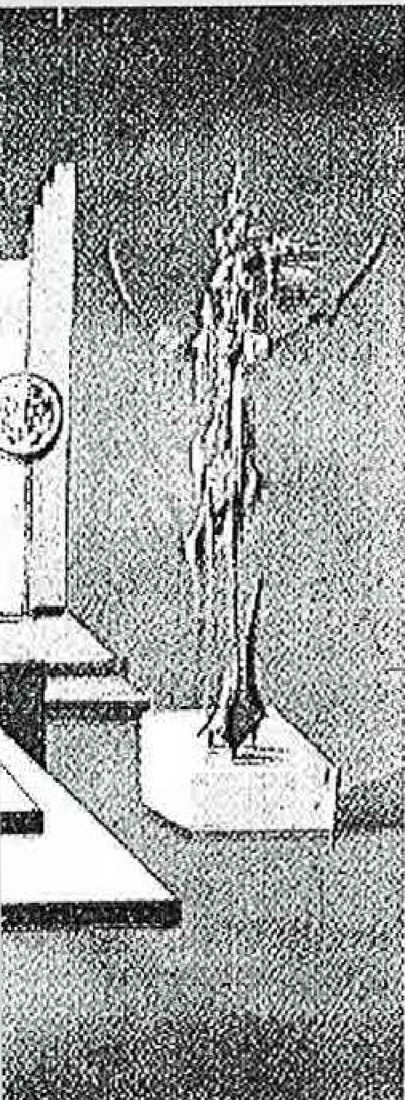
والأرشيفات الروسية تحتاج اليوم من الباحثين إلى إطلالة أكبر وأشمل وأعرض لمحاولة الكشف عن مسارات تفكير السياسة الروسية . . وهي بالطبع شكلت بعض الأفكار لدى المواطنين في روسيا وفي الجمهوريات الجديدة حتى يمكن تصحيح بعض الأغلاط، وهي لاشك كثيرة كما قلت، نتيجة تردد المبعوثين الروس في التغلغل إلى أعماق مجتمع البادية .

أعلم أن المهمة شاقة، فليس من السهولة فتح كل الأبواب مرة واحدة وقد ظلت مغلقة سنين طويلة . . ولكن هناك الآن محاولة لفتح هذه الأبواب . . وهناك أعداد متزايدة من الأساتذة الروس، سواء في الأرشيفات أو في جامعة موسكو، لديهم الرغبة الأكيدة في التعاون مع الباحثين العرب للإفادة والاستفادة . . وهي فرصة لتجاوز عائق اللغة الذي قد يواجه بعض الباحثين .

نحن لا ندعي أن ما قدمناه في هذا العـدد هو نهاية المطاف . . لكنه بداية . . وهو – في اعتقادي – بداية جيدة تفتح الباب لمزيد من الاهتمام بهذه الأرشيفات والتنقيب فيها عما يتعلق بالمنطقة . . وخاصة في العصر الذي تعرضت فيه لضغوط القوى الأجنبية وللعديد من الصراعات التي شكلت الخريطة السياسية بها .

والله ولي التوفيق .

عبد الله بن خالد آل خليفة

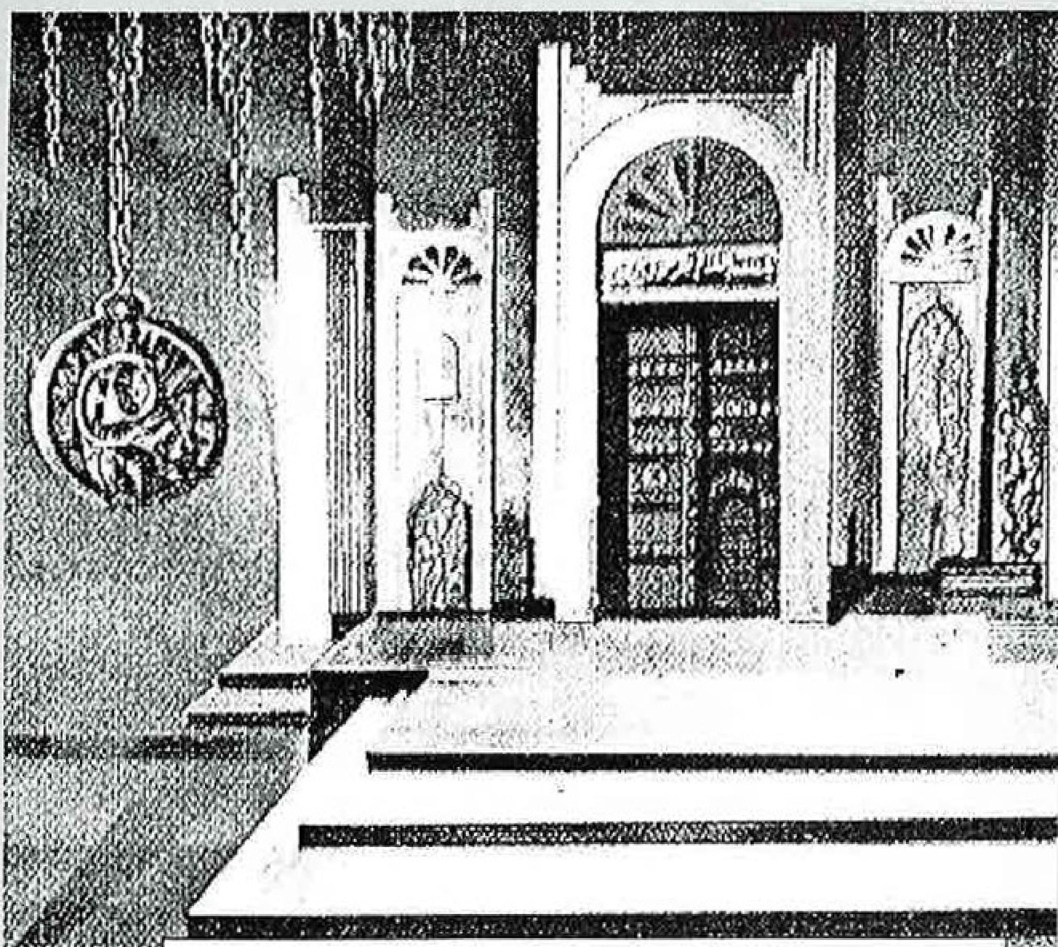


مقومات الحياة الثقافية في البحرين

ما بين الحربين العالميتين

١٩١٨-١٩٣٩م

بقلم: محمد حمزة حسين و الدكتور نمير طه ياسين



ساهمت العديد من العوامل في بناء وتكوين الحياة الثقافية في البحرين في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩م، والتي ساعدت على استمرار هذه الحياة إلى فترات طويلة لاحقة، وتأتي هذه الدراسة لتتناول أبرز النقاط التي أثرت في ظهور الحياة الثقافية للبحرين في تلك الفترة . ويمكن تقسيم الدراسة إلى مدخل تاريخي ومبحثين هما عوامل نمو الحركة الثقافية في البحرين، وأسس الحياة الثقافية فيها .

* مدخل تاريخي

تأثرت البحرين بمظاهر الحياة الثقافية الإسلامية، إذ كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة العربية الإسلامية في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث دخلت البحرين سلماً في الإسلام بعد وصول رسالة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى سكانها والتي كان يحملها العلاء بن الحضرمي الذي أصبح أول والٍ عين عليها[١] واستمرت الجزيرة تعرف باسم أوال طيلة العصور الإسلامية حتى العصور الحديثة، ومنذ القرن الرابع الميلادي ولغاية القرن السادس عشر أطلق أسم البحرين على جميع المناطق الواقعة بين الكويت وقطر بما في ذلك الجزر الواقعة أمامها[٢] حتى زمن الخليفة المكتفي (٩٠٢-٩٠٨م) أبان الدولة العباسية وظهور القرامطة الذين أسسوا دولتهم في البحرين عام ٩٠٣م[٣] وانتهى حكمهم على يد العيونيين، وهم من العرب الذين ينتمون إلى قبيلة وائل التي كانت تقيم في الإحساء، وحكموا في البحرين إضافة إلى الإحساء والقطيف فترة طويلة من الزمن تقارب ثلاثة قرون، وبعد أن ضعفت دولتهم استطاع الزنجيون بقيادة أبو بكر سعد أن يتغلبوا عليهم ويضموا جزر البحرين إلى مملكتهم، وهؤلاء الزنجيون هم من الطبقة الثالثة لملوك فارس[٤].

ثم جاء المد المغولي بزعامة جنكيزخان الذي اجتاح المنطقة حيث احتل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م ، وقد وقعت منطقة الخليج العربي وبضمنها البحرين تحت نفوذه ولكن بعد انحسار المد المغولي تمكنت إمارة هرمز[٥] العربية من تحرير شواطئ الخليج العربي من السيطرة الأجنبية، فأصبحت البحرين وسواحل عمان وحتى السواحل الشرقية للخليج العربي تشكل جزءاً من هذه الدولة[٦] . وفي نهاية القرن الخامس عشر استقل بالبحرين (الشيخ أجود بن زامل الجبري)، وهو من بقايا الجبور الذين كانوا يحكمون الإحساء[٧]، فاستطاع أن يسيطر على جزر البحرين وبعض السواحل المجاورة لها مستغلاً الفرصة التي سنحت له حينذاك .

وعندما بدأ الغزو البرتغالي[٨] للخليج العربي في مستهل القرن السادس عشر خضعت البحرين لنفوذهم كباقي إمارات الخليج العربي وذلك بعد معارك ضارية بين المستعمرين

وأهالي المنطقة والتي تكبد فيها الغزاة خسائر فادحة . وبالرغم من الفترة الطويلة التي بسط فيها البرتغاليون سيطرتهم على الخليج العربي والتي تقارب القرن والنصف (١٥٠٧ -١٦٥٠م)[٩]، إلا أن المدة التي حكموا فيها البحرين لا تزيد على أربعين عاماً، تعرض فيها حكمهم إلى عدة ثورات عربية كانت تؤدي بهم إلى الانسحاب من الجزيرة، ولكنهم سرعان ما يجمعون شتاتهم ويبسطون سيطرتهم عليها مرة أخرى . وقد استمر ذلك الصراع بين العرب والمستعمرين البرتغال طيلة تلك الفترة حتى تم طردهم نهائياً من البحرين عام ١٦٠٢م[١٠]، وبعدها عادت الجزيرة إلى السيطرة الفارسية التي ظلت قائمة حتى عام ١٧٨٣م والتي في أغلب الأحيان كان حكمهم اسمياً أكثر منه فعلياً . وفي أواخر حكم الدولة الصفوية استقل الشيخ جبارة الهولي بحكم البحرين عندما تهيأت له الظروف، فأعلن انفصاله عن بلاد فارس وظل يحكم البحرين إلى أن قام نادر شاه الافشاري بإعادتها إلى السيطرة الفارسية مرة أخرى في عام ١٧٣٧م[١١]، كما تمكن عرب الحوله من طرد قوات نادر شاه الغازية، ولكن حكمهم لها لم يدم طويلاً بسبب الخلافات التي كانت قائمة بينهم آنذاك والتي عجلت في نهايتهم في عام ١٧٥٥م، عندما خرجت قوة فارسية كبيرة من موانئ بوشهر وبندريق، استولت على جزر البحرين ونصبت عليها حاكماً عربياً من قبل الفرس وهو الشيخ (ناصر آل مذكور) الذي ظل يحكم الجزيرة باسمهم ما يقارب ثلاثين عاماً إلى أن أقصى منها نهائياً في عام ١٧٨٣م من قبل آل خليفة الذين كانوا بزعامة الشيخ أحمد الفاتح[١٢] .

من خلال ما تقدم، يلاحظ تنامي الشعور الوطني للشعب البحريني تجاه وطنهم بتصديهم للأطماع الأجنبية في أراضيهم وبلورة الوعي السياسي والثقافي لديهم .

المبحث الأول : عوامل نمو الحياة الثقافية في البحرين

أ – الإرساليات التبشيرية

تعرضت منطقة الخليج العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر لنشاط تبشيري من الإرساليات الغربية، وبشكل خاص الأمريكية[١٣]، [١٤] وكان الاهتمام بالبحرين لموقعها

في منتصف الخليج العربي أي بين شط العرب في الشمال ومسقط في الجنوب، وأن معظم المعلومات التي تغطي دول الخليج العربي كانت ترد من البحرين[١٥] .

تركز نشاط تلك البعثات في الجانب الصحي والتعليمي، ففي عام ١٨٩٢م أنشئ مستشفى في البحرين من قبل الإرسالية الأمريكية التبشيرية[١٦] ، وكان صاموئيل زويمر[١٧] من أبرز المبشرين الغربيين في المنطقة[١٨] ، كان زومير وزوجته من المؤسسين للخدمة الطبية في البحرين، التابعة لبعثة التبشير في الجزيرة العربية والتي تطورت على مدى قرن من الزمــان لتصبح جمعية مستشفى الإرســالية الأمريكية وسميت (Arabian Mission)، ثم أطلق عليها مستشفى البعثة التبشيرية الأمريكية (American Mission Hospital)[١٩] .

على الرغم من وجود طابع الصفة الاستعمارية والأهداف المناهضة للإسلام في أنشطة هذه الإرساليات التبشيرية فإنها ساهمت، دون شك، في تقديم خدمات صحية وبناء مستوصفات وزادت من احتكاك السكان وتعرفهم على جوانب من الفكر الغربي .

أما في مجال التعليم، فقد تضمن منهج التعليم (اللغة الإنكليزية واللغة العربية والكتاب المقدس والحساب)[٢٠] إذ تأسست أول مدرسة للتعليم بالأسلوب الحديث عام ١٨٩٢م، وافتتحت السيدة زويمر مدرسة للبنات في المنامة ولم تكن تستوعب عدداً كبيرا من الطالبات، وكان عددهن لا يزيد عن اثنتي عشرة في الصف، وهذه تعد المدرسة الأولى من نوعها في الخليج[٢١] .

وقد نشطت حركة التبشير في الخليج العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، وكان الهدف هو : اختراق الصحراء العربية (العالم المجهول) ومحاولة نشر المسيحية، أي اســترداد شــبه الجزيرة العربية وإنشاء كنيسة المسيح الكبرى[٢٢] .

ولكن تلك البعثات فشلت في تحقيق أهدافها والتأثير في عدد من المسلمين بالانحراف عن العقيدة الإسلامية[٢٣] بالرغم من الجهود التي بذلوها في سبيل دعوتهم وخلط التعليم بالتبشير . وقد جاءت تلك الجهود بالاتجاه المعاكس فقد تمكن عدد من التلاميذ من التعلم في هذه المدارس وكانوا يقفون موقف المدافع الصلب عن معتقدهم أمام المبشرين[٢٤] ، وقد علق الأديب أمين الريحاني[٢٥] عام ١٩٢٢م على عمل البعثات بقوله :

(لو أن البعثة أوقفت دعوتها إلى المسيحية واقتصر عملها على الخدمات التعليمية والطبية لكان نجاحها أكبر بكثير، إذ أن المسلمين بعامة والعرب بخاصة متعلقون جداً بدينهم ولن يقبلوا عنه بديلاً)[٢٦] .

ب- تأثير المفكرين العرب

كانت منطقة الخليج العربي بعيدة نوعاً ما عن التيارات الفكرية والثقافية العربية، ويرجع السبب في ذلك إلى طبيعة الحياة القاسية التي كان يعيشها السكان في ظل عادات المجتمع القبلي حتى توافد على المنطقة رجالات الفكر والثقافة والأدب من الأقطار العربية، فتأثر الشباب المثقفون بهؤلاء المفكرين، وساهمت عوامل متعددة في وصول إنجاز المفكرين العرب إلى الشباب المثقف في الخليج العربي، فكانت الصحافة العربية هي الرافد الأول لمصادر الثقافة الخليجية كالأهرام والمقتطف والأخبار من مصر، والاستقلال والناس والبلاد من العراق، وأخرى من لبنان وسوريا، مما عزز نمو الوعي السياسي والثقافي قبيل الحرب العالمية الثانية[٢٧] .

ولعبت الأفكار والحوارات التي تنقل وتدار بين التجار القادمين من بومباي مع الشباب في الخليج العربي عامة والبحرين خاصة في قضايا الإصلاح وتغيير الواقع، وتشجيع السكان على التعليم ونبذ الجهل، ومتابعة حركة الأدب والسياسة في الدول العربية، مثل مصر والعراق والشام[٢٨] .

ففي عام ١٩٢٢م قام الأديب اللبناني أمين الريحاني[٢٩] بزيارته لشبه الجزيرة العربية ولملوكها وحكامها، ونتج عن تلك الرحلة ظهور مؤلفات بارزة نشرها باللغة العربية واللغة الإنكليزية في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين في بيروت وهي (ملوك العرب) و (تاريخ نجد الحديث) و (قلب العراق) وأعيد نشرها فيما بعد . وترتب على هذه الزيارات تعريف كبير، للعالم الأوربي والأمريكي، بالدول العربية وتاريخها، وقال الريحاني عن البحرين : "إن في البحرين نهضة ثقافية تقارن بنهضة إخواننا في الكويت"[٣٠] .

وزار البحرين بعد ذلك عدد من المثقفين العرب، أمثـال الشاعر الكويتي خالد الفرج . وكانت البحرين على صلة بكل الأحداث الأدبية في البلاد العربية، عن طريق الصحف والمجلات، مثل الرسالة والآداب والأديب والعلـوم مما يصدر في مصـر ولبنـان والعراق[٣١] .

كرمت البحرين في عام ١٩٢٧م الشاعر الكبير أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) (ولد في القاهرة، درس في مدرسة الحقوق، لقب أمير الشعراء، له ديوان الشوقيات) في حفل تكريمي أقامه الأدباء العرب في القاهرة في ١٩ نيسان، حيث قدم النادي الأدبي هدية تبرع بها الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، كما أقام النادي الأدبي حفلات تكريمية لبعض المفكرين العرب الذين زاروا البحرين في الحقبة بين ١٩٢٣-١٩٢٥م، كالريحاني والشنقيطي والثعالبي وأمثالهم، وكانت هذه الحفلات تتحول إلى مناسبات سياسية[٣٢] .

لقد انفتح المجتمع البحريني بعد الحرب العالمية الأولى على أشتات من مصادر الثقافة والفن، فخرجت من محيط الخليج العربي إلى أجواء عربية أخرى أثرت على المعركة الأدبية الناشئة، فكانت أشعار الرصافي وعبد المحسن الكاظمي تنقل من بغداد إلى المنامة، وكانت كتب الأمام محمد عبده ومقالات المنفلوطي وأشعار حافظ إبراهيم وأحمد شوقي تتردد في مدن البحرين، وسرعان ما انتشرت المطبوعات على اختلاف أنواعها، مثل المقتطف والاستقلال والبلاد من مصر والعراق[٣٣] .

تابع المثقفون الخليجيون الأحداث والتطورات التي شهدها العالم العربي قبيل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥م، مما عزز نمو الوعي السياسي والثقافي في تلك الفترة، وظهرت دعوات خليجية للارتباط بقضايا العرب المصيرية، مثل القضية الفلسطينية والثورات العربية في العراق وسوريا ولبنان ومراكش والسماح للعرب بزيارة الخليج العربي والتفاعل مع السكان فيه[٣٤] .

والحركة الوطنية في البحرين والتي نشأت بصورة مبكرة كان قادتها من المثقفين، أما جماهيرها فهم من الطلبة والمثقفين الذين تأثروا بعوامل التعليم الحديث وخاصة من المدرسين العرب الوافدين، ومن طلاب البعثات بعد عودتهم والذين شكلوا نواة الحركة

الوطنية البحرينية، أما الطبقة العاملة فقد تأخر لديها الوعي قياساً إلى الطلبة والمثقفين[٣٥] .

المبحث الثاني : أسس الحياة الثقافية في البحرين

أ – التعليم

تعد البحرين البلد الثاني (بعد الكويت) في منطقة الخليج العربي من حيث انطلاق وانتشار التعليم الرسمي الحديث فيه إلا أن التعليم في البحرين أخذ طابعاً مختلفاً عن باقي دول الخليج العربي، بسبب سرعة انتشار الحركة العلمية وبناء المدارس وتنوعه وأن ما يعكس سرعة نمو الحركة التعليمية في البحرين هو الحاجة للتعليم ومواكبة تطور العصر والحاجة الماسة في الحياة المعاصرة من خلال المتعلمين وخاصة في دوائر الدولة مع صغر حجمها بالإضافة إلى زيادة النمو الاقتصادي خصوصاً مع دخول القرن العشرين واكتشاف النفط .

كانت بواكير التعليم النظامي في البحرين قد ابتدأت في نهاية القرن التاسع عشر مع مجيء البعثة التبشيرية الأمريكية، وتأسيس (مدرسة جوزة البلوط) عام ١٨٩٩م التي أشرفت عليها إمي زويمر (زوجة صموئيل زويمر) وضمت المدرسة سبع طالبات يدرسن القراءة والإملاء، وانتقلت المدرسة إلى مستشفى الإرسالية عند افتتاحه عام ١٩٠٢م، وبلغ عدد الطالبات أربعين طالبة أغلبهن من غير البحرينيات، ثم تبعتها مدرسة (الإصلاح المباركة) عام ١٩١٣م[٣٦] . ويشير الدكتور علي أبا حسين إلى أن التعليم النسوي في البحرين كانت بدايته في مستهل عام ١٩٠٥م على يد الإرسالية الأمريكية . بينما تأسست أول مدرسة حكومية للبنات في البحرين عام ١٩٢٨م في المحرق[٣٧] .

إن أغلب المصادر تشير إلى أن تاريخ دخول التعليم الحديث إلى البحرين يعود إلى افتتاح مدرسة (الهداية الخليفية)[٣٨] عام ١٩٢١م شمالي المحرق، بمبادرة ومساهمة عامة من المواطنين، لاسيما الموظفين، وهي نفس السنة التي تأسس فيها مجلس المعارف البحريني[٣٩] ، فاعتمدت الحكومة البحرينية هذا التاريخ رسمياً[٤٠] .

لقد اتسع العمل التعليمي مع فتح مدرسة الهداية الخليفية الثانية في المنامة عام ١٩٢٣م، ومدرستين جديدتين في الحد والرفاع، على أثر قانون التعليم الذي صدر في البحرين عام ١٩٢٥م وفي عام ١٩٢٧م أنشئت (المدرسة الجعفرية) وكذلك (المدرسة العلوية)، فكانت البحرين أسبق دول الخليج في التعليم(٤١).

وأقدمت الحكومة في البحرين عام ١٩٢٩م على إرسال سبعة من الطلاب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وهذه أول بعثة ترسلها الحكومة على نفقتها إلى الخارج للحصول على التعليم العالي(٤٢).

مضى التعليم قدماً بخطى قوية فقد أصبح في البحرين عام ١٩٢٨م سبع مدارس، وفي عام ١٩٣٠ كان عدد الطلاب (٥٠٠) طالب و(١٠٠) طالبة، وفي عام ١٩٣٠م أسست مدرسة أخرى للبنات(٤٣). كما افتتحت أول مدرسة للصنائع في عام ١٩٣٦م، وفي عام ١٩٣٩م كانت أول مدرسة ثانوية للبنين(٤٤).

وكانت النزعة الوطنية الإصلاحية التي طغت على التعليم في البحرين كبقية مناطق الخليج الأخرى، وبدأت تتبلور في مناهضة حركة التبشير وتغلغل الأفكار الغربية(٤٥).

واستمر التعليم يشهد خطوات واسعة في السنوات التالية لاسيما الفترة المحصورة بين عامي (١٩٤٠-١٩٦٠م) والتي تعرف بمرحلة النمو في مجال التعليم.

ب - الأندية الثقافية والاجتماعية

كانت الأندية الثقافية أماكن لتجمع الشباب ومناقشة قضايا عدة، ومتابعة تطورات سياسية، وأسهمت في إدخال عناصر ثقافية جديدة لمجتمع البحرين.

يعد نادي (إقبال أوال) أول نادٍ ثقافي بحريني كانت بدايته بسيطة على شكل (مكتبة إقبال أوال) ثم تحولت عام ١٩١٣م إلى نادٍ، وأسس كرد فعل لمكتبة الإرسالية الأمريكية في البحرين وضم النادي العديد من الأدباء منهم: محمد صالح يوسف وناصر الخيري ومحمد العريض وسعد الشملان وغيرهم، وقد عارضه أصحاب الكتاتيب وأغلق بعد أشهر من افتتاحه(٤٦).

أما أبرز النوادي التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى فهو (النادي الأدبي) في المحرق ١٩٢٠م وعاش فترة تقرب من ستة عشر عاماً في ظروف أمنية عصيبة، فكان المناخ الفكري في البحرين في ظل حكم الميجر ديلي متأججاً بالروح الوطنية والقومية، وقد التف حوله عدد من الشباب المهتمين بالفكر والأدب والثقافة، منهم: عبد الله الزايد وسلمان التاجر وأحمد العمران وقاسم الشيراوي، وأصبح النادي ملتقى المفكرين البحرينيين ومحطة يزورها المفكرون العرب مثل: حافظ وهبة وخالد الفرج وأحمد شوقي وأمين الريحاني[٤٧]. كما تأسس (المنتدى الإسلامي) عام ١٩٢٨م وأسسه فئة من التجار من الهولة واهتم بالشؤون الإسلامية وإقامة الاحتفالات بالمناسبات الدينية والوطنية، واهتم بالحركة الأدبية والثقافية، ثم تحول إلى منتدى سياسي[٤٨].

اتجه التفكير في المحرق والمنامة إلى إنشاء أندية رياضية تباشر مع الرياضة الجوانب الثقافية الأخرى، ومنها نادي العروبة[٤٩] ونشأت فكرة هذا النادي عام ١٩٣٦م وكان يرمي إلى إيقاظ الوعي الاجتماعي والقومي في بداياته، وكان يقيم حفلات أسبوعية للشعر والنثر والمسرح[٥٠]، ويعد من أبرز أندية البحرين في الثلاثينات فقد أسس عام ١٩٣٩م[٥١]. وأسهم هذا النادي في مكافحة الأمية بواسطة حلقات دراسية ليلية يقوم بها المعلمون وأعضاء الأندية وكان النجاح في مكافحة الأمية مرضياً[٥٢]. وفي عام ١٩٣٧م أنشئ نادي البحرين وكان في البداية فريقاً رياضياً في مدينة المحرق وغير اسمه في نفس السنة من نادي الشبيبة إلى نادي البحرين وأصبحت له نشاطات اجتماعية وثقافية، وقد ضم ما يقارب (٤٠٠) عضو[٥٣].

ومن خلال ما تقدم، يمكننا القول أن البحرين كانت تتميز بعدد مثقفيها وأدبائها الذين أسهموا في تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والرياضية مستفيدين مما حصلوا عليه من معارف أو ما اطلعوا عليه في الأقطار العربية كمصر والشام من نهضة فكرية حديثة[٥٤]. وبرز عدد من الأدباء والمثقفين منهم الأديب إبراهيم العريض الذي برز في عالم الأدب العربي وعرف بصفته شاعراً وأديباً ومترجماً وناقداً[٥٥]. وكذلك الشاعر عبد الرحمن قاسم المعاودة والذي يعد من أبرز شعراء الخليج الذي ولد بمدينة المحرق وأكمل دراسته الثانوية فيها، وأكمل دراسته الجامعية بالجامعة الأمريكية في بيروت وانشأ مدرسة الإصلاح الأهلية بعد عودته للبحرين وفتح مطبعة فيها

وله مجاميع شعرية عديدة طبع ديوانه عام ١٩٤٢م[٥٦]، والأديب عبد العزيز الشملان وهو من مواليد البحرين ومن مثقفيها أكمل الابتدائية عام ١٩١٩م وبرز في كتابة المقالات الثقافية والسياسية أثناء دراسته والتي نشرها في جريدة الحائط بمدرسة الهداية الخليفية وأصبح رئيساً لنادي البحرين في المحرق، واستمر بعمله الثقافي والصحفي على وجه الخصوص من خلال كتاباته في مجلة صوت البحرين التي صدرت عام ١٩٤٩م[٥٧]، والسيد أحمد العمران والذي يعد من مثقفي الرعيل الأول، تلقى علومه في البحرين ثم سافر إلى بيروت ودرس بالجامعة الأمريكية وعند عودته تقلد عدة مناصب إدارية منها توليه إدارة التربية في البحرين وهو أول مدير بحريني للتربية، حيث كان المنصب يشغل من قبل البريطانيين أسهم منذ شبابه في الأندية الثقافية والاجتماعية وله اطلاع على حقل التربية والأدب والثقافة العربية الإسلامية[٥٨] .

كما برزت المرأة البحرينية في هذا المجال، ومن أبرز الشخصيات النسوية على الساحة الثقافية والاجتماعية في البحرين (سلوى العمران) وهي من أسرة طبارة البحرينية، ولدت في بيروت عام ١٩٢٤م تخرجت في معهد المعلمات سنة ١٩٤٢م، ومارست التدريب في مدرسة خديجة الكبرى ثم أصبحت مديرة لها[٥٩] .

ج – الطباعة والصحافة والمكتبات

اعتمد المطبوع في الخليج العربي على مطابع القاهرة وبيروت، التي طبعت المجلات والكتب التي أصدرها المثقفون الخليجيون، ومنذ عام ١٩١٣م استقدم الحاج أحمد بن عبد الواحد خراموزي، والحاج ميرزا علي جواهري مطبعة حجرية إلى المنامة[٦٠]، وبذلك دخلت الطباعة في البحرين منعطفاً حيوياً ساهمت في طبع العديد من الكراسات .

أما الصحافة، فكانت أولى الصحف التي صدرت في البحرين هي التي أصدرتها مدرسة الهداية الخليفية، وهي أسبوعية أدبية مدرسية إلا أن عام ١٩٣٤م شهد تأسيس مطبعة البحرين . وفي عام ١٩٣٩م صدرت أول صحيفة في البحرين وهي (صحيفة البحرين) لصاحبها عبد الله الزايد التي تناولت القضايا الاجتماعية والسياسية[٦١] .

كما كانت هناك مكتبات مشهورة في بعض مدارس البحرين، مثل مكتبة ثانوية البحرين، ومكتبة القسم الداخلي، وقد سدت فراغاً في نشاطات الطلاب الثقافية، بالإضافة إلى عدة مكتبات في نوادي البحرين[٦٢].

إلا أن أبرز المكتبات في هذه الفترة هي المكتبة الخليفية التي نشأت بمجهود شخصي من قبل الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعدد آخر من شيوخ آل خليفة وكان البناء عبارة عن مجلس يضم مكتبة بسيطة ودكات للجلوس وما يلزم من أثاث ومقاعد[٦٣].

د – السينما والمسرح

لم يكن هناك إنتاج سينمائي محلي في البحرين، بل اقتصر الأمر على (مسرح البحرين) الذي انتشر عام ١٩٣٧م، ودور عرض بسيطة ألا أن التقدم السينمائي كان في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية[٦٤].

أما المسرح، فقد اقترنت نشأته في البحرين بتأسيس المدارس الحديثة، ولم يكن يقدر له أن ينشأ قبل هذه الخطوة، وما يزال البحرين في مرحلة النمو، ألا انه يمكننا أن نميز ثلاث مراحل للمسرح البحريني :

١ – البداية : كانت في المدارس، وهي التي أدخلت هذا الفن الجديد ولفتت إليه الأنظار في عشرينيات القرن العشرين.

٢ – وهي الفترة التي قام بها شباب الأندية الثقافية بتطوير المسرح وتأصيله في الثلاثينيات من القرن العشرين.

٣ – فترة ظهور الفرق المسرحية المتخصصة التي حاولت إنضاجه والسمو به، في الخمسينيات من القرن العشرين[٦٥].

***

من خلال ما ذكر في البحث يلاحظ ، أن التعليم بأنواعه كان هو القاعدة لتقدم وتطور البحرين سواء من خلال المدارس المتعددة أو البعثات التي نقلت أفكار وتجارب

بعض الدول العربية والغربية إلى البحرين، ثم يأتي دور الأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية، بالإضافة إلى انتشار الصحف العربية، والطباعة، وظهور المكتبات، بعدها ظهور المسرح بنشاطه المتواضع .

وانعكس الواقع الثقافي على واقع الحياة من خلال ظهور المفكرين والأدباء والسياسيين وقادة المجتمع من تأثير وتتلمذ في البيئة الثقافية بالبحرين وعملوا على مواكبة التقدم وتوحيد البلاد، وكانت النخبة المثقفة البحرينية كبيرة الأهمية في حياة البحرين من خلال نشاطها في إصدار الصحف وإنشاء النوادي، كما كان للنفط دور كبير في إحداث طفرات في دولة البحرين حيث كانت من أوائل الدول التي ظهر فيها النفط واستثمر .

السيد
محمد حمزة حسين
كلية التربية – قسم التاريخ
جامعة الموصل

الأستاذ المساعد
الدكتور نمير طه ياسين
كلية التربية – قسم التاريخ
جامعة الموصل

قائمة المصادر العربية

● إبراهيم ، أياد عبد المجيد

١ - "التيار القومي في الشعر البحريني"، مجلة الخليج العربي، مج ١٩، ع٣، ١٩٨٧م .

● أنتوني، ت . أ

٢ - "وثائق التاريخ للبحرين من المصادر الأمريكية ١٩٠٠-١٩٣٨، سجلات تاريخية للبعثة العربية" ، نيوبرونسفيك - نيوجرسي، مجلة الوثيقة، ع٦، س٣، (البحرين،١٩٨٥) .

● الأنصاري ، إبراهيم صيهود عبد السيد

٣ - الحركة الفكرية البحرين ١٩١٤-١٩٦٧م،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ٢٠٠٠م .

● الأنصاري ، محمد جابر

٤ - "أدب الإصلاح الاجتماعي في الخليج العربي (١٩٢٠-١٩٥٠م" مجلة الدوحة، أغسطس ١٩٧٦م .

٥ - لمحات من الخليج العربي، الشركة العربية للوكالات والتوزيع البحريني، ط١ ، (د.م،١٩٧٠م).

● البحارنة، محمد تقي

٦ - جمع وإعداد نادي العروبة - ستون عاما في خدمة الثقافة والمجتمع ١٩٣٩-١٩٩٩م، من إصدارات نادي العروبة في البحرين، ١٩٩٩م .

● البسام، خالد

٧ - "استعدادات لبداية التنوير في البحرين"، مجلة البحرين الثقافية، ع٩،يناير ١٩٩٩م

● بيرني، جان جاك

٨ - الخليج العربي، ترجمة : نجدة هاجر وسعيد الغز، ط١ ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩م) .

● التميمي، عبد المالك خلف

٩ - التبشير في منطقة الخليج العربي – دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع والترجمة والتوزيع ، (الكويت ، ١٩٨٢م) .

١٠ - الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، بحوث الندوة العلمية الثالثة ، الكتاب الثاني-٢ ، (بغداد ، ١٩٧٩م).

١١- ـــــــــــــــــــ

● الجمعة ، أحمد عبد الوهاب محمود

١٢ - نشأة التعليم الرسمي الحديث في الخليج العربي (١٩٤٥-١٩٧١)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، ٢٠٠٦م .

● الحكمة، بيت

١٣ - موسوعة اعلام العرب، ط١، (بغداد، د.ت) .

● أبا حسين، علي عبد الرحمن

١٤ - "دراسة في تاريخ العتوب"، مجلة الوثيقة، ع١، (البحرين، ١٩٨٢م) .

١٥ - "صفحات من تاريخ تعليم المرأة في البحرين بين ١٩٠٥-١٩٦١"، مجلة الوثيقة، ع١٤، س٧، (البحرين، ١٩٨٩م)

● الخاطر، مبارك

١٦ - الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين (١٨٧٥-١٩٢٥م)، مطابع المختار الإسلامية، (المنامة، ١٩٧٨م).

١٧ - "الطباعة في البحرين ١٩١٣-١٩٤٨"، مجلة الوثيقة، ع٥،س٣،(البحرين، ١٩٨٤م).

● آل خليفة، عبد الله بن خالد، والحمر، عبد الملك يوسف

١٨ - البحرين عبر التاريخ، ج١، ط١، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، (د.م،١٩٧٢م).

● خوري،إبراهيم

١٩ - "توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية"، مجلة الوثيقة، ع١٥، (البحرين، ١٩٨٩م) .

● الذوادي، بسام

٢٠ - "الواقع السينمائي في دول الخليج العربي"، مجلة البحرين الثقافية، ع١٦، س٢٤، (البحرين، ١٩٩٨م) .

● الرميحي ، محمد غانم

٢١ - قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٧٦م) .

٢٢ - البحرين — مشكلات التغير السياسي والاجتماعي، ط١، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ، ١٩٧٦م) .

● الزياني، أمل إبراهيم

٢٣ - البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي، ط٢، (د.م، ١٩٧٧م)

● الزيدي، مفيد

٢٤ - بدايات النهضة الثقافية في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي، ١٩٩٨م) .

● سنان، محمد بهجت

٢٥ - البحرين دورة الخليج العربي، ط١ ، (د.م،١٩٦٣م) .

● الشكري، عبد الحميد كاظم حمادي

٢٦ - البحرين - دراسة سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى المجلس العلمي لمركز دراسات الخليج العربي — جامعة البصرة، ١٩٩٠م

● الصايغ، فاطمة حسن

٢٧ - "صورة من صور النشاط التبشيري في الخليج — دراسة تاريخية وتحليلية لنشاط الإرساليات الأمريكية"، مجلة الوثيقة، ع٣١،س١٦، (البحرين، ١٩٩٧م) .

● الصيرفي، نوال حمزة يوسف

٢٨ - النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، (الرباط، ١٩٨٣م)

● الطائي، عبد الله محمد

٢٩ - دراسات عن الخليج العربي، ط١ ، (سلطنة عمان، ١٩٨٣م) .

● ألعبيدي، خضير نعمان

٣٠ – البحرين من إمارات الخليج العربي، ط١، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦٩م)

● كمال، حسن

٣١ – "شاعر البحرين وأديبها الكبير الأستاذ إبراهيم العريض"، مجلة البحرين الثقافية، مج ٩، ع ٣٣، أكتوبر ٢٠٠٢م.

● الكيالي، عبد الوهاب

٣٢ – موسوعة السياسة، ج١، ط٣، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٠م).

● المحادين، عبد الحميد

٣٣ – "سلوى العمران من بيروت إلى لبنان"، مجلة البحرين الثقافية، س٧، أكتوبر ٢٠٠٠م.

● النبهاني، خليفة بن حمد بن موسى

٣٤ – التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، (القاهرة، ١٩٢٣م).

● ويلسون، ارنولد

٣٥ – الخليج العربي، مجمل تاريخي منذ أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة : عبد القادر اليوسف، مكتبة الأمل، (الكويت، د.ت).

قائمة المصادر الأجنبية

● J.A. Saldanha

1 - The Persian Gulf Precis of Bahrain affairs 1854-1904, Vol. IV, Simla, Government Central press, 1904 .

● Husain M. Al Baharna

2 - The Arabian Gulf states, (Beirut, 1975).

الهوامش

١ – خليفة بن حمد بن موسى النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، (القاهرة، ١٩٢٣ م) ، ص ص ٧٩– ٨٠.

٢ – جان جاك بيرني، الخليج العربي، ترجمة : نجدة هاجر وسعيد الغز، ط١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩م)، ص ١٦٨ .

٣ – للمزيد من المعلومات حول ظهور القرامطة في البحرين، انظر : عبد الله بن خالد ال خليفة وعبد الملك يوسف الحمر، البحرين عبر التاريخ، ج١، ط١، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، (د.م، ١٩٧٢م)، ص ص ١١٨–١٢٢ .

٤ – النبهاني ، المصدر السابق ، ص ص ٩٩–١٠٠ .

٥ – هي دولة عربية ظهرت في القرن الحادي عشر الميلادي في الجانب الشرقي من الخليج العربي ، ثم اتخذت من مدينة هرمز عاصمة لها، وبالرغم من أن بعض الأقليات كالفرس والبلوش والزنوج والهنود كانت تسكنها ألا أن اغلب سكانها من العرب، كما أن اللغة العربية هي السائدة فيها وينتمي ملوكها إلى أصل عربي وكانت لها علاقات مع العراق وفارس وعدن والصين وغيرها . إبراهيم خوري، "توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية"، مجلة الوثيقة، ع ١٥، (البحرين، ١٩٨٩م)، ص ص ١١٢–١١٣.

٦ – عبد الحميد كاظم حمادي الشكري، البحرين – دراسة سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى المجلس العلمي لمركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٩٠م، ص١٥.

٧ – علي عبد الرحمن أبا حسين، "دراسة في تاريخ العتوب"، مجلة الوثيقة، ع ١، (البحرين، ١٩٨٢م)، ص ٨٠ .

٨ – في عام ١٥٠٧م استطاع البرتغاليون احتلال قريات ومسقط وقلهات وخورفكان وهرمز ثم أبحروا شمالا لاحتلال بعض المناطق الأخرى في الخليج العربي حيث وصلوا إلى البحرين في عام ١٥١٥م، واستمر النفوذ البرتغالي في الخليج حتى عام ١٦٢٢م . للمزيد من المعلومات ، انظر : نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، (الرباط ، ١٩٨٣)، ص ص١١٨–١٢٩ .

٩ - الشكري، المصدر سابق، ص ١٥ .

١٠ - Husain. M. AL-Baharna, The Arabian Gulf States, Beirut, N. P, 1975, P. 167.

١١ - ارنولد ويلسون، الخليج العربي، مجمل تاريخي منذ اقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة : عبد القادر اليوسف، مكتبة الامل، (الكويت،د.ت)، ص٣٩٥.

١٢ - J.A. Saldanha, Precis of Bahrain Affairs 1854-1904, Vol. IV, Simla, Government central press, 1904, P1.

١٣ - للمزيد من المعلومات حول صور النشاط التبشيري للإرساليات الأمريكية في منطقة الخليج العربي، أنظر : فاطمة حسن الصايغ، "صورة من صور النشاط التبشيري في الخليج — دراسة تاريخية وتحليلية لنشاط الإرساليات الأمريكية" مجلة الوثيقة، ع٣١، س١٦، (البحرين، ١٩٩٧م)، ص ١٠٥-١٣٤ .

١٤ - مفيد الزيدي، بدايات النهضة الثقافية في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي، ١٩٩٨م)، ص ٢١ .

١٥ - ت. أ. أنتوني، "وثائق التاريخ للبحرين من المصادر الأمريكية ١٩٠٠- ١٩٣ سجلات تاريخية للبعثة العربية"، نيوبرونسفيك - نيوجرسي، مجلة الوثيقة، ع٦، س٣، (البحرين، ١٩٨٥م)، ص٨٢ .

١٦ - عبد الملك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي - دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، (الكويت، ١٩٨٢م)، ص ١٧٤.

١٧ - صموئيل زويمر : هو رئيس الإرسالية التبشيرية العربية الأمريكية في البحرين ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، لقي دعما في مطلع القرن العشرين من الكنيسة الإصلاحية الأمريكية، ويعد من اكبر أعمدة التبشير في العصر الحديث، له كتاب (العالم الإسلامي اليوم) . المصدر نفسه، ص ص٢٣٠-٢٣٥ .

١٨ - إبراهيم صيهود عبد السيد الأنصاري، الحركة الفكرية في البحرين ١٩١٤-١٩٦٧م، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٠م، ص ص٤٢-٤٣ .

١٩ - المصدر نفسه، ص٤٣.

٢٠ - التميمي، المصدر السابق، ص ١٧٤.

٢١ – محمد غانم الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٧٦م)، ص٧٣ .

٢٢ – الصابغ، المصدر السابق، ص ١٠٥ .

٢٣ – الزيدي، المصدر السابق، ص ٤٣.

٢٤ – عبد المالك التميمي، الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، بحوث الندوة العلمية الثالثة – الكتاب الثاني – ٢، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص ص ١٧٤-١٧٦.

٢٥ – سيرد تعريف شخصية الأديب الريحاني لاحقا .

٢٦ – محمد غانم الرميحي، البحرين مشكلات التغير السياسي والاجتماعي، ط١، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٦)، ص١٧٣.

٢٧ – الزيدي، المصدر السابق، ص ص ٢٢-٢٣.

٢٨ – مبارك الخاطر، الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين (١٨٧٥-١٩٢٥)، مطابع المختار الإسلامية، (المنامة، ١٩٧٨م)، ص ٨-٢٠.

٢٩ – أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٧) : أديب ومفكر عربي لبناني، ولد أمين بن فارس بن يوسف بن المطران باسيل البجاني في الغريكة (قضاء المتن في جبل لبنان) لقب بالريحاني لكثرة شجر الأمن المحيط بمنزله . هاجر إلى الولايات المتحدة حيث عمل في متجر أبيه، ثم درس الحقوق في جامعة نيويورك (١٨٩٨م) . اشترك عام ١٩١٨ في مؤتمر انعقد في واشنطون من اجل الحد من التسلح وفي عام ١٩٣٠ بدا يطوف أرجاء الولايات التحدة الأمريكية خطيبا "شارحا" مدى الخطر الصهيوني في الوطن العربي . عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج١، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت،١٩٩٠م)، ص٣٣٦ .

٣٠ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٤٦ .

٣١ – عبد الله محمد الطائي، دراسات عن الخليج العربي، ط١، (سلطنة عمان ١٩٨٣م)، ص١١٢ .

٣٢ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٤٧ .

٣٣ – الزيدي، المصدر السابق، ص ص ٢٢-٢٣ .

٣٤ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٤٨ .

٣٥ – للمزيد من المعلومات، أنظر : أمل إبراهيم الزياني، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي، ط٢، (د.م، ١٩٧٧م)، ص١١٦ وما بعدها .

٣٦ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٥١ .

٣٧ - للمزيد من المعلومات حول تعليم المرأة في البحرين، أنظر : علي أبا حسين، "صفحات من تاريخ تعليم المرأة في البحرين بين ١٩٠٥-١٩٦١م"، مجلة الوثيقة، ع ١٤، س٧، (البحرين، ١٩٨٩م)، ص ص ١٢-٢٨ .

٣٨ - كان أول مدير لها هو الشيخ حافظ وهبة المصري .

٣٩ - تأسس مجلس المعارف برئاسة الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة عام ١٩٢١م .

٤٠ - الرميحي، البحرين، مشكلات التغير السياسي والاجتماعي، ص ١٢٨ .

٤١ - الأنصاري، المصدر السابق، ص ٥٢ .

٤٢ - محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي، ط١، (د.م، ١٩٦٣م)، ص ٢٣٩ .

٤٣ - الرميحي، المصدر السابق، ص ص ١٣١-١٣٢

٤٤ - الأنصاري، المصدر السابق، ص ٥٣ .

٤٥ - محمد جابر الأنصاري، "أدب الإصلاح الاجتماعي في الخليج العربي (١٩٢٠-١٩٥٠م)" مجلة الدوحة، أغسطس ١٩٧٦م، ص ص ٤٦-٤٧ .

٤٦ - أياد عبد المجيد إبراهيم، " التيار القومي في الشعر البحريني"، مجلة الخليج العربي، مج١٩، ع ٣، ١٩٨٧م، ص ١٧٢.

٤٧ - الأنصاري، المصدر السابق، ص ص ٦٢-٦٣

٤٨ - أحمد عبد الوهاب محمود الجمعة، نشأت التعليم الرسمي الحديث في الخليج العربي (١٩٤٥-١٩٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الآداب، ٢٠٠٦م، ص ص٢٤٠-٢٤٣ .

٤٩ - للمزيد من المعلومات عن نادي العروبة، أنظر : تقي محمد البحارنة، جمع وإعداد نادي العروبة – ستون عاما في خدمة الثقافة والمجتمع ١٩٣٩-١٩٩٩م، من إصدارات نادي العروبة في البحرين، (البحرين، ١٩٩٩م) .

٥٠ - الطائي، المصدر السابق، ص ٣٦ .

٥١ - الزيدي، المصدر السابق، ص ٣٨ .

٥٢ - البحارنة، المصدر السابق، ص ٥٠ .

٥٣ - الجمعة، المصدر السابق، ص ٢٤٣ .

٥٤ - الخاطر، الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين، ص٩ .

٥٥ - حسن كمال، "شاعر البحرين وأديبها الكبير الأستاذ إبراهيم العريض"، مجلة البحرين الثقافية، مج ٩، ع ٣٣، أكتوبر ٢٠٠٢، ص ١١ .

٥٦ - بيت الحكمة، موسوعة إعلام العرب، ط١، (بغداد، د.ت)، ص ٢٠٣ .

٥٧ – خالد البسام، "استعدادات لبداية التنوير في البحرين"، مجلة البحرين الثقافية، ع ٩، يناير ١٩٩٩، ص٥ .

٥٨ – محمد جابر الأنصاري، لمحات من الخليج العربي، الشركة العربية للوكالات والتوزيع البحريني، ط١، (د.م، ١٩٧٠)، ص١٦٤ .

٥٩ – عبد الحميد المحادين، "سلوى العمران من بيروت إلى لبنان" مجلة البحرين الثقافية، س٧، أكتوبر ٢٠٠٠، ص ص ٥–٨ .

٦٠ – للمزيد من المعلومات حول الأطوار التي مرت بها الطباعة، أنظر : مبارك الخاطر، "الطباعة في البحرين ١٩١٣–١٩٤٨"، مجلة الوثيقة، ع ٥، س٣، (البحرين، ١٩٨٤) ص ص٥٨–٧٤ .

٦١ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٦٨ .

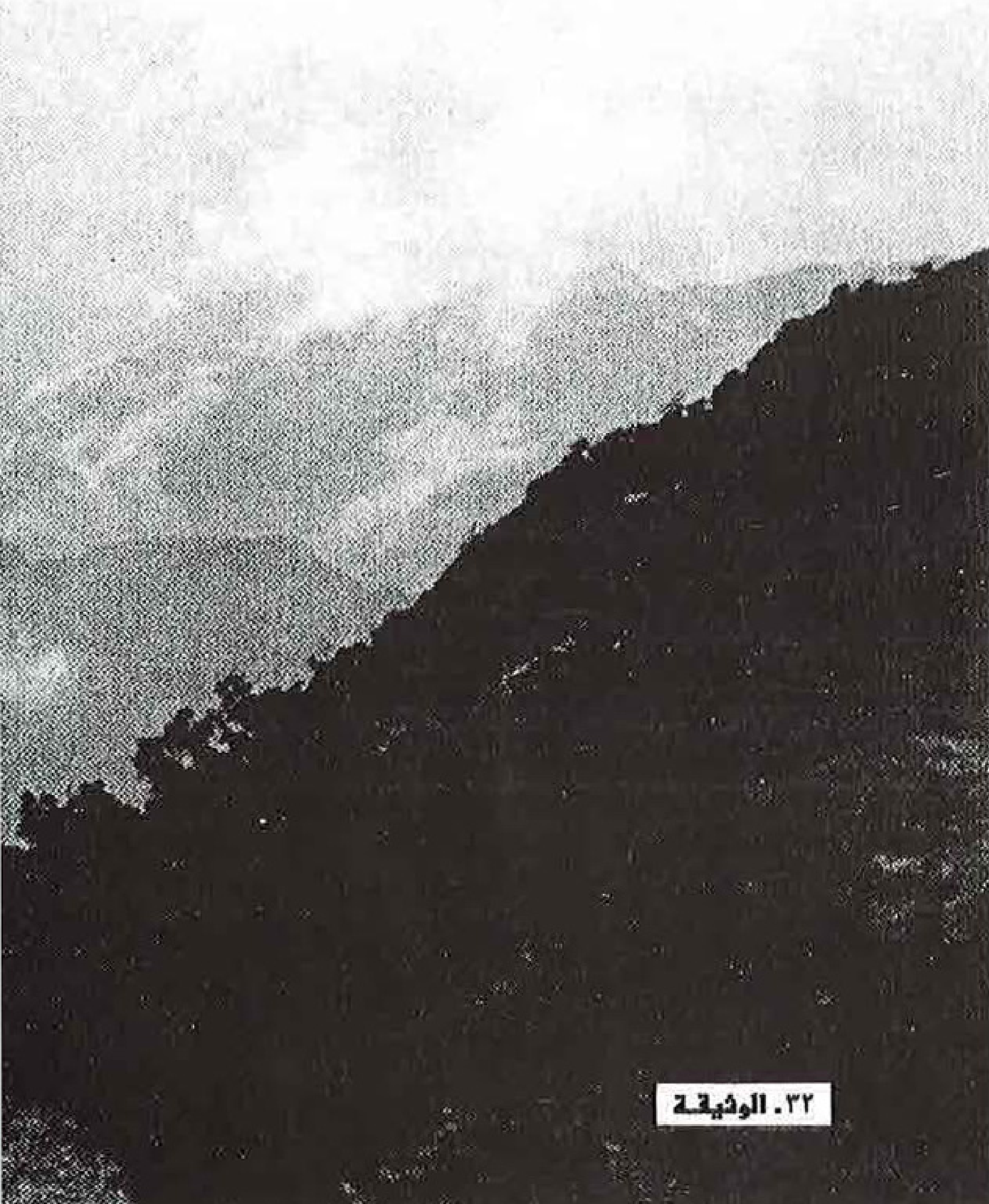
٦٢ – خضير نعمان العبيدي، البحرين من إمارات الخليج العربي، ط١، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦٩م) ص ١٩٤ .

٦٣ – البحارنة، المصدر السابق، ص ١٤٢ .

٦٤ – بسام الذوادي، "الواقع السينمائي في دول الخليج العربي"، مجلة البحرين الثقافية، ع١٦، س ٢٤، (البحرين، ١٩٩٨م)، ص٢٣ .

٦٥ – الأنصاري، المصدر السابق، ص ٧٤ .

شبه الجزيرة العربية



٣٢. الوثيقة

كما وصفها "الى ستينين"

في النصف الثاني للقرن التاسع عشر

بقلم : الدكتورة تي. إن. ليبدنسكايا

درس المجتمع الروسي موضوع شبه الجزيرة العربية بالتفصيل وذلك في النصف الثاني للقرن التاسع عشر . والمواد التي كانت قد نشرت فيما قبل من حين لآخر لم تكن تنشر بانتظام، وكان معظمها مذكرات للحجاج أو تراجم من لغات أوروبا الغربية . وبرزت ضرورة دراسة كاملة لبلدان الشرق الأدنى في آخر هذا القرن . وكان الباحث الذي قام بهذه المهمة هو "ستينين"، وكان عضوا في الجمعية الجغرافيـــة الإمبريالية بسان بطرسبرج .

لقد أتقن مهمته فنظم المعلومات عن بلدان البحر المتوسط الشرقية والجزء الحدودي لشبه جزيرة البلقان . ثم أصدر كتابه المعنون "الشرق – بلدان الصليب والهلال" في عام ١٨٩٢م[1] ويحوي ٥٠٠ صفحة وأكثر من مائتي صفحة من صور متعددة وأربعة وستين صفحة من النقوش المحفورة وفهرسا لأسماء خاصة وأسماء جغرافية . ويذكر هذا الفهرس أكثر من ٣٠٠ موقع جغرافي .

ويتكون البحث الجغرافي التاريخي الإثنوجرافي من ثلاثة أجزاء :

القسم الأوروبي – والقسم الآسيوي – والقسم الأفريقي .

ويقع بحث الجزيرة العربية في الفصل السادس عشر ضمن الجزء الآسيوي، ويتكون من ٣٣ صفحة وثمانية عشر من النقوش .

وهذا الفصل والكتاب، كلاهما موجهان إلى أكثرية الروس . والكتاب مكتوب بلغة بسيطة . واستخدمت فيه مصادر كثيرة، سواء كانت أجنبية أو روسية إثنوجرافية وتاريخية وأدبية وإحصائيات ووثائق جمعت فيما مضى كمصادر أساسية .

أولاً يشرح "ستينين"الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية كحدودها وأبعادها وخصائص المنطقة المحايدة والبلدان الواقعة في شبه الجزيرة وكذلك خصائص أكبر الصحاري والجبال والوديان والتقاليد المتبعة وأوضاع الطقس . ثم يشرح المعادن والزراعة والأسهم المالية والعلاقات التجارية والنباتات والحيوانات . ويهتم الكاتب اهتماماً كبيراً بملامح خاصة للمنطقة العربية الشرقية وتطويرها . ووفقاً لـ "ستينين" فإن ثلثي منطقة شبه الجزيرة العربية صحراوية قاحلة . ولا توجد أنهار فيها . وأن أكبر الأودية هو "وادي الرمة"، ويمتد إلى حوالي ٢٥٠ كيلومتراً ولا تقل مساحته عن مساحة وادي نهر "الراين" .

وتوجد في الشمال صحراء النفود الكبرى حيث لا توجد آبار للمياه إلا نادراً وعلى أبعاد كبيرة من بعضها البعض . لكن بها أجود المراعي حيث ترسل المواشي هناك كل ربيع لترعى[٢] . وفي الجنوب تقع صحراء "الدهنا" حيث الحرارة مرتفعة ليلاً ونهاراً . وفي جنوبها "الأحقاف" ذات الرمال اللينة حيث تغوص فيها الأقدام وتبتلع الناس أحياءً .

ويشمل البحث وصفاً مفصلاً للصخور المرتفعة حول نجد (١٢٠٠ متر فوق سطح البحر) . ويؤكد الكاتب على وجود مساحات خصبة واسعة هناك، نجدها أثناء موسم الأمطار (من نوفمبر إلى فبراير)، قد اكتست بالخضرة الكثيفة . وترجع تربية الخيول النجدية قصيرة القامة لقبيلة "القوية"[٣] .

ولقد نجحت القبائل البدوية ومنها "مطير" و"بني خالد" و"الظفير" و"شمر" في تربية الخيول[1] .

إن سواحل شبه الجزيرة العربية واسعة وصخرية لحد كبير، ويصعب الوصول إليها باستثناء الساحل الغربي الذي يشكل حافة أرض رملية واطئة أي تهامة . ويسهِّل الساحل الواسع تكوين خلجان تساعد على تطوير الملاحة والتجارة .

ويمتد الساحل الشرقي "الاحساء" من شط العرب إلى جزر البحرين ويشكل ولاية يبلغ عدد سكانها ١٦٢,٠٠٠ نسمة . وبالقرب من شط العرب تقع المدينة التجارية "الكويت" (القرن أو القرين) ويبلغ عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ نسمة . والميزة الخاصة للكويت هو ميناؤها الممتاز . ويحكم البلاد حاكم عربي بالوراثة . والميناء الثاني هو "القطيف" وعدد سكانها ما بين ٢٠ و٣٠ ألف نسمة وموقعها في أرض خصبة لكن طقسها مهلك للروس . وبعيداً عن الساحل تظهر مدينة "الهفوف" (٢٥,٠٠٠ نسمة) و "المبرز" بعيداً عن الشاطئ حيث يسكنها حوالي ٢٠,٠٠٠ نسمة .

ويمتد أرخبيل البحرين بالقرب من الساحل الشرقي . والبحرين غنية جداً حيث توجد المراعي والبساتين والعيون المائية بكثرة . والمهنة الرئيسية لسكانها (٧٠,٠٠٠ نسمة) صيد اللؤلؤ وزراعة النخيل والملاحة . وعاصمتها المنامة (٢٥,٠٠٠ نسمة) التي تقع في "أوال" وهي أكبر جزيرة في الأرخبيل . ويملك سكان المدينة ١٤٠ مركباً للتجارة الساحلية و٣٠٠٠ زورق لصيد السمك .

تبلغ صادرات البحرين مليوناً و٢٢٠ ألف روبل ، والواردات ٩٢٧ ألف روبل . والدخل السنوي للشيخ الحاكم يبلغ ١,٨٣٠,٠٠٠ روبل .

وتقع سلطنة عمان في جنوبي شرق الجزيرة العربية "دولة إمام مسقط" التي تشمل تسع ولايات . ويمتد الساحل الصخري العماني ما بين خليجين، أي خليج رأس الحد وخليج مسندم . ويقسم مسندم إلى قسمين، شق عريض يمكن للسفن أن تمر به . ويقع الجبل الأخضر وارتفاعه ألفا متر على بعد من ٨ إلى ١٥ كم منه .

وتمتد العاصمة في أسفل الصخور ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة من أجناس مختلفة . وبعد ذكر البيانات التاريخية عن عمان وسرد أحداث الحكم الطويل الرائع للسيد سعيد الذي دام ٥٢ عاماً، يرجع "ستينين" إلى البيانات الحديثة . ويذكر حجم

التجارة بأنه ٣٠ مليون فرنك سنوياً . وكانت الصادرات الرئيسية هي التمور والسمك وخيوط القطن واللؤلؤ والحلويات والصبغة الحمراء (للهند) والمأكولات المختلفة .

وتم إعادة بناء مسجد المجلس في مسقط من أصل كنيسة برتغالية . وقصر السلطان مزين بنقوش جميلة مختلفة . وتقع مدينة المطرح غرب العاصمة في خليج مريح، وهي مدينة صيفية للأثرياء .

ثم يتحدث "ستينين" عن نشوء ونمو الدولة السلفية في نجد .

عاصمتها الرياض وعدد سكانها ٣٠,٠٠٠ نسمة . وهي مدينة رباعية الزوايا، وحولها أسوار متينة مع أبراج . وعلى البعد منها بثلاث ساعات توجد آثار العاصمة السابقة "الدرعية" التي قام بغزوها إبراهيم باشا وقام السعوديون بالدفاع عنها .

وفي الشمال توجد ولاية "شمر" حيث يسكنها البدو وعددهم ٤٠٠,٠٠٠ نسمة . ومن مدنها الرئيسية : "حائل" (١٥,٠٠٠ نسمة) وهي مركز لتجارة القوافل بين نجد وكل من مصر وسوريا، و "بريـــدة" (٢٢,٠٠٠ نسمة) وهي مشيخة مستقلة، ومشيخة "عنيـــزة" (٢٠,٠٠٠ نسمة) .

يشرح "ستينين" للقارئ الروسي مبادئ الدين الإسلامي مع سيرة مفصلة للنبي محمد (ص) وفيها يركز على موهبته اللغوية وقدرته على التأثير في عامة الناس . ويحتوي الكتاب على صورة تخيلية للنبي (ص) راكباً البراق متجهاً إلى السماء . وفي الكتاب خلاصة لكافة القصص المتعلقة بالمقدسات الإسلامية وكيفية حشد المسلمين للحج و إقامة فروض الصلاة . كما يشمل الكتاب أيضاً مذكرات الحجاج الروس والمقالات الإعلانية والتراجم التي تشكل أساساً لها .

ويتعين بصفة خاصة أن نذكر الآتي :

- مذكرات أسفار الحاج إسماعيل من "كورغالا" في ولاية "أورنبرج" إلى مكة المكرمة عن طريق آسيا الوسطى وأفغانستان في عام ١٧٥١م[٥] .
- مذكرات سفر محمد أمين من "ياجانشيكيت" في ولاية "كازان" الذي بدأ سفره في عام ١٧٨٣م وعبر القوقاز واسطمبول ومصر[٦] .
- مكة وروعتها[٧] .

- "المدينة وضريح الرسول (ص) من مذكرات سفر "بركهاردت"[٨] .
- "زيارة مكة والمدينة"[٩] .
- "مجلة أدبية عن مواضيع مختلفة"[١٠] .
- "نشرة عن أوروبا"[١١] .
- "المكتبة العامة"[١٢] .
- "الدرويش البريطاني" (حول أسفار ريتشارد برتون)[١٣] .
- "من لندن إلى مكة" أسفار برتون[١٤] .
- "مقال عن السفر إلى مكة لـ "برازيسلافسكي"[١٥] .

"مكة المكرمة" أو "أم القرى" أو "المشرفة" من أحسن المدن في الإمبراطورية العثمانية حسب قول "ستينين" . وعلى خلاف المستوطنات الأخرى في شبه الجزيرة العربية أنها ليست محاصرة بالأسوار . لكنه توجد قلعتان صغيرتان على مرتفعات عالية . ويبلغ عدد سكانها ١٢٠,٠٠٠ نسمة حسب الإحصائيات الرسمية . غير أن هذا العدد مغالى فيه بقدر مرة ونصف المرة . ويشكل العرب ثلاثة أخماس مجموع السكان . وخمس السكان "ملايو" الأصل وهناك هنود وأتراك وأحباش وكذلك بعض الإيرانيين والتتر والقيرغيز . ويحكم المدينة شريف مكة وهو يدعي أنه ينتسب للرسول (ص) .

ويحتوي الكتاب على أوصاف شيقة للمسجد الحرام بيت الله والكعبة وأماكن مقدسة أخرى . وفي بيت الله ١٥٢ قبة مدعمة بعدد كبير من الأعمدة مصنوعة من المرمر والإسفنجيات والصوان ، وتعتبر أعجوبة في الفن المعماري حسب قول "ستينين" .

وشوارع مكة عريضة حسب النظام الأساسي للمدينة وتبدو العشوائية في واجهات المباني فبعضها يلتزم الحدود داخل المجمع بينما يبرز البعض الآخر ويطغى على عرض الشارع مما يتسبب في ضيق الشارع في بعض المناطق . وتكنس الشوارع الرئيسية مرة واحدة يومياً وتضاء بمصابيح الكيروسين والفوانيس ليلاً . وتتكون البيوت من ثلاثة طوابق حسب قول "دوفليتشين" ويرتفع البعض لأربعة وخمسة طوابق مبنية بالحجر والطابوق المحروق . وتطل النوافذ على الشارع على غير ما هو شائع في الشرق العربي . والطابق الأرضي عموماً غير مسكون . وتصل الجدران حتى حافة السقف مثلما هي في روسيا

ولكنها تزيد عنها ارتفاعاً . وهكذا يوجد طابق مفتوح آخر للاستراحة . وتثبت الطوابق والدرجات للسلالم بمعجون خاص مخلوط من الأسمنت (كلس ورماد ورمل)[١٦] .

توجد المشربيات ببيوت الأثرياء وهي شرفات داخلية مغلقة ممتدة على طول الواجهات . وهي مزينة من الخارج بالدرابزينات المزخرفة بأشكال مختلفة . ويثني الكاتب على نظافة البيوت وحسن نظامها وتبيض الجدران دائماً من الخارج والداخل على السواء . كما تكنس الغرف والسلالم بعناية تامة .

والماء في مكة من نوع جيد ومتواجد بوفرة بشكل دائم حتى في أيام تدفق الحجيج، ومصدره "عين زبيدة" الواقعة في سفح جبل "الكرا" على بعد ٧٠ فرست منها . (الفرست : مقياس روسي للطول يعادل ٣٥٠٠ قدم تقريباً)

ويعود تاريخ مصدر الماء في مكة إلى قرون عديدة . وبني مصدر ماء لجبل عرفات في عام ٨٢٧م على نفقة خليفة بغداد هارون الرشيد . وبعد سبعة قرون فيما بعد أي في عام ١٥١٩م في فترة حكم السلطان سليمان القانوني أنشئ مصدر ماء يشبه قصبة هوائية على الطريق في ممر وادي مِنى منتهية في مكة . والقصبة الهوائية مصنوعة بالحجر المثبت بالكلس . وحفرت بعض الآبار الحجرية في الطريق كما بنيت أحواض طويلة مفتوحة للسباحة بالقرب من "عرفات" لاستحمام الحجاج .

وداخل المدينة توجد شبكة أنابيب مفرعة بما فيها ٤٠ مضخة . والانحدار المؤدي إلى شبكة الأنابيب والقاع كلاهما مفروش بالحجر وتجري المياه في القناة المجوفة . ويجمع الماء بواسطة إبريق مصنوع من القصدير . وكذلك توجد آبار مزودة بكرات ودلاء معدنية رباعية الزوايا وسعتها مائة لتر .

يصطاف المكيون في الطائف (٥,٠٠٠ نسمة) مع حرس مكون من ٤٠٠ جندي . وموقعها من ٧٠ — ٨٠ فرست شرقاً . ويقول "دافلتشين" بأن الجو فيها ليس شديد الحرارة وتهطل الأمطار مرات عديدة في السهول المرتفعة الواسعة (٥١٥٠ قدماً فوق سطح البحر)[١٧] .

ويحيط المدينة سور متين وبه ثلاثة أبواب تفتح في ساعات النهار فقط . وتمتد حولها البساتين على امتداد البصر . وتنقل الخضراوات والعنب والبرتقال والخوخ والمشمش والرمان وغيرها من هنا إلى مكة المكرمة .

وتقع جدة على مسافة ٨ فرست من مكة نحو الساحل (٣٠,٠٠٠ نسمة) . وحسب قول "دافلتشين" يصل هذا العدد إلى ٢٠,٠٠٠ نسمة وتعد أكبر ميناء على البحر الأحمر . ويزورها أكثر من ألف سفينة سنوياً بما فيها ٢٥٠ باخرة . وتوجد صخور تحت مياهها مما يشكل خطراً للسفن، ولذلك لا تبحر السفن في مياهها إلا نهاراً، وترسو على بعد من ٤ إلى ٥ فرست من الساحل حيث ينتقل الركاب وتنقل البضائع من هناك بواسطة المراكب الشراعية .

وقد جاء ذكر قبر "حواء" في ضواحي جدة (طوله ٢٠٠ قدم وعرضه ستة أقدام) مجرد للعلم . وهو مبنى صغير رباعي الزوايا وترتفع فوقه قبة صغيرة بيضاء وتحيطه الجدران .

والمدينة المنورة هي ثاني أكبر مدينة في الحجاز وتسمى "مدينة النبي (ص) " و "المدينة المنورة" . وتقع على بعد ٣٥٠ فرست من شمال مكة المكرمة . وتحتل وادياً واسعاً محاطاً بجبل أحد من الشمال وخيبر من الجنوب . وتحيط المدينة أسوار قوية في أركانها أبراج ولها أربعة أبواب . ولقد أعيد بناء المدينة في عام ١٥٣٥م وتم تجديدها في عهد آل سعود ويقوم على حراسة الأبواب حراس وتغلق في ساعات الليل . ومساحة المدينة المنورة ليست بالكبيرة وهي لا تزيد عن فرست واحد مربع، وتقع ضاحية "مناخة" في الغرب منها وتحيط بها أسوار دفاعية يمتد جانباها حتى أسوار المدينة .

وتمتد المصابيح بطول الشارع العريض حيث تقع القصور والمنازل على جانبيه امتداداً من "أنباري" أي الأبواب الغربية للضواحي . كما يجد مبنى مصري بالغ الروعة يسمى بـ "التكية" في الشمال بالقرب من الأبواب . وعلى الجانب المقابل توجد ثكنات كبيرة ومستشفى عسكري ومنزل المحافظ . وينتهي الشارع بميدان كبير حيث تخيم فيه القوافل، وتوجد فيه أسواق يباع فيها الخبز والخشب والماشية .

و "المناخة" متصلة بالمدينة ببابين أحدهما الباب السوري ويؤدي إلى شارع بالغ الضيق (من ٤ إلى ٥ سازن) ورغم ذلك فهو كثير الاستخدام ومكتظ بشكل دائم ويمر في منتصف الطريق إلى باب الحرم . وهناك شارع أكثر اتساعا يمر بموازاته، وكلاهما مبلطان بالألواح الحجرية ويقوم السكان برشهما بالماء بصفة منتظمة . أما الجزء الثاني من المدينة فتشقه شبكة من الطرق الضيقة المتشابكة والمتعرجة تتقاطع فيها الممرات الجانبية[١٨] .

ويتكلم "سليم جيري سلطانوف"، الذي سافر من "أوفا" (بشكيريا) في عام ١٨٩٣م، عن الكثافة المكتظة لبيوت المدينة وانعدام التخطيط لها وضيق الممرات الجانبية التي لا تسمح للحركة فيها جنبا إلى جنب لحمارين محملين بالأحمال و يبلغ الزحام مداه حينما يأتي الحجاج طوال شهور الحج الأربعة . ويتسبب عدم وجود زجاج على النوافذ في الإزعاج إذ تدخل الأتربة إلى الغرف حيث تتراكم هناك[١٩] .

ويتوفر الماء في المدينة بقدر كاف . وكانت أنابيب المياه قد امتدت في عام ١٥٩٠م من عين الزرقاء على مسافة ٥ فرست . وتشبه شبكة الأنابيب بالمدينة مثيلتها في مكة، إلا أن الناتج منها أقل، لذلك لا تستخدم تلك المياه في غير أغراض الشرب وإعداد الطعام، أما الأغراض الأخرى فتحفر لها آبار محلية .غير أنه لا توجد مياه جارية حول المدينة وضواحيها لكن توجد المياه الجوفية على أعماق من ٢ إلى ٥ سازين فقط مما يساعد في زراعة النخيل . وتعتبر تمور المدينة المنورة من أجود أنواع التمور لشدة حلاوتها وطعمها المميز .

ويبلغ عدد سكان المدينة المنورة الدائمين حسب الإحصائيات الرسمية ٨٠,٠٠٠ نسمة . غير أن "دافلتشين" يعتقد بأن العدد لا يزيد عن ٤٠,٠٠٠ نسمة . وتتشكل تركيبة السكان من أجناس مختلفة يشكل الحجازيون المحليون منها نصف عدد السكان، ويتكون النصف الآخر من الأتراك والجزائريين والتونسيين والمصريين وغيرهم .

ولقد هاجرت ٣١ أسرة من التتر الروس إلى المدينة في فترات مختلفة لأسباب شتى، وشكلت مستوطنة صغيرة في "المناخة" قبل أربعين عاماً عندما هاجر إلى هناك "عبد الستار" من مواطني "أسترخان" . فقد جمع ٥٠,٠٠٠ روبل في روسيا ليقيم جالية جديدة في مكان جديد، حيث بنى هناك بهذا المبلغ مسجداً متواضعا ومدرسة ذات ٤٠ غرفة و٦ منازل سكنية[٢٠] .

وكانت نسبة الوفيات بين هؤلاء المهاجرين الروس كبيرة ولم تستأنف الهجرة إلى هناك إلا قليلاً، وكان إذا ما توفيت زوجة أحدهم فإنه يعود إلى روسيا ليتزوج بأخرى ويعود بها وبصحبته عدد من البنات ليزوجهن بأخوته من المهاجرين وأبنائه الراغبين في الزواج . ولم يلجأ التتر للزواج بالعربيات خشية قسوتهن وعنادهن وكثرة مطالبهن على حد ادعائهم .

ويقول "سليم جيري سلطانوف" بأن محافظ المدينة المنورة، عثمان باشا آنئذ، كان جركسي الأصل وولد في روسيا . وكان أبو زوجته، هو "غازي محمد"، وهو الابن الأكبر لـ "شامل" الشهير وقد كان مواطنا دائم الإقامة ويتمتع باحترام الجميع وله شعبية بين العرب . وكثيراً ما كان يحكي لهم القصص عن روسيا[٢١] .

ولا توجد صيدليات في المدينة . وتصرف الأدوية بالمستشفى بالمجان . وكما في مكة، كذلك في المدينة توجد المستشفى على أراضي الأوقاف وتمول من تبرعات السلطان عبد المجيد . ويوجد بها طبيب واحد مع صيدلي . ويتكون المستشفى من بيت ذي ثلاثة طوابق وبه ٣٠ سريراً .

وبالمدينة المنورة ١٧ مدرسة يدرس بها ٢٥٠ طالباً . وأكثرها ثراءً هي المدرسة "المحمودية" وكانت تحصل على ليرة تركية واحدة كل شهر، وغير ذلك لم تكن تحصل في المتوسط سوى على "مجديان" (أي حوالي ٣ روبلات و٥٠ كوبك) .

وتتبع جميع المدارس نفس التخطيط . أي طابق واحد رباعي الزوايا أو طابقين وساحة داخلية . وأبواب الغرف صغيرة جداً لا يستطيع اجتيازها إلا واحد منفرد . ولا تزيد غرف المدرسة عن ١٠ أو ١٥ غرفة، عدا مدرسة "المحمودية" حيث يوجد بها ٤٠ غرفة مساحتها ١٢ "أرشين" مربع، ولا يوجد بكل منها سوى نافذة واحدة في زاوية من الغرفة[٢٢] .

ويعالج "سليم جيري سلطانوف" موضوع الهيكل التعليمي أيضاً . وينتقد بصفة خاصة التركيز على جانب واحد في التعليم، وهو العلوم الفلسفية والفلسفة اليونانية فحسب وليس في الإسلاميات . ويتواجد عدد لا بأس به من الطلاب التتر الروس[٢٣]، إذ

يبلغ عددهم ٤٢ طالباً (أي واحد من كل ٦ طلاب) وهم ينتمون إلى مدارس مختلفة غير أن الأكثرية تنتمي إلى مدرسة "كازان".

ومن بين المدرسين ذكر اسم "السيد علي طاهر" بصفة خاصة. وتجذب محاضراته انتباه الطلاب. وهذا المدرس مخلص في تأييده لروسيا، ويحكي كثيراً عن زيارته لموسكو وأماكن روسيا المختلفة. ويثني على اتباع القانون في الحياة العامة في روسيا ويقول: "إيماننا صحيح، لكن نفتقد العدل في بعض البلدان الإسلامية.

وكل مدرسة بها مكتبة بالإضافة إلى مستودعين لكتب "شيخ الإسلام" محمود عارف أو "المكتبة المحمودية"، ويحتوي كل منهما على ستة آلاف كتاب معظمها مخطوطات وكتب دينية البعض منها نادر.

وحسب قول "دافلتشين"، كل من المدينة المنورة وجزء من مكة المكرمة والطائف يعتبر سكناً إجبارياً لمن يفقد السلطة أو لمن يطرد لأسباب سياسية. ويذكر اسم "غازي محمد" في هذه المناسبة كما ذكر سابقاً.

وأقرب ميناء للمدينة المنورة هو "ينبع" (٥ آلاف نسمة) حسب قول "دافلتشين" ورأس الميناء لا يتسع بدرجة كبيرة ولكنه عميق جداً وتضطر السفن لترسي بعيداً عنه بمسافة "سازين". وتسمى السفن الكبيرة "سمبوك"، وهي سفن شراعية دون أرضية وتستطيع أن تبحر لمسافات طويلة لكن بجانب الساحل. وترسو أثناء الليل خشية الاصطدام بالصخور الخطيرة[٢٢].

وتقع المدينة على مساحة رملية ناعمة وهي محاطة من جهة الأرض بجدران الأسوار وبها بابان. والبيوت مبنية من الطابوق المصنوع من كتل المرجان كأساس له، وهي مواد جيدة جداً لاستخدامها في أغراض البناء وهي موجودة بكثرة.

أما "ينبع" فتعاني بشدة من نقص الماء، ويستخدم السكان عملية الترسيب. وتؤدي البالوعات إلى الثقوب في أرضية الشوارع، وأثناء هطول الأمطار يجري الماء خلال تلك الثقوب إلى أحواض مسامية سعتها تتراوح بين ١ إلى ٨ مكعبات ليغترف منها السكان وقت الحاجة.

وتصنع الصهاريج ذات حجم أكبر على بعد نصف "فرست" من جدار المدينة . ويباع الماء منها بواقع ٥٠ كوبك للدلو . إضافة إلى ذلك يملك البدو الصهاريج التي تمتلئ بالمياه وتحملها الجمال ويعرضونها للبيع على سكان "ينبع" . وتعتبر "عين الحلوة" مصدرا آخر لاحتياجات "ينبع" المائية وتقع على مسافة ٢٥ ميلاً ويكلف دلو الماء منها ٦٠ "كوبيك" .

تعرضت "ينبع" لمطر غزير قبل ٤ سنوات وحسب قول "دافلتشين" كانت الصهاريج كلها خالية قبل ذلك التاريخ .

وتحت تأثير البحر والأمطار الشمالية المتكررة فإن الطقس في ينبع أقل حرارة . وينتشر مرض (الحمى) من حين لآخر في ينبع حيث لا يوجد بها مستشفى أو صيدلية أو طبيب .

وأورد "دافلتشين" الجداول التي تتضمن تفاصيل القبائل البدوية وأعدادها والأقاليم التي تجوب فيها . ويصف الأوضاع السياسية السائدة في الحجاز وقواتها المسلحة وحامياتها العسكرية ويقول بأن الضباط في القوات المسلحة أكثرهم من الأتراك والأكراد . ويحصل الجيش على وجبات الطعام على نحو مرض . وينقل خبز الجنود إلى الأسواق في مكة والمدينة حيث يشتريه الحجاج بكل سرور .

يوجه "ستينين" انتباه الروس إلى توافر المعادن والمصنوعات اليدوية المتطورة في شبه الجزيرة العربية . ويقول : أن العرب صناع بارعون مع ذوق سليم . ومنهم نقاشون وحجارون ونجارون، ويصنعون الخرز من عرق اللؤلؤ والمواد الأخرى والتعاويذ والحلي الفضية وقبضات السيوف والخناجر وقارورات البارود وحلي النساء . والمصنوعات اليدوية من المجوهرات تجد الإقبال من الناس . والعباءات الوطنية المصنوعة في الاحساء لا نظير لها من حيث جمال التصميم والتطريز بخيوط الفضة والذهب . وبصفة عامة تصنع الأواني القصديرية والأدوات المنزلية الأخرى من النحاس الأصفر أو الأحمر بصورة مستمرة[٢٥] .

وتفي الزراعة باحتياجات السكان حيث يزرع الشعير والدخن والذرة والبصل والفاصوليا واليقطين والخضراوات . ويزرع كذلك كل من النخيل والبابايا والموز والنارجيل والتين والبانيان الهندي . ويستخدم الصمغ للأدوية .

والإنتاج الرئيسي هو التمر . ويوجد أكثر من مائة نوع من التمور في العربية السعودية وأجودها جليبي وخلوة وبراني وحتلياي ويادي وبيض ولبانة وأدوية . وينقل "ستينين" قول الرسول (ص) "احترم النخلة لأنها أمك"[٢٦] .

وإذا كان العام مواتيا للمنتجات الزراعية وموافقاً لإنتاج النخيل تنتج النخلة الواحدة ٣٠٠ بود من التمر (البود = ٣٦ رطلاً) وتنتج الشجرة الواحدة ١٨٠ رطلاً في المتوسط . وتستخدم العمالة المؤقتة في الحصاد . ويوجد ١٠٠ مستوطن دائم في مستوطنة "شرم رابغ" لكن في فترة حصاد التمر من يوليو إلى سبتمبر في ضواحيها يزداد عدد المستوطنين هنا من ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ مستوطن . وحسب قول "شرباتوف" يتوافر التمر بكميات كبيرة لدرجة أن الناس يطعمون به الحمير والجمال . ويكلف رطل التمر المنتخب ١٠ كوبك .

وتطورت إلى حد كبير عملية تربية الحيوانات . ويتم تربية الخيول والحمير والجمال والجواميس والغنم بصورة ممتازة .

والقصد من تربية الخيول ليس فقط تلبية حاجات محلية بل بشكل كبير بهدف التصدير . وجدير بالذكر بأنه يشكل ارتباطاً وثيقاً بين مصالح البلدان العربية وروسيا . ويقول "شرباتوف" وهو متخصص رائد في هذا المجال ويمتلك مزرعة لإكثار الخيول : "لا يمكن اعتبار الخيول أصيلة إلا إذا كانت خيولاً عربية . وتبقى الخيول العربية أصيلة كما كانت في أيام الرسول (ص) قبل ١٣٠٠عام"[٢٧] .

كان الروس يرغبون في اقتناء الخيول العربية للسباق فقط .

ويوضح الجدول التالي عمليات شراء ونقل الخيول العربية إلى روسيا عام ١٨٨٨م[٢٨] :

(أ) الفحول

الاسم	سلالة الأم	سلالة الأب	عام الميلاد	اللون	اسم المالك
بولات	كهلان عجوز	منيحي بن شيل	١٨٨٥	رمادي	الكونتستروجانوف
سوتم الكريش	صقلاوي جدران	صقلاوي جدران	١٨٨٣	رمادي	"
شيخ	منيحي لاجرا	خيلان عجوز	١٨٨٦	رمادي	"
أمير العرب	خيلان الكرش	ابين شراك	١٨٨٣	أحمر	"
القادر	خيلان الكرش	منيجي بن شيل	١٨٨٢	أبيض	الدوق شرباكوف
فارس	إبيان شرك	خيلان رسل فدوى	١٨٨٦	أبيض	"

(ب) الأفراس

الاسم	سلالة الأم	سلالة الأب	عام الميلاد	اللون	المالك
عنزي	إبيان شراك	منيحي بن شيل	١٨٧٧	أبيض	الكونت استراجانوف
عرب	صقلاوي جدران	صقلاوي جدران	١٨٨٦	رمادي	"
غزال	خيلان رسل فدوى	سمخان الجمعة	١٨٨٥	رمادي	"
غازو	سعدان توجان	دغمان أم أمر	١٨٧٩ أو ٨٠	أبيض	"
سعيدة	خيل جلالة	صقلاوي جدران	١٨٨٤	أحمر	"
خمرة	خانداني سمري	خيلان نواق	١٨٨٤	كستنائي	"
شقراء	منيحي بن شيل	ابيان شراق	١٨٨٣	أحمر	"
ياالله ١	صقلاوي عبيران	منيحي خضرج	١٨٨٠	أحمر	"
بدوي ١	منيحي بن شيل	خمداني سمري	١٨٧٨	أبيض	"

كتب "شرباتوف" : "تحتل الخيول العربية دائماً أهمية بالغة لتحسين تربية الخيول في مختلف البلدان . ومثل قطرة عطر تعصر من ألف وردة تنشر رائحتها لوقت طويل ينقل الخيل العربي صفاته المتميزة إلى سلالات عديدة في المستقبل"[٢٩] . وتم توفير الخيول للاستيلاد لاصطبلات كل من الكونت "ستروجانوف" والدوق "شرباتوف" و "يلسكي كوستروفتسيف" و "شورينوف" والدوق "سانجوشكو" و "كوبيز" و "اكديلي" والدوق "رادزيفيل" وغيرهم .

وأحب الروس الخيل مثل العرب . وكانت روسيا في طليعة بلاد العالم في عدد الخيول التي تمتلكها . وحددت روسيا أساليب علمية لتحديد أصالة خيول السباق . وحدثت الزيارة الأولى للدوق "شرباتوف" وزوجته "شرباتوفا" مع الكونت "ستروجانوف" للخيول العربية في عام ١٨٨٨م بعد سفر طال ٤,٠٠٠ كيلومتر وكان دليلهم "نصر بن عبد الله" وهو بدوي من قبيلة "رسالين" من السبعه من عنزة . وتمت الزيارة الثانية في عام ١٩٠٠م[٣٠] .

وفي أكتوبر ١٨٩٩م كانت دائرة الخيول الأصيلة للكونت "ستروجانوف" الواقعة في مركز تربية الخيول الأصيلة بالقرب من "بياتيجورسك" في شمال القوقاز، كانت تشتمل على ٩ فحول و ٢١ فرساً و ٣٦ رأساً من الحيوانات الصغيرة . (وكانت لدى دائرة كابرديان العربية ٣٣٢ راساً و٩٠ فرساً) .

ويقيّم "بي سيتينين" الحصان العربي كحيوان لا مثيل له في قوة التحمل، وحسب رأيه، توجد أحسن الخيول في نجد ولكن بأعداد قليلة — ليس أكثر من ١٠,٠٠٠ حصان معظمها من سلالة ٥ أفراس (ولذلك فالخيول التي كانت للرسول (ص) خمس سلالات فحسب . ويورد الحاج "سليم جيري سلطانوف" أيضاً أقوالاً ممتازة عن الخيول من كتابات "أبو بكر بن بدر الدين" الذي عاش في القرن الثالث عشر[٣١] .

والجمل هو "سفينة الصحراء" في شبه الجزيرة العربية . وليس الجمل مجرد حامل البضائع الذي لابد منه، بل يوفر الحليب أيضاً، (لكن الروس لا يستسيغونه) . كذلك يوفر اللحم والصوف، الذي يعتبر أجود من صوف الغنم . وأحسن الجمال تربية هي "هجين" أو "ذلول" . وتستطيع الجمال أن تجتاز الطرق الوعرة بسرعة من ١١ إلى ١٥ كيلومتراً في الساعة، ويمكنها البقاء ستة أيام دون ماء تزيد حتى عشرة أيام في الشتاء .

ولا يسمح لبعض الحيوانات الحاملة للأثقال الدخول إلى بعض المدن مثل المدينة المنورة حيث تقف القوافل بعيداً عن تلك المدن . وكذلك الحال بالنسبة للمجازر .

وأما الأغنام فتوجد في شمال الجزيرة العربية حيث تتم تربيتها هناك . وتتسم بآذانها الطويلة وصوفها الطويل .

وأما الحيوانات البرية فمنها الظباء والغزلان (وقد كتب عنها الكتاب الروس الذين شاهدوها من قبل) ومنها الماعز الجبلي والقطط البرية والضباع والنمور والقرود . كما توجد الكثير من الطيور، منها النعام والبجع والدجاج الحبشي والصقور والنسور . كذلك يوجد العديد من الثعابين والضِّباب الكبيرة في الصحراء . ودهش قارئ روسي عندما عرف بأن العرب يأكلون الضباب الكبيرة والجراد المخلل .

ولقد أورد "دافليتشين"، الضابط في جيش القيصر الذي ابتعث إلى الحجاز رسمياً، تقريراً مفصلاً عن التجارة، غير أن تقريره لم يكن في متناول يد الأكثرية من الروس لفترة طويلة[٣٢] .

وتأتي البضائع الأوروبية بصورة رئيسية عن طريق استنبول، كما ترد الأغذية من مصر، ويأتي الحرير والملابس من دمشق وبيروت وبغداد والبصرة . وتبيع إيران السجاجيد، وتأتي العطور من الهند، وبضائع مختلفة من المستعمرات، أما روسيا فتصدر الأخشاب والطحين والكيروسين والسماور . وفيما يلي قائمة بالأسعار في مكة المكرمة :

البضائع بالوزن أو الحجم	السعر في موسم الحج	السعر العادي
رطل اللحم	١٢ كوبيك	١٨ كوبيك
الطحين (النوع الثاني)	٢٥ كوبيك	٢٧ كوبيك
الزبد	٤٠ كوبيك	٣٥ كوبيك
زيت الزيتون	٥٥ كوبيك	٥٠ كوبيك
الدهن	١٥ كوبيك	١٨ كوبيك
الشاي الأسود	٧٠ كوبيك	٧٠ كوبيك

البضائع بالوزن أو الحجم	السعر في موسم الحج	السعر العادي
الشاي الأخضر	١٠٠ كوبيك	١٠٠ كوبيك
السكر	١٧ كوبيك	١٨ كوبيك
الشمع عديم اللون	٢٦ كوبيك	٢٥ كوبيك
الكيروسين	٦ كوبيك	٦ كوبيك
رطل الخبز شبه الأبيض	٩ كوبيك	٦ كوبيك

ويلاحظ أن الأسعار في المدينة المنورة لمعظم البضائع أقل مما ذكر، فاللحم والطحين أرخص بكثير هناك، وكذلك الدهن . أما عن السكر والشموع والكيروسين والخبز المحمص فتكلفتها أكثر من ذلك .

وتزدهر التجارة المحلية والساحلية وفي مقدمتها المواد الغذائية والوقود والمصنوعات اليدوية والمفارش المصنوعة من أوراق النخيل والمراوح والحبال والمواد الصوفية السميكة وغيرها . ويباع السمك ومنتجاته واللؤلؤ والمرجان وعروق اللؤلؤ والسلاحف والأصداف على خط الساحل . كما يزداد الطلب على الأعشاب الطبية والصلب وأدوات الزينة الفضية . ومازالت تجارة الرقيق مستمرة وتشمل ٢٠٠٠ من الأرقاء سنوياً ومعظمهم من السودان والحبشة ومنهم الأطفال . ويعامل الأرقاء برفق . ويشتري الأثرياء من الحجاج العبيد بقصد تحريرهم لأن تحرير العبيد يعتبر من أحسن الأعمال لإرضاء الله حسب ما ورد في القرآن الكريم .

وتستخدم العملات من كافة أنحاء العالم في التعامل في التجارة بنظام مصرفي متطور جداً غير أن الحسابات شديدة التعقيد وتحتاج لاستخدام الورق في التسجيل . ويساوي الروبل الفضي الروسي من ١٢ إلى ١٣ قرشا وهو نافع . وترتفع قيمة النقود الورقية الروسية فالمائة روبل منها تساوي ٩٠ روبلاً ذهبياً .

وتكلم جميع الكتاب الذين نقلت عنهم المعلومات المستخدمة في هذا المطبوع عن لباقة العرب وكياستهم أثناء التعامل معهم في مختلف الأغراض[٢٣]، ومثال على ذلك

فعندما يكون "شرباتوف" أو زوجته في ضيافة أحدهم ويدخل على الجالسين بالسكن فيقوم كل الحاضرين ولا يجلس منهم أحداً قبل أن يجلس الضيف . و مصدر آخر يقول بشأن المكيين : "أنهم معروفون بكرم الضيافة لدرجة الإسراف"[٣٤] .

ويقول "دولتشين" : "إن أهل المدينة المنورة كرماء في الضيافة ومستأنسون وودودو الطبع ومستعدون دائماً ليمدوا يد المساعدة عند الحاجة . وهم أصدقاء مخلصون أثناء السفر" . ويضيف قائلاً بأن هذه الصفات موجودة بصفة عامة بين الحجازيين[٣٥] .

وحسب ملاحظاته، تتمتع النساء العربيات بحرية أكثر من التتريات في روسيا فتذهب الكثيرات منهن إلى السوق بمفردهن، ومنهن الشاريات ومنهن البائعات .

ويقول "ستينين" : "بصفة عامة، العرب من شبه الجزيرة العربية يتمتعون بالذكاء وهم مؤدبون وميالون للمساعدة، ويحبون الملابس الفاخرة ويزينون بيوتهم بذوق سليم ويتزاورون فيما بينهم كثيرا ويستقبلون ضيوفهم بكرم وترحاب"[٣٦] . وتتميز غرف الجلوس في بيوت أثريائهم بسلامة الذوق وبالمفروشات المزينة وفيها المتكآت والمخادع للجلوس وتغطي السجاجيد الفرش بالكامل، وتعلق المرايا على الجدران، وكثيراً ما يوجد السماور الروسي المزين بالنقوش والآيات القرآنية، في المحراب .

ويقدمون الطعام لضيوفهم بوفرة ومنها الأرز التقليدي ومختلف أنواع اللحوم، ثم القهوة والشاي الأسود (كلاهما قويان) بالإضافة للفواكه . ومن المأكولات الممتازة يذكر مخلل الجراد المحضر مسبقاً .

ويهتم جميع الكتاب كثيراً بالحجاج الروس، ويورد "دافلتشين" بعض الإحصائيات إذ يبلغ عدد الحجاج الروس حسب تقديره من ألفين إلى ثلاثة آلاف حاج ويصل في بعض السنوات إلى أربعة آلاف وخمسمائة حاج . وفي عام ١٨٩٩ لم يزد عدد الحجاج عن ٤٥٠ حاجاً بسبب العائدة على جوازات سفرهم، وكانت أعمار معظمهم تتراوح بين الخمسين والستين عاماً، ولم يصطحب سوى ٤ أسر منهم أطفالها .

وفيما يلي نسبة الحجاج حسب أوطانهم وجنسياتهم : ٢٥٠ من القرغيز – و١٠٠ من القوقاز (أكثرهم من ولاية "بريفان" – و ١٠٠ من التتر – و ٦ من الجزء الأوروبي لروسيا أي من سان بطرسبرج، ومن "ريازان" ٢١ حاجاً ومن "بنزا" اثنين، ومن "كازان"

١٦ حاجاً ومن موسكو اثنان، ومن أسفل ولاية "نوفوجورود" ٨ حجاج، ومن ولاية "سمبرسك" ١٤ حاجاً، ومن "الفا" ١٢ ومن "سمارا" ٧ حجاج ومن "اورين برج" ٩ ومن أستراخان" ٧ حجاج، وحاج واحد من "توبولسك" . ولم يخرج للحج أحد من"تركستان ومنطقة عبر بحر "قزوين" و "القرم"[٣٧] .

وكانت الجمعية الجغرافية الإمبريالية ورؤساء تحرير الجرائد والمجلات والكتب راغبين في إطلاع الروس بجغرافية وتاريخ وديانة وثقافة وتجارة البلدان وشعوب شبه الجزيرة العربية . ويرجع لهؤلاء الفضل في إلقاء الضوء على هذه المنطقة وتقريب الأمور التي كانت بعيدة عن أفهامهم . وقدم "ستينين" خدمة ممتازة فقد كان أول روسي يعمم وينظم المعلومات عن الشرق الأدنى والمنطقة المجاورة لحدوده .



الشيخ نصر (ناصر) بن عبد الله بدوي من قبيلة رسالين من السبعة من عنزة

الهوامش

1 - P.A Stenin. "East-The Countries of the Cross And Crescent and their inhabitants (Historical Geographic View" St. Petersburg. 1892. pp. 341-372.

2 - ibid.p. 392.

3 – A.G. Sherbatov, S.A. Stroganov "The Book About the Arabian Horse" St. Petersburg 1892. pp. 341- 372.

4 - ibid.p.80.

5 - "The Travel Notes of Two Hajis"..... Kazan, 1882. p.1-44.

6 - ibid, p.1-44.

7 - St. Petersburg Gazette. 1829. N100-101.

8 -"Galatea" 1829. V. 3 N14. pp.153-160.

9 - "Odessa's Gazette". 1832. N99-101. pp. 393-404.

10 – "A Magazine of Different Subjects of Literature". 1805. V. 2.

11 - "European Gazette" 1803 and 1819.

12 - "Reading Library" 1852. V. 112, pp. 139-144; 1854, V. 127 p. 115.

13 - "Russian Invalid". 1856. N.169-170.

14 - "World Traveler". 1872. N8 pp.1-71.

15 - "Caucasus". 1868. N43, 45,46.

16 – Davletshin: "A report of the staff-captain Davletshin on his official trip to Hijaz." St. Petersburg 1899 pp. 61-62.

17 - ibid, pp. 53,54.

18 - ibid, p. 59-60.

19 - Physical Geography. 1901. b.1-2 p.100.

20 - Davletshin: " A report of the staff-captain Davletshin on his official

trip to Hijaz" St. Petersburg. 1899 p. 55.

21 - Physical Geography, 1901. b. 1-2. p. 100.

22 – Davletshin: "A report of the staff-captain Davletshin on his official trip to Hijaz", St. Petersburg, 1899 pp. 61-62.

23 - "Physical Geography" 1901. b.1-2 p.125.

24 - Davletshin : " A report of staff captain Davletshin on his official trip to Hijaz". St. Petersburg. 1899. pp. 67-68.

25 - P.A. Stenin: "East - The Countries of the Cross & the Crescent and their Inhabitants" (Historical Geographical Review). St. Petersburg. 1892. pp. 348-349.

26 - ibid, p. 345.

27 - AG. Sherbatov. S.A. Stroganov: "The Book About Arabian Horses". St. Petersburg. 1900 p. 32.

28 - O.A. Sherbatova: "Astride in the motherland of Bedouins in search of thoroughbred Arabian horses". St. Petersburg. 1903. pp. 199-216.

29 – A.G. Sherbatov, S.A. Stroganov. "The Book About the Arabian Horse". St. Petersburg. 1903 pp. 33-34.

30 - ibid. pp. 32-36. pp. 42-46.

31 - "Physical Geography", 1901. b. 1-2. pp. 110-111.

32 - "Devletshin": "A report of the staff-captain Devletshin on his official trip to Hijaz. St. Petersburg. 1899. pp. 44-45.

33 - P.A. Stenin, "East-the countries of the Cross & Crescent and their Inhabitants (Historical, Geographical and Ethnographical Review). St. Petersburg. 1892. p. 348.

34 - Davletshin, "A report of the staff-captain Davletshin on his official trip to Hijaz." St. Petersburg 1899. p. 55.

35 - ibid. p. 56.

36 - P.A. Stenin. "East - the countries of the cross and crescent and their inhabitants", (Historical Geographical and Ethnographical Review". St. Petersburg. 1892. p. 349.

بعض الوثائق عن تاريخ العلاقات
في القرن ١٩ والنصف الأول من القرن ٢٠

يتناول هذا البحث بعض الجوانب للاتصالات التاريخية بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول للقرن العشرين . ويبنى هذا البحث على مصادر مختلفة موجودة في أرشيفات سان بطرس برج، بما فيها الأرشيفات التاريخية الروسية الرسمية والأرشيفات الرسمية للقوات البحرية الروسية والأرشيفات الرسمية للصور والوثائق

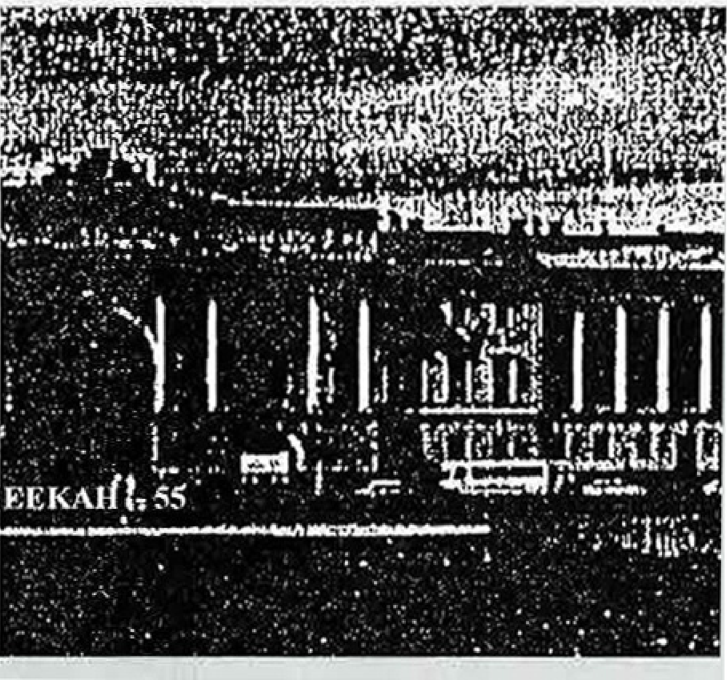


٥٤. الوثيقة

بين روسيا وبلدان الجزيرة العربية
المتواجدة في أرشيفات سان بطرس برج الرسمية

بقلم : الدكتور نيكولاي دياكوف

السينمائية ونحو ذلك . وقد أعطى البحث اهتماماً بالغاً لتاريخ العلاقات الدينية والثقافية ما بين المسلمين الروس، خاصة بين سكان منطقة سان بطرس برج والجزء الشمالي الغربي لروسيا، وللإحصائيات والبيانات الأخرى حول الحجاج وتقارير الدبلوماسيين الروس والضباط والزوار من الجزيرة العربية والمناطق المجاورة .



ويتضمن البحث أيضاً بعض المواد حول الاتصالات الأولى الرسمية ما بين الدول المستقلة في الجزيرة العربية والاتحاد السوفييتي في النصف الأول للقرن العشرين .

منذ العقود الأولى في العصر العباسي، فإن الاتصالات التي قامت بين العرب والقبائل السلافية الشرقية برئاسة أمرائهم الروس، أي "كاجان" و "نيازيين" فيما بعد، تطورت على نطاق واسع وكانت ميزاتها الخاصة التعاطف المتبادل والشفقة الودية .

وقد تدعمت هذه الروابط بصورة ملحوظة عندما أسلم سكان المناطق الشرقية والجنوبية لروسيا . وعاش هؤلاء المسلمون على شواطئ نهر فولجا (آيتيل) والأراضي الواسعة في شمال وغرب بحر قزوين (أو البحر الأخضر) . ومن ثم، انطلاقاً من الديانة المسيحية بدأ المسافرون الروس اكتشاف الأماكن المقدسة في كل من فلسطين وشبه جزيرة سيناء ووصلوا لقرب الحدود الشمالية للجزيرة العربية .

أما العصر الوسيط من تاريخ الاتصالات الروسية — العربية، فقد شهد عدة حملات روسية للمسافرين والتجار إلى البلدان العربية فيما يسمى "الهلال الخصيب" . ونقل هؤلاء المسافرون لمواطنيهم وصفاً مثيراً عن الحياة اليومية للعرب، وعادات وتقاليد العرب في كل من سوريا وفلسطين والعراق ومصر وغيرها .

ولكي ندرك هذا التعامل في التعارف المتبادل، ما علينا إلا أن نذكر اسم مسافر روسي مسيحي بارز ومؤلف قدير "دانييل" الذي زار سوريا وفلسطين في أوائل القرن الثاني عشر ؛ وكذلك المسافر الروسي الشهير من مدينة تفير "أفاناسيلي نيكيتين" الذي نحن مدينون له لبياناته الاستثنائية عن سكان كل من إيران والهند وبلدان الشرق الأوسط في القرن الخامس عشر الميلادي .

وجدير بالذكر أنه حتى في بداية تطور الاتصالات التاريخية بين العرب وبين السلافيين الشرقيين، فقد لعبت روسيا الشمالية دوراً محورياً فيها ؛ والطريق الرئيسي عبر القارات من "فائكنج"، الذي كان يسمى " فارياجس" عند الإغريق بدأ من السواحل الجنوبية الشرقية لبحر البلطيك، المعروف لدى العرب كبحر البلطيق أو "بحر العنبر" .

واكتُشفت هناك أعداد لا يستهان بها من الدراهم العربية[1] في الأراضي التي كان يسكنها عدد كبير من قبائل السلاف والفنلنديين .

وحتى إلى هذا اليوم، يمكن لنا أن نستمتع بجمع عملة معدنية تعود للعصر العباسي والمحفوظة في بعض المتاحف المتواضعة في الولايات الروسية الواقعة في الشمال الغربي، وعلى سبيل المثال في مناطق "نوفجورود" والمدن القديمة الأخرى .

وفي العصر الحاضر الذي افتتحه في روسيا حاكمه الشهير ومصلحه "بطرس الأعظم" قد أصبح بحر البلطيك، المخرج الروسي البحري الكبير إلى الغرب . والعاصمة الجديدة، التي أسسها بطرس على سواحل "نيفا"، أصبحت ليس فقط الميناء الرئيسي الروسي والمركز السياسي والاقتصادي التي واجهته أوروبا، بل أكبر مركز للعلوم والفنون .

وأثناء حوالي ثلاثة قرون من تاريخ سان بطرس برج، اشتهرت كمركز هام للدراسات الشرقية، وبالطبع للدراسات العربية التي يمثلها اليوم أساتذة وباحثون جامعيون وأكاديمية العلوم والمكتبات والمتاحف ودور الآثار التي تقتني مجموعات هائلة من الآثار الأنثروبولوجية والأركيولوجية والفنية .

ونظراً لأنها العاصمة الشمالية لروسيا، أي "البلمير" الشمالي (ذات نخل طويل مروحي السعف)، تبقى سان بطرس برج مركزاً هاماً معترفاً به للأرشيفات والوثائق التاريخية عبر العالم .

ومن بين مئات الأرشيفات الخاصة في سان بطرس برج، توجد الوثائق المختلفة الهامة حول التاريخ السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي والتاريخ الثقافي لروسيا وعن علاقاتها مع جيرانها غرباً وشرقاً .

ويعمل آلاف الباحثين الروس والأجانب كل عام في الأرشيفات الرسمية التاريخية في سان بطرس برج، وموقعها في أجمل المباني المركزية في المدينة القديمة بالقرب من قبة كنيسة "سان إسحاق" الشامخة .

ولازالت توجد هناك ملفات لا تعد ولا تحصى من الوثائق والمخطوطات المتعلقة بالعهد المتوسط لتاريخ دولة روسيا وعن تاريخ سياسة روسيا تجاه آسيا الوسطى المسلمة والقوقاز، وحول حروب كثيرة ضد الإمبراطورية العثمانية أو ضد ملوك إيران في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وتكمن في الملفات معلومات سرية فريدة عن الزمن الماضي .

ومن بين هذه الوثائق القيمة يمكن العثور على بعض الوثائق النادرة والفريدة حول تنمية العلاقات التجارية والثقافية بين روسيا وبين العالم العربي بما فيها تقارير الخطوط الملاحية والتوثيق الرسمي لدوائر التجارة الخارجية والنقليات والشئون الروحية والمعتقدات وما إلى ذلك .

وكانت سان بطرس برج دائماً تعتبر عاصمة القوات البحرية الروسية مع مينائها الدولي التجاري وأحواض السفن وقواعدها للقوات البحرية .

ويقع على جزيرة "فاسيليفسكي" للمدينة واحد من أحسن المتاحف البحرية في العالم، إذ يمتلك أرشيفات خاصة لنفسه عن الوثائق الصُوَرية حول تاريخ البحرية الروسية .

وعلى الساحل المقابل لنهر "نيفا"، يمكن للزائر أن يزور مركزاً مهماً آخر للتوثيق وهو الأرشيفات المركزية الرسمية الروسية ومبناها الرائع . وقد تم تشييدها في بداية هذا القرن من أجل التوثيق المتخصص الرسمي لدائرة القوات البحرية .

ولعدة قرون، ومما يدعو للعجب، لم تكن البحار سبباً للفصل بين قارات العالم . وتوفر "الأرشيفات الروسية للقوات البحرية" للباحثين المصادر المختلفة للاتصالات مع روسيا، إذ كانت روسيا دائماً قوة بحرية دولية بالنسبة إلى جيرانها وحلفائها أو منافسيها على ساحة السياسة الدولية .

ولقد تمت دراسة معظم هذه الاتصالات بالفعل من قِبَل المتخصصين في تاريخ العلاقات الخارجية والسياسة العسكرية لروسيا . وهنا يجب علينا أن نذكر أولاً بأول الدراسة التي قام بها أحد زملائنا عن زيارة السفن الروسية لسواحل الجزيرة العربية .

وزميلنا هذا متخصص في الشئون العربية هو الدكتور أفيم رزفان، من معهد الدراسات الشرقية لسان بطرس برج، وقد نشر بعض الدراسات الممتعة في هذا الشأن .

ومع ذلك يبقى كثير من الجوانب الهامة لتاريخ روسيا من حيث الاتصالات الروسية البحرية مع شعوب الجزيرة العربية التي يمكن ويجب أن تعالج ويتم تحليلها من جانب المؤرخين . ومنها الجوانب الإنسانية لهذه العلاقات الثنائية التي أنشئت نتيجة الحملة البحرية الأولى التي قامت بها روسيا إلى جزيرة العرب والخليج في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وإضافة إلى ذلك تتضمن سان بطرس برج أرشيفات عديدة متخصصة حول التاريخ الاجتماعي والسياسي للمنطقة . وكذلك بعض المراكز الهامة للتوثيق للأكاديمية الروسية للعلوم والجمعية الروسية للجغرافية والدوائر الإقليمية للتطور الاقتصادي والدائرة الداخلية وغير ذلك .

وأثناء إعداد هذا البحث، عالج المؤلف جزءًا بسيطاً فقط من أرشيفات سان بطرس برج . وساعدت ميزانيتها على معالجة دراسة الاتصالات التاريخية بين روسيا ودول شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . ومن هذه الأرشيفات يمكن ذكر كل من الأرشيفات الروسية التاريخية الرسمية والأرشيفات الروسية الرسمية للبحرية والأرشيفات الرسمية للصور والوثائق السينمائية .

إن تعدد أنواع الوثائق وحتى اختيار المواضيع تحت الدراسة، يفسر القصد وراء النظر في الإطار العام للعلاقات الثقافية والإنسانية المتبادلة، سواء كانت على المستوى الرسمي أو على المستوى الشخصي ما بين ممثلي شعبين عظيمين .

ومن دون شك فإن إلقاء الضوء على الجوانب الجديدة لهذه العلاقات المتبادلة ذات أهمية للثقافات والعلاقات الإنسانية مما يمهد الطريق لحدوث تفاهم أكثر بين الروس وبين شعوب شبه الجزيرة العربية أي بين منطقتي الثقافات العظيمة في العالم المعاصر .

١ – الدبلوماسيون والعلماء

يفتشون عن الخيول العربية الأصيلة

إن صفحة مشوقة في تاريخ العلاقات بين روسيا وبين الجزيرة العربية تكشفها أمامنا بعض الوثائق المتواجدة في الوزارة الروسية عن الأملاك الرسمية لمنتصف القرن التاسع عشر .

وتعالج كثير من الملفات في الأرشيفات التاريخية الرسمية موضوع شراء الخيول العربية الأصيلة من أجل المشاريع الرسمية لعملية إكثارها .

يقول رئيس دائرة تربية الخيول الرسمية ، "الكونت بي دي كيسيليف" في رسالته إلى وزير الدولة لممتلكات الدولة[٢] : "إن تحسين تربية الخيول الوطنية ذو أهمية بالغة من أجل الازدهار والتطور العام للدولة" .

وقد تم إعداد استبيان خاص لإرساله للبعثات الدبلوماسية الروسية في الشرق الأوسط لتقييم إمكان شراء الخيول العربية ذات الخواص المتميزة .

ومن بين الردود التي وصلت من الموظفين الحكوميين كان رداً جلب الانتباه لندرة موقفه وكفاءته وبياناته الفريدة .

وكان كاتبه القنصل العام الروسي في بيروت الذي أعد بحثاً قيماً عن التاريخ الاجتماعي السياسي لكل من سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني ، لكنه نشر بعد عدة سنوات في أوائل الستينات من القرن الماضي[٣] .

أمضى صديق حميم لكاتب روائي روسي – نيكولاي جوجول – اسمه "كونستانتاني بازيلي" (١٨٠٩ – ١٨٨٤م) حوالي ١٥ سنة كقنصل في سوريا واعتبرها من أسعد سنوات حياته على الرغم من الخسائر العائلية التي تكبدها وهي وفاة زوجته وابنه[٤] .

وبدأ "سي بازيلي" تقريره عن بيع الخيول في الجزيرة العربية بوصف عام للأوضاع الجغرافية عن شبه الجزيرة العربية التي كانت ملائمة لتربية أحسن الخيول في العالم .

ويتضمن التقرير المواصفات الرئيسية للخيول العربية الأصيلة للسباق وطبائعها وغرائزها وسرعتها وثباتها وشجاعتها وغير ذلك .

ثم وصف القنصل العام الأساليب المختلفة للتغلغل في المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية للوصول إلى اليمن ومسقط .

وعبر قرون عديدة تمتعت الخيول العربية الأصيلة باحترام المجتمعات المحلية، وكرس لها الشعراء قصائد لا حدود لها . ووجدت مكاناً مرموقاً في الأدب العربي والفولكلور .

غير أن الخيول العربية الأصيلة فقدت خصائصها الممتازة بسبب ابتعادها عن موطنها الطبيعي . ومن ثم تحويلها إلى اصطبلات الحكام والأثرياء واستخدام الأطقم والألجمة الغير التقليدية (خاصة التي استخدمها الأتراك، حسب قول بازيلي) قد أدى إلى تدهور أكثر لأحسن خيول السباق .

وكان الخطر العظيم يكمن في تصدير الخيول العربية الأصيلة بأعداد ضخمة من قبل الشركات الإنجليزية للهند لاستخدام الجيوش الاستعمارية .

وكان يتم تصدير حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف من الخيول سنوياً عن طريق بغداد والخليج إلى بومباي، وكان ينْفَق منها ثلث هذا العدد تقريباً على متن السفن قبل الوصول إلى السواحل الهندية(٥) .

والصفحات التالية لتقرير "بازيلي" مشوقة جداً لمن يهتم بالهياكل الاجتماعية والاقتصادية للبدو . وتتناول الأوضاع والشروط لتربية الخيول العربية الأصيلة والمهار . وكانت لها ملكية مشتركة . وتوزيعها – حسب قول "بازيلي" – بمثابة تأمين مشترك للفرائس الأصيلة مارسه الغرب منذ القدم . ولكن في نفس الوقت، سبب هذا الأسلوب التقليدي بعض المشاكل للأجانب الذين اشتروا الأنواع العادية فحسب(٦) .

ونال تقرير "سي بازيلي" تقديراً عالياً في سان بطرس برج . ولقد وزعت وزارة ممتلكات الدولة نسخاً منه مطبوعة على الحجر، إذ كان يعتبر بياناً أساسياً لمن يهتم بمشاريع تربية الخيول .

ونتيجة لذلك أعطت الحكومة قرضاً خاصاً لبازيلي في سبتمبر ١٨٤٩م (٢٠٠٠ روبل ذهبي) لشراء الخيول العربية وخاصة الفرائس الأصيلة من أجل روسيا .

والخطوة الشيقة التالية في محاولة روسيا لشراء أحسن الخيول العربية كانت مرتبطة باسم مستعرب أسطوري فنلندي مستكشف اسمه "البروفيسور جورج أوغست فالين" (١٨١١ – ١٨٥٢م) . وكان هذا الباحث يمثل جامعة هلسنكي (وآنئذ كانت الجامعة معروفة أيضاً باسم "جامعة الإسكندر") وكان هذا العالم ذا سمعة عالية لدراساته الشرقية ولمؤلفاته عن الثقافة العربية واللغة، وكان أساسها الأبحاث الميدانية الفريدة التي قام بها في أسفاره في الجزيرة العربية بين سنتي ١٨٤٥ و ١٨٤٨م (في وادي سرحان، وحائل، ونجد، وتبوك، وتيماء، ومشهد علي وغيرها) .

وما كتبه المستعرب الروسي الشهير "كراتشوفسكي" : "جي إيه فالين، يمثل فخر المستشرقين الفنلنديين حقاً، وهذا الشخص يجذب اهتمامنا كالمستشرقين الروس لأنه يجسد في نفسه ميولاً في الدراسات الشرقية الهلسنكية، لم تبلغها التقاليد الأكاديمية الروسية . . "[٧] .

يوجد ملف يتضمن ١٨ صفحة حول "جمع المعلومات عن الخيول العربية" كتبها الأستاذ "جي إيه فالين" وهو عازم على السفر إلى الجزيرة العربية ويوجد الملف في الأرشيفات التاريخية الرسمية لروسيا (سان بطرس برج) ويلقي الضوء على هذه المحاولة الرائعة للحكومة الروسية لاستخدام هذا العالم البارز وخبرته الخاصة في حل مشكلة ذات أهمية وطنية[٨] .

إن الوثيقة الأولى لهذا الملف تمثل العلاقات الرسمية بين الجمعية الجغرافية الروسية الإمبريالية ووزير الدولة لممتلكات الدولة "الكونت بي دي كيسيليف" وفيها كتابة لرئيس الجمعية الجغرافية الروسية "إم إن مورافييف"، فحواها أن تقصد الجمعية

بالتعاون مع الجمعية الجغرافية اللندنية لابتعاث الأستاذ "جي إيه فالين" ليستكشف المناطق الداخلية للجزيرة العربية بما فيها نجد، موطن أحسن الخيول العربية[٩].

ويتضمن الملف خطة سفر الأستاذ "فالين" التي يصف فيها مراحل الاكتشافات لكل من "برك هاردت" و"نيبور" و"ويلستيد" والآخرين.

وكتب فالين: "إن الرحلتين اللتين سأقوم بهما لاحقاً إلى المناطق الداخلية للجزيرة العربية قد تلقيان ضوءاً جديداً على ولايات "جبل شمر" التي لم يتم اكتشافها إلى الآن بصورة مرضية من ناحية علم الفلك أو الجغرافية".

"وكافة الخرائط للجزيرة العربية الداخلية تقوم على الافتراضات والقرائن، أساسها مجرد قصص الرحلات والأسفار للعرب القدماء"[١٠].

"ويتعلق الأمر بالولايات الشرقية لنجد وهي الآن تحت حكم الأمراء السلفيين من أسرة آل سعود. وحين تمثل "نجد" نفسها ولاية مهمة في الجزيرة العربية حيث نشأت القبائل القحطانية من اليمن والبدو العدنانيين من الأجزاء الجنوبية. وهكذا فإن الثقافة والتقاليد الجنوبية التي تأثرت كثيراً بالهنود والحبشيين، قبلت تأثيراً من تاريخ كل من سوريا وبلاد الرافدين"[١١].

"وعلاوة على ذلك تجد المنطقة الداخلية للجزيرة العربية اهتماماً خاصاً لأنها تفصل بين صحراوين عظيمتين: إحداهما تقع في وسط وشمال الجزيرة العربية، والثانية في جنوبها. وفي نفس الوقت تحميه من تأثير سلسلة جبل طي في الشمال ومن جبل العروض في الجنوب".

"ومن هذه الأرض أود أن أتوجه إلى "مهر"، وهي ولاية رائعة في جنوبي شرق الجزيرة العربية ولم يكشف عنها أي سائح أوروبي..."[١٢].

"يفترض بعض العلماء (على سبيل المثال، الدكتور فريكل) بأن اللهجة الحميرية القديمة لازالت تستخدم في هذا الجزء من الجزيرة العربية وأنا حريص على دراسة هذه اللهجة".

"أحاول أيضاً أن أتوغل داخل ولاية الحجاز . ولقد أقمت علاقات ودية مع بعض القبائل المحلية أثناء رحلتي السابقة إلى الجزيرة العربية . وأحاول من هناك أن أصل إلى القصيم، وهي المركز القديم للثقافة في الجزيرة العربية وأتوجه من هناك إلى الرياض _ حيث يسكنها الحكام السلفيون . . ."(١٣) .

قال جي إيه فالين : "إني آمل أيضاً أن أزور بلداً تصفه خرائطنا كمنطقة غير مأهولة . والذي يقع وراء جبال العروض، وبعد أن أقوم بأبحاثي هناك سأغادر لبغداد حيث أرتب فيها مذكراتي وأرسلها إلى بطرس برج" .

"وهكذا إن الهدف الرئيسي من سفري هو اكتشاف هاتين الولايتين ودراسة اللغة المستخدمة في "مهرا" . ومن هناك أود أن أسافر من خلال جبال اليمن على طول حدود ولايات حضرموت الشهيرة والأحقاف في عمان"(١٤) .

ومواصلة للهدف الرئيسي لوزارة ممتلكات الدولة، اقترح مدير لجنة تربية الخيول تزويد الأستاذ "فالين" بالاستبيان لعام ١٨٤٨م حول إمكان شراء الخيول الأصيلة أثناء سفره للجزيرة العربية .

وتم ترتيب لقاء خاص مع "جي إيه فالين" من قبل لجنة رعاية الخيول في ديسمبر عام ١٨٥١م في سان بطرس برج، وفيه اقترح الأستاذ الفنلندي الاعتماد على كفاءة القنصلية الروسية في القاهرة لشراء الخيول العربية . غير أن الأمور انتهت بشكل مأساوي فجأة عندما وصل خبر وفاة "فالين" إلى سان بطرس برج في بداية عام ١٨٥٢م .

وهكذا انتهت قصة طموحة لمحاولة استخدام مستعرب بارز في حل قضية ذات أبعاد وطنية كانت بإمكانها أن تفتح آفاقاً جديدة في العلاقات بين شعبي روسيا والجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر في المجالات العلمية والعلاقات الإنسانية .

٢ - الروس في سواحل الجزيرة العربية

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

واجهت شبه القارة العربية في بداية القرن التاسع عشر مشاكل جديدة صعبة في تطورها الاجتماعي والسياسي سببهما الزيادة بصفة عامة في التوتر الدولي في الشرق الأوسط والموافقة المتزايدة بين القوى الدولية الرائدة في اتخاذهم مواقفهم الاستراتيجية في جنوبي غرب آسيا .

وإن ظهور قوة دولية كبيرة أي ألمانيا القيصرية، على الساحة السياسية واقترابها من الإمبراطورية العثمانية قد سبب إعادة توزيع القوى في وحول الجزيرة العربية .

وتوجد وثائق كثيرة تلقي الضوء على هذه الفترة الدرامية في تاريخ العالم في الأرشيفات الروسية الرئيسية الرسمية وهي مفتوحة للباحثين المحليين والأجانب الآن على حد سواء . وبالنسبة إلى الأرشيفات الروسية الرسمية للقوات البحرية في سان بطرس برج فإنها تزود الباحثين بمواد قيمة ليس فقط عن التاريخ البحري بخصوص روسيا القيصرية بل أيضاً حول جوانب مهمة عن علاقاتهـــا مع جيرانها في أوروبا والشرق الأدنى .

وقد نشرت عدة دراسات قيمة من قبل العلماء الروس حول تاريخ السياسة الاستعمارية للقوات الغربية في شبه القارة العربية والخليج . (وهنا يجدر ذكر مؤلفات الأستاذ "جي إل بونداريفسكي" وأذكر على سبيل المثال تأليفه مع آخرين معنون "سياسة بريطانيا والعلاقات الدولية في منطقة الخليج العربي"، موسكو، ١٩٦٨م)

وقد تم أخيراً إعداد بحوث جادة في تاريخ زيارات السفن الروسية الأولى إلى السواحل العربية تحت إشراف المستشرق الشهير من سان بطرس برج الدكتور "أفيم رزفان" (بعضها باللغة الإنجليزية وبعضها بالعربية) .

إن المجلدات الضخمة من مقتنيات الأرشيفات الرسمية البحرية لاتزال تحتاج إلى الدراسةمن قبل المتخصصين في التاريخ العسكري والسياسي . وبالنسبة لنا يقتصر بحثنا على الوثائق التي تتضمن معلومات نادرة عن الاتصالات السلمية والإنسانية الناجمة عن الحملات البحرية الروسية إلى السواحل العربية .

وحتى خبر الزيارة القصيرة الأولى للسفينة الحربية الروسية "جلياك" للخليج العربي في بداية ١٩٠٠م أصبح خبراً مثيراً للغاية من حيث الرأي العالمي . وكتب قائد السفينة الكابتن "إم أندرينيوس" قائلاً بأنه رغم جميع الفتن التي يدبرها الإنجليز، فإن مجرد ظهور "جلياك" في البصرة سبب موجة من الحماس بين المحليين[١٥] .

وكذلك تلقى طاقم السفن الحربية الروسية ترحيباً حاراً في الكويت والموانئ الأخرى في الخليج العربي .

ولاحظ كثير من الباحثين أن الترحيب الحار الذي قدمه الشيخ مبارك، شيخ الكويت لـ "جلياك" قد أظهر لعبته السياسية المعقدة ونية واضحة ليقيم ميزاناً جديداً للقوى في الخليج بإضعاف قوة الأتراك وتقوية النفوذ المتزايد لبريطانيا العظمى . ورغم ذلك كتب الكابتن "أندرينيوس" في تقريره إلى قيادة القوات البحرية عن الوئام وحسن النية التي أبداها الكويتيون سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشخصي بين الرجال العاديين[١٦] .

وباختتام الأزمة الكويتية المزعومة عند تحول كل من القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وبمشروع إنشاء سكة حديد بغداد وصلت إلى مركز قيادة القوات البحرية بعض التقارير المشوقة التي عالجت التطور في الرأي العام العالمي .

والنظرة العامة للرأي العام الهندي حول الشئون المعاصرة في الكويت في خريف عام ١٩٠١م توجد في تقرير للقنصل العام الروسي في بومباي "إم كليم" مع تحليل لرد فعل الصحف الهندية الاستعمارية للمجابهة السياسية الواردة في الجزء الشمالي من الخليج العربي[١٧] .

ومما يشوقنا أن الوثائق الكثيرة لعدة جمعيات علمية وثقافية وعامة والنوادي الروسية العديدة احتوت معلومات نادرة عن الموقف في الخليج لحد ما .

وفي نوفمبر عام ١٩٠١م عقد مؤتمر شيق، على سبيل المثال ، من قِبل جمعية محافظي المعلومات العسكرية . وفيه قدم أحد أعضائه "إس إن سيرومياتنيكوف" تقريراً بعنوان "الأهمية العالمية للخليج العربي"(١٨) .

وجاء في التقرير المذكور لـ "سيرومياتنيكوف" : أنه بإنشاء سكة حديد بغداد ستزداد الأهمية العالمية للخليج العربي" لأن المسافة من أوروبا إلى الهند ستقل كثيراً .

ثم قرأ المحاضر بعض الإحصائيات المشوقة مع معلومات جغرافية واقتصادية متعلقة بالخليج في بداية قرننا مزودة بالإحصاءات عن المدن الرئيسية وموانئ المنطقة وعدد سكانها واقتصادها وتجارتها الخارجية وغيرها(١٩) .

واستخدم "سيرومياتنيكوف" أثناء محاضرته رسوماً توضيحية استجابة لمستمعيه المتحمسين لبعض الأشياء التقليدية مثل الأزياء العربية والكوفية والأدوات المنزلية والأسلحة وغيرها .

إن اسم عالم الحيوان الروسي "إن في بوجويافلينسكي" معروف ليس فقط لزملائه اليوم بل عند جميع العلماء الذين يدرسون القضايا الاجتماعية والسياسية لدول شبه الجزيرة العربية لبداية القرن العشرين .

وفي ربيع عام ١٩٠٢م تم ابتعاث "إن. بوجويافلينسكي" في مهمة علمية إلى ساحل الجزيرة العربية . وأثناء هذه المهمة استطاع أن يزور كلاً من المحمرة والكويت والبحرين ومسقط . وأثناء زيارته لهذه الأماكن كان من المعتاد أن يزور الباحث الحكام للمنطقة شيوخها وسلاطينها . وفي تقريره ذكر بأنه حصل على ترحيب حار تقليدي من السلطات المحلية والمواطنين . وفي وصف للقاءاته الكثيرة قال " بوجويافلينسكي" "بأن مجرد اسم روسي يجذب الناس ويحب الشيوخ العرب أن يروا الروس في بلادهم أكثر فأكثر" وأوضح بأن السكان المحليين شعروا بالنير البريطاني حول أعناقهم ، ومجرد رؤية الروس

زودتهم بالقوة للنضال ضد العبودية لبريطانيا وأعطتهم أملاً بأن العالم لم يتركهم تماماً تحت رحمة بريطانيا العظمى[٢٠].

وتمثل مراسلات "بوجويافلينسكي" اليوم مصدراً هاماً حول تاريخ الاتصالات المباشرة الأولى بين روسيا ودول الخليج العربي . ويحمل هذا المصدر أهمية خاصة بسبب ملاحظاته الشخصية المليئة بتفاصيل مشوقة عن الحياة اليومية للمحليين سواء كانوا حكاماً أو رجالاً عاديين .

ويعرف بأنه في نهاية القرن التاسع عشر بذلت بريطانيا جهداً كبيراً لتحصين مراكزها في السواحل الشرقية للجزيرة العربية . ونجحت بريطانيا في إجبار الشيوخ المحليين على قبول فرض حمايتها على البحرين ودولة عمان التي أبرمت اتفاقيتها معها . وفي عام ١٨٨٠م أجبرت بريطانيا البحرين على توقيع الاتفاقية الأولى المطلقة . وبعد احتلال قطر ١٨٨٢م، وعقب إبرام الاتفاقية مع عمان في ١٨٩١م والكويت عام ١٨٩٩م، قام الإنجليز بالتوغل الاستعماري لمنطقة الخليج كليةً . ثم لاحظوا بدقة بأن أية قوة أوروبية أخرى، حتى حلفائهم النشطاء أو المحتملين لم تستطع أن تصل إلى الجزيرة العربية شرقاً أو جنوباً .

وفي رسائله أبدى "بوجويافلينسكي" وجود بعض المحافظين المحليين الذين حاولوا حفظ التوازن في مصالح القوى الخارجية في المنطقة . وبهذا الهدف رغبوا في أن تلعب روسيا دوراً أكثر فعالية في سياسة الخليج .

وعلى الرغم من ردود الفعل التقليدية لممثلي بريطانيا إلا أن "بجويافلينسكي" تلقى ترحيباً حاراً للغاية من قِبل بعض النبلاء العرب . وفي رسالته المؤرخة ١٤ يونيو ١٩٠٢م ذكر لقاءه مع الشيخ محمد عبد الوهاب الفيحاني وهو من البحرين . وساعده هذا الشيخ في الحصول على سكن مريح له، بل واشترى منزلاً لضيفه الروسي مقابل مبلغ ضخم لمالكه السابق .

وبعد أن ذلل بعض العقبات، فقد نجح الشيخ عبد الوهاب في ترتيب لقاء خاص بين "بوجويافلينسكي" وبين حاكم البحرين، الشيخ عيسى . ورحب به الشيخ عيسى أيضاً ترحيباً حاراً في حضور ابنه الأكبر وولي عهده .

تأثر "بوجويافلينسكي" عميق الأثر بحسن ضيافة الشيخ محمد عبد الوهاب والنبلاء الآخرين، وفي البداية نسبه إلى الاحترام الفائق الذي تمتعت به روسيا في منظورهم(٢١) .

وفي رسائله التالية ذكر "بوجويافلينسكي" لقاءاته مع ثلاثة من الحكام العرب الآخرين وهم كل من الشيخ خزعل من المحمرة والشيخ مبارك للكويت (١٦ يونيو ١٩٠٢ م) وسلطان مسقط فيصل بن تركي (٧يوليو ١٩٠٢م) .

يقول "بوجويافلينسكي" : "على الرغم من أن زياراتي للخليج كان هدفها الدراسات في علم الحيوان بعيداً عن السياسة كل البعد، إلا أنني أثناء لقاءاتي مع الشيوخ ومواطنيهم، اضطررت للإجابة على أسئلة كثيرة منهم وبعضها كانت ملائمة ليرد عليها المثلون السياسيون والدبلوماسيون وليس عالم الحيوان" .

ونتيجة استلام رسالة توصية من القنصل الروسي في بوشهر "إم. جي. أوفسينكو"، أرسل الشيخ خزعل شيخ المحمرة سكرتيره إلى "بوجويافلينسكي" بدعوة له أن يسكن قصره .

وفي اليوم التالي أعرب الشيخ خزعل له عن أقصى مشاعر الصداقة لروسيا واستعداده الشخصي ليقدم أي خدمة له .

وعقب مغادرة الشيخ خزعل قال سكرتيره لـ "بوجويافلينسكي" بأن الشيخ كان شديد التعاطف مع روسيا وذكر على سبيل المثال بأن قصر الشيخ قد شيده مهندس روسي "إس. إن. سيرومياتنيكوف" واستوردت كافة المستلزمات للقصر من روسيا بناءً على أمر شخصي من الشيخ .

ولاحظ "بوجويافلينسكي" بأن عطف الشيخ بلغ إلى درجة أنه أمر بعضاً من رجاله ليرافقوني في طريقي إلى الكويت (اثنين إلى الفاو وخمسة من الفاو إلى الكويت) .

ولما وصل "بوجويافلينسكي" إلى الكويت لم يجد الشيخ مبارك هناك إذ كان في خيمة خارج المدينة على بعد خمس ساعات للراكب من هناك . ورحب به ابن الشيخ وولي العهد جابر الذي خابر على الفور أبيه عن وصول الضيف الروسي .

وعاد الشيخ مبارك إلى عاصمته لمجرد لقاء ضيفه . ولما أخبره "بوجويافلينسكي" عن قصده للمغادرة بعد أربعة أيام، قام الشيخ مبارك بزيارته التوديعية مرة ثانية .

وقال الشيخ مبارك : "إنني أعتبر الروس أصدقاء، ويسرني عندما يأتون لزيارتي . وأنا دائماً على أهبة الاستعداد لأعمل لهم أية تسهيلات يريدونها" .

وكتب "بوجويافلينسكي" : "عند التوديع أعربت له عن أعمق الامتنان والشكر لكرم ضيافته . وطلب الشيخ مبارك مني أن أنقل لجلالة إمبراطور روسيا في عاصمته سان بطرس برج أخلص مشاعره للأخوة والصداقة"[٢٢] .

يقول "بوجويافلينسكي" في رسالته المؤرخة ١٦ يونيو ١٩٠٢م : "إن اتساع روسيا نفسها وحجمها وامتدادها عبر قارتي أوروبا وآسيا ترك إحساس الاندهاش على المضيفين العرب ومنهم الشيخ مبارك والشيخ محمد عبد الوهاب" وأراهما "بوجويافلينسكي" امتداد روسيا على الخرائط الجغرافية .

ورداً على الأسئلة حول وضع المسلمين داخل روسيا، عرض عليهم "بوجويافلينسكي" وصفاً لمساجد روسيا وأشار ضمناً إلى بناء مساجد جديدة مما أخاف الإنجليز الذين نشروا إشاعات بين الناس بأن السلطات الروسية تحاول رد المسلمين إلى المسيحية . ولم تعمل السلطات الروسية إلا مد يد المساعدة لبناء مساجد جديدة وتوفير تسهيلات لهم في أنشطتهم .

ونقلاً عن الشيخ عبد الوهاب، قال "بوجويافلينسكي" ليس من المستغرب أن يخاف العرب الإنجليز الذين عاشوا هنا لمائة سنة . ونحن نعرفهم جيداً . ولديهم المدافع والسفن الحربية في المنطقة . وليس هناك أوروبيون آخرون يعاونون العرب . وإذا قامت

سفن روسية بزيارات أكثر للمنطقة فلا يخشى العرب الإنجليز . وكان الشيخ عبد الوهاب قد نقل لـ "بوجويافلينسكي" هذه الملاحظة سراً .

وبتلخيص ملاحظاته وانطباعاته عن روسيا للعرب نجح "بوجويافلينسكي" في رسم صورة خلابة لروسيا لهم ورحب العرب بزيارات السفن الروسية لموانئ الخليج العربي . وفي رؤيته كان التعاطف مع روسيا في محله مقابل سخط العرب تجاه السياسة البريطانية في منطقة الخليج .

ووصف "بوجويافلينسكي" الترحيب به من قبل فيصل بن تركي، سلطان مسقط قائلاً بأنه مكث في مسقط لمدة أسبوع، وفي كل يوم يزوره السلطان وكبار ضباطه . وفي ختام زيارته رافقه السلطان فيصل بن تركي نفسه، وأعرب له عن مشاعره المخلصة لروسيا وللقنصل العام الروسي في بو شهر[٢٣] .

وانتهت الدورة الخليجية لـ "بوجويافلينسكي" بزيارة قصيرة لمسقط مما مهد له الطريق لهذا العالِم ليفهم مشاعر الصداقة والأخوة التي كان يكنها العرب لروسيا في قلوبهم وكذلك يفهم الدور الثقافي والسياسي لروسيا في الشرق الأوسط في بداية القرن العشرين .

وتوجد معلومات مشوقة عن الخليج العربي في تقارير الكابتن سارتشيف، قائد الطراد "بويارين" الذي زار موانئ الجزيرة العربية الشرقية في بداية عام ١٩٠٣م .

وفي تقريره المؤرخ ٢٣ فبراير ١٩٠٣م يصف "ساريتشيف" مجيئه لمسقط وتأدية التحيات التقليدية له من قبل المدافع الساحلية في قلعة "ميراني"[٢٤] .

ينتقد الكابتن "ساريتشيف" الوضع الاقتصادي المحلي بسبب قلة الأرباح التجارية . ومصدر الدخل الوحيد للسلطان كان رسوم الاستيراد إضافة إلى الإيجار الذي تدفعه له الحكومة البريطانية . ويمارس السكان المحليون صيد السمك التقليدي وتربية المواشي . وتوفر كميات ضخمة من سمك السردين الحد الأدنى من التغذية والسماد الطبيعي وغذاء الأغنام والمواشي .

وفي ٢٤ فبراير عام ١٩٠٣م قام السلطان فيصل بن تركي بالترحيب بالكابتن "ساريتشيف" وثلاثة من طاقمه وعرَّفهم على شقيقه وابنه ولي عهده . وأثناء الاستقبال قال "ساريتشيف" إن عودة "بويارين" في طريقه إلى الباسيفيك استهدف تطور علاقات الاحترام والود بين دولة روسيا وبين جيرانها .

ومن جانبه طلب السلطان من الكابتن الروسي أن ينقل أطيب مشاعر الامتنان إلى جلالة قيصر روسيا الإمبريالي .

وفي بداية مارس ١٩٠٣م رست "بويارين" في الكويت ومعها الطراد الفرنسي "أنفريت" . وتلقت السفينة الروسية تحية تقليدية وزارها ممثل شخصي للشيخ مبارك وابن ولي عهده الشيخ جابر بن مبارك . وكلاهما هنأ الضباط الروس لزيارتهم للكويت .

وفي الصباح التالي رد الكابتن "ساريتشيف" من جانبه زيارته الجوابية إلى الشيخ مبارك . وأثناء محادثاتهما جاء ذكر سكة حديد بغداد ولاحظ الشيخ بأنه يريد أن يبدأ الروس في إنشائها بصورة نشطة .

وبعد تفقده معالم الكويت وزيارة مواقعها التاريخية وأسواقها . .الخ، قام الكابتن "ساريتشيف" بزيارة عبد العزيز بن سعود ومعه بعض الضباط الروس والفرنسيين . وكان ابن سعود قد وصل إلى الكويت حديثاً بعد انتصاراته في نجد وحربه ضد ابن رشيد .

ويتضمن التقرير مشاهداتهم المشوقة عن الأوضاع السياسية والعسكرية المعقدة السائدة في دول الخليج حين التقارب بين تركيا وبين الدول الغربية .

وكان رد الفعل البريطاني لزيارة سفينة روسية مع سفينة فرنسية وكما وصفه الكابتن "ساريشيف" عصبياً وقلقاً، على الرغم من أنها كانت من سفن حلفائها . هناك ملاحظات حول دور التجار الروس في تجارتهم مع الكويت خاصة في استيراد جلود الأغنام . ومثل هذه العلاقات التجارية ساعدت في تنمية العلاقات الثنائية بين روسيا ودول المنطقة في تلك الفترة .

وتلخيصاً للنتائج العامة الناجمة عن زيارة الطرادين الروسي والفرنسي لموانئ الخليج يقول الكابتن "ساريتشيف" بأنهما تلقيا ترحيباً حاراً من المحافظين المحليين والسكان بصفة عامة وفي نفس الوقت كان هناك رد فعل شديد للغاية من الإنجليز .

وكتب الكابتن "ساريتشيف" : "كان الناس مرتاحين من رؤية الضباط الروس والفرنسيين معا لأنها كانت مشجعة للخليج وقد تخفض نفوذ وتوسع بريطانيا في المنطقة"(٢٥) .

وحتى في الأرشيفات المتخصصة مثل الأرشيفات الرسمية البحرية يستطيع الباحث أن يعثر على معلومات نادرة عن الحجاج الذين سافروا إلى الأماكن المقدسة في هذه الجزيرة العربية من روسيا .

غير أن هذا الموضوع يقع خارج نطاق هذا البحث لكنه جدير بالذكر بأن بعض الوثائق الهامة ومنها التقارير المثيرة من القنصل الروسي في جدة "إم. براندت" الذي أخبر سفارته في القسطنطينية عن محاولات تثير الغضب للإدارة التركية في الحجاز التي حاولت إقناع المسلمين الروس بقبول حماية السلطان العثماني(٢٦) .

وبعض الوثائق من هذا النوع تعالج الشتائم التي تستخدمها السلطات التركية ضد الحجاج الأجانب .

وعلى سبيل المثال يوجد تقرير للقنصل الروسي في جدة "إم. طوهولكي" إلى السفارة في القسطنطينية يتناول وضعاً حرجاً يتعلق بحجاج من الجزائر الذين أجبرهم الوالي المحلي على مواصلة سفرهم إلى المدينة بالبر وليس بالبحر كالمعتاد . وحلت المشكلة بظهور الطراد الفرنسي "أنفريت" آنئذ غير أن معظم الجزائريين ذهبوا للمدينة بالبر واضطروا إلى تأجير الجمال بأسعار غالية .

وتتضمن تقارير كثيرة من القنصل في جدة إحصائيات مهمة حول الحجاج الروس الذين قاموا بفريضة الحج عام ١٩٠٣م .

وفي تقريره المؤرخ ١٩٠٤م ذكر القنصل الروسي عدداً أقل بكثير للحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة فقال :

"غادر ٧١٩٤ حاجاً جدةُ إلى الشمال، وكان من بينهم ٢١١١ من الروس (من مواطني كل من تركستان وبخارى وكييف وسيبيريا والقوقاز) . ومن ميناء ينبع كان العدد الكلي ٢٦٤٠ حاجاً وكان عدد الروس من بينهم ١٧٤٨ حاجاً . ومعنى ذلك أن عدد الحجاج الروس عامة بلغ ٣٧٠٠ حاج في عام ١٩٠٤م" .

"ويجب أن نضيف إلى هذا العدد حوالي ٥٠٠ مسلم من تركستان وبخارى الذين جاءوا عن طريق أفغانستان وبومباي"[٤٧] .

٣ - بعض النماذج الموجودة في الأرشيفات الرسمية عن تاريخ العرب للوثائق الصُوَرِية في سان بطرس برج

لقد بدأ دور جديد في روسيا في عام ١٩١٧م وشهد ميولاً هامة في تطوير العلاقات بين الدولة السوفييتية وبين بلدان شبه الجزيرة العربية .

ويجدر الملاحظة أن الاتحاد السوفييتي هو أول من اعترف باستقلال العربية السعودية . وفي عام ١٩٢٤م أقيمت علاقات دبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي وبين الحجاز . وفي ١٦ فبراير ١٩٢٦م اعترف الاتحاد السوفييتي بالدولة العربية السعودية المتحدة رسمياً "انطلاقاً من مبادئ حرية تقرير المصير واحتراماً لإرادة شعبكم الذي انتخبكم ملكاً لهم يعترف الاتحاد السوفييتي بكم ملكاً للحجاز وسلطاناً لنجد وولايات عسير والمنطقة الشرقية وغيرها" . وكان هذا نصاً رسمياً لحكومة روسيا الاشتراكية السوفييتية المتحدة[٢٨] .

إن النصف الثاني للعشرينات في القرن العشرين وبداية الثلاثينات شهد تطوراً ملحوظاً في العلاقات الثنائية خاصة في مجال التجارة بين روسيا والدولة السعودية . وأبحرت البواخر بين الموانئ الروسية وجدة حاملة العلم السوفييتي والمنتجات السوفييتية كالسكر والمنسوجات والحبوب والسليكات وحتى المنتجات النفطية . وعقب إعلان سبتمبر عام ١٩٣٢م حول المملكة العربية المتحدة السعودية، تم الاعتراف بها رسمياً من قبل روسيا .

وقبل بضعة شهور أي في مايو ١٩٣٢م قام وفد رسمي من كل من الحجاز ونجد والولايات المتحدة برئاسة صاحب السمو الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك المستقبل للعربية السعودية) بزيارة الاتحاد السوفييتي . وفي ٣يونيو ١٩٣٢م زار الوفد لينينجراد (سان بطرس برج سابقاً) حيث عقدت فيها اجتماعات عديـدة مهمة مع السلطات المحلية .

ولازالت توجد بعض الصور المشوقة لهذه الزيارة التاريخية في الأرشيفات الرسمية للصور الوثائقية والسينمائية في سان بطرس برج .

وتظهر الصور الاحتفالات الرسمية الترحيبية للوفد السعودي في سكة حديد موسكو المركزية في محطة لينينجراد . ومن ثم بعض الاجتماعات التي عقدت في منزل عمدة لينينجراد . وأخيراً صور عديدة عن زيارة صاحب السمو الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى المعهد الرسمي لزرع الشجيرات مما يشير إلى اهتمامه البالغ بإمكان التعاون بين البلدين في ميدان الزراعة والعلوم الطبيعية[٢٩] .

وحتى الإلمام البسيط بميزانية الأرشيفات الرسمية لسان بطرس برج يبدي أهمية الوثائق عن تاريخ العلاقات الروسية ببلدان الشرق الأوسط بدول شبه القارة العربية .

وكان الغرض الأساسي لهذا البحث رسم الخطوات الأولى في إقامة الاتصالات الثقافية والإنسانية ما بين ممثلي شعبين عظيمين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . والوثائق المذكورة أعلاه تثبت بوضوح مدى هذه العلاقات التي مرت بمراحل صعبة أحياناً ومراحل إيجابية كثيرة .

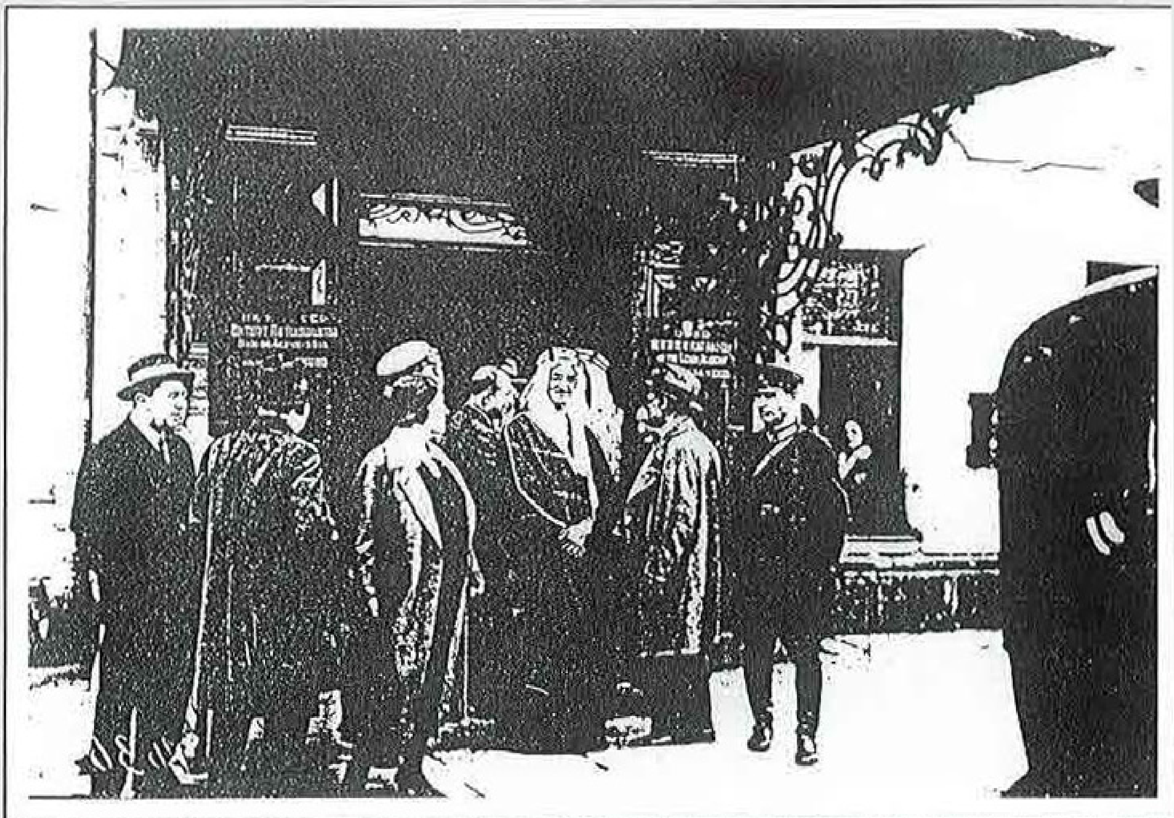
والآن نلاحظ بارتياح أن الأرشيفات الروسية التاريخية فتحت أبوابها للباحثين مما يعطي مجالاً لهم ليكتشفوا صفحات جديدة عن اتصالات متعددة الجوانب بين الشعوب وثقافتهم . والمطبوعات الحالية لبعض الباحثين الروس والباحثين الأجانب تؤكد لنا بأن العمل في هذا المجال ليس إلا مجرد البداية .



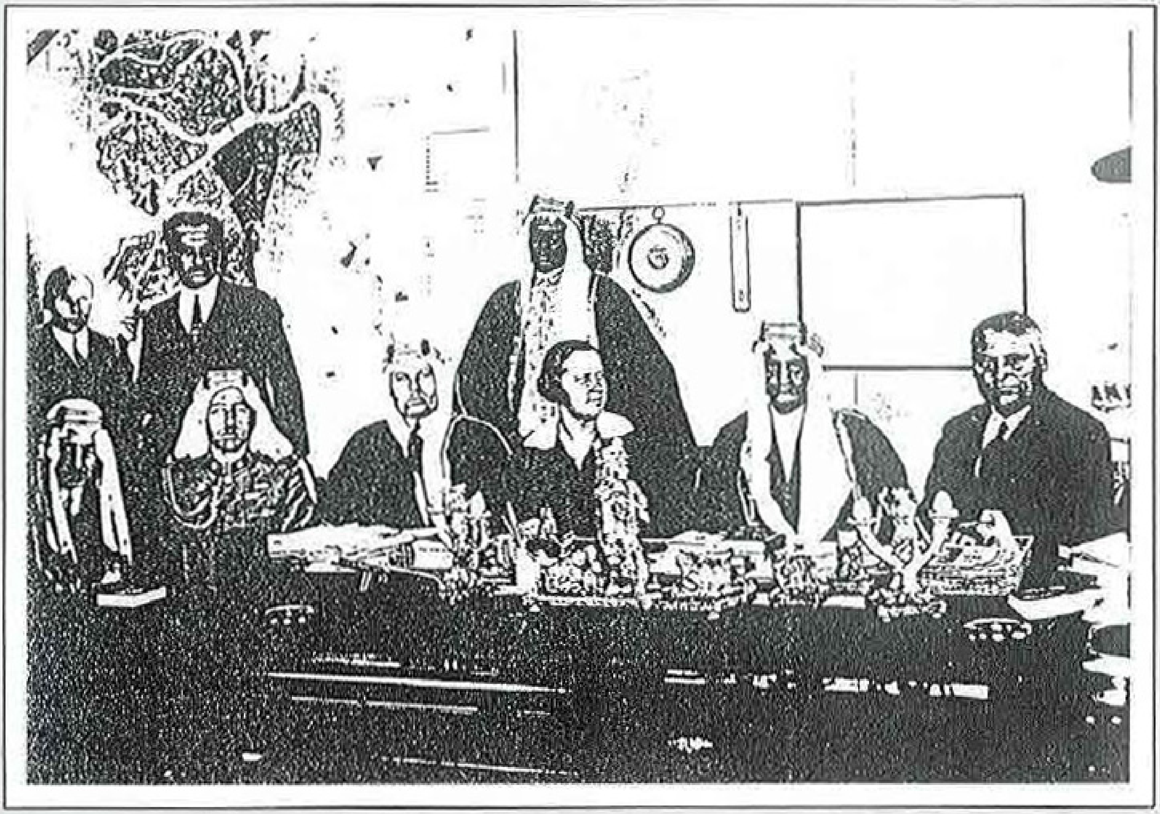
المستشرق البروفيسور الفنلندي (فالين) من جامعة هلسنكي وهو عالم في
الدراسات الشرقية وله مؤلفات عن الثقافة العربية وكان كثير الأسفار
للجزيرة العربية بين سنتي ١٨٤٥-١٨٤٨م



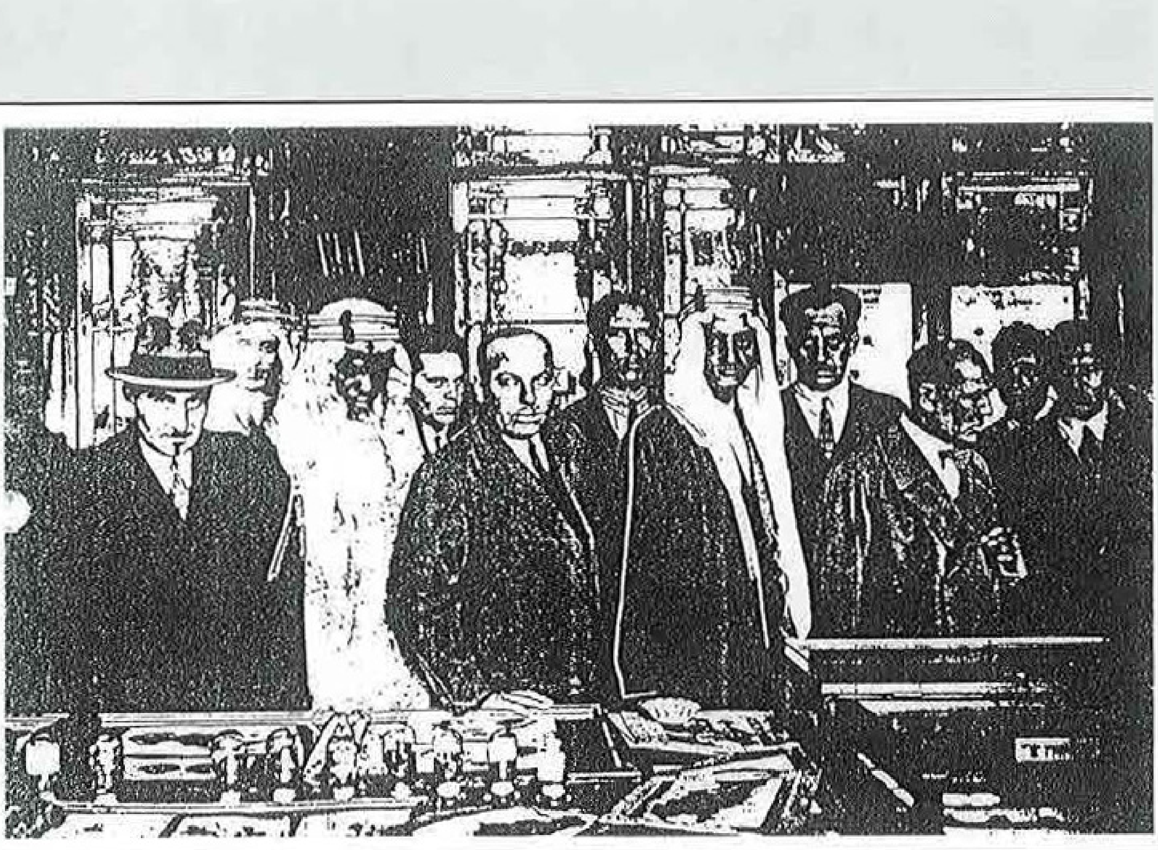
صاحب السمو الأمير فيصل بن عبد العزيز أثناء زيارته لينينجراد في يونيو ١٩٣٢م



الاحتفالات الترحيبية لاستقبال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز والوفد المرافق معه وذلك في المحطة المركزية لسكة حديد موسكو - لينينجراد



زيارة الوفد السعودي برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى لينينجراد
واجتماعه في منزل عمدة المدينة



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز والوفد السعودي المرافق في زيارة المعهد الزراعي الحكومي في لينينجراد

الهوامش

1 - Bartold V. V., The History of the Study of the Orient in Europe and in Russia. Vol. IX, Moscow, 1977. p. 358.

2 - The State Historical Archives of Russia (S. H. A. R.) F. 412, 3, 632. 31/12/1848. N 2156.

3 - Bazili C. M. Syria and Palestine under the Turkish Government. Odessa, 1861-1862; Saint Petersburg, 1875; Moscow, 1962; Bazili Kistantin. Suriya wa Filastin Taht al-Hokm al-Usmani, Moscow, 1989 (in Arabic).

4 - Syria, Libanon and Palestine Described by Russian Travellers, Moscow, 1991. PP. 236-254.

5 - S. H. A. R. F. 412, 1, 116. C. Bazili's report on buying Arab horses, Beirut, 19/04/1849. p. 47).

6 - Ibid. P. 48.

7 - Kratchkovski I. J. Sel. Works. Vol. V. Moscow-Leningrad, 1958, P. 221; Dantsig B.M., The Near East in Russian science and Literature. Moscow, 1973 PP. 137-138.

8 - S.H.A.R. F.412, 1, 116.

9 - Ibid., Letter of 28/09/1851. N. 27728.

10 - Ibid Sheet 1. PP. 1-2.

11 - Ibid Sheet 3. P. 1.

12 - Ibid. Sheet 4. P. 1.

13 - Ibid. Sheet 5. P. 1.

14 - Ibid. Sheet 5. PP. 1-2.

15 - The Russian State Archives of the Navy (R. S. A. N.) F. 417, 1, 2032. 3/03/1900.

16 - Ibid.

17 - R. S. A. N., F. 417, 1, 2032. 20/09/1901.

18 - Ibid F. 417, 1,2512.

19 - For example, Oman: population - 1.6 min. inh., territory - 81000 sq. m, capital Muscat - 30000 inh., Foreign trade in 1900-1901: export 1.340.000 Roubles, import - 3.360.000 R., customs - about 200.000 R. ; Bahrain, capital Manama, under Brit. protect., about 50.000 inh., export 4.494.000 R., import - 4.258.800 R. ; Kuwait - 80.000 inh., 200 ships of 20-300 ton, export – about 1 min. R., import – about 1 min. R. ; Al-Qatif – 18.300 inh. Turk. Garrison etc.

20 - Ibid. F. 417, 1, file 2512. 15/01/1903.N 9.

21 - Ibid. F. 417, 1, file 2512. 14/06/1902.

22 - Ibid. 16/06/1902.

23 - Ibid. 7/07/1902.

24 - Ibid. F. 417, 1, file 2613.

25 - Ibid. Reports of February - March 1903.

26 - Ibid. F. 417, 1, 1316. Report of 24/11/1894.

27 - Ibid. F. 417, 1, file 2757.

28 - The Archives of the Foreign Policy of the USSR. (A.F.P. USSR). 1926. F. 127, 1, 6, The Note of the Soviet Government of 16/02/1926, N 22; Vassiliev Alexei M., The History of Saudi Arabia (1745-1973), Moscow, 1982. PP. 295-297.

29 - The Russian State Archives of the Photo and Cinematographical Documentation (R.S.A.Ph.C.D.) F. 42211. 1932. The visit of the State Delegation of Hejaz, Najd and the Joint Provinces. June, 1932.

دول الخليج العـ
في القاموس العرقي الـ

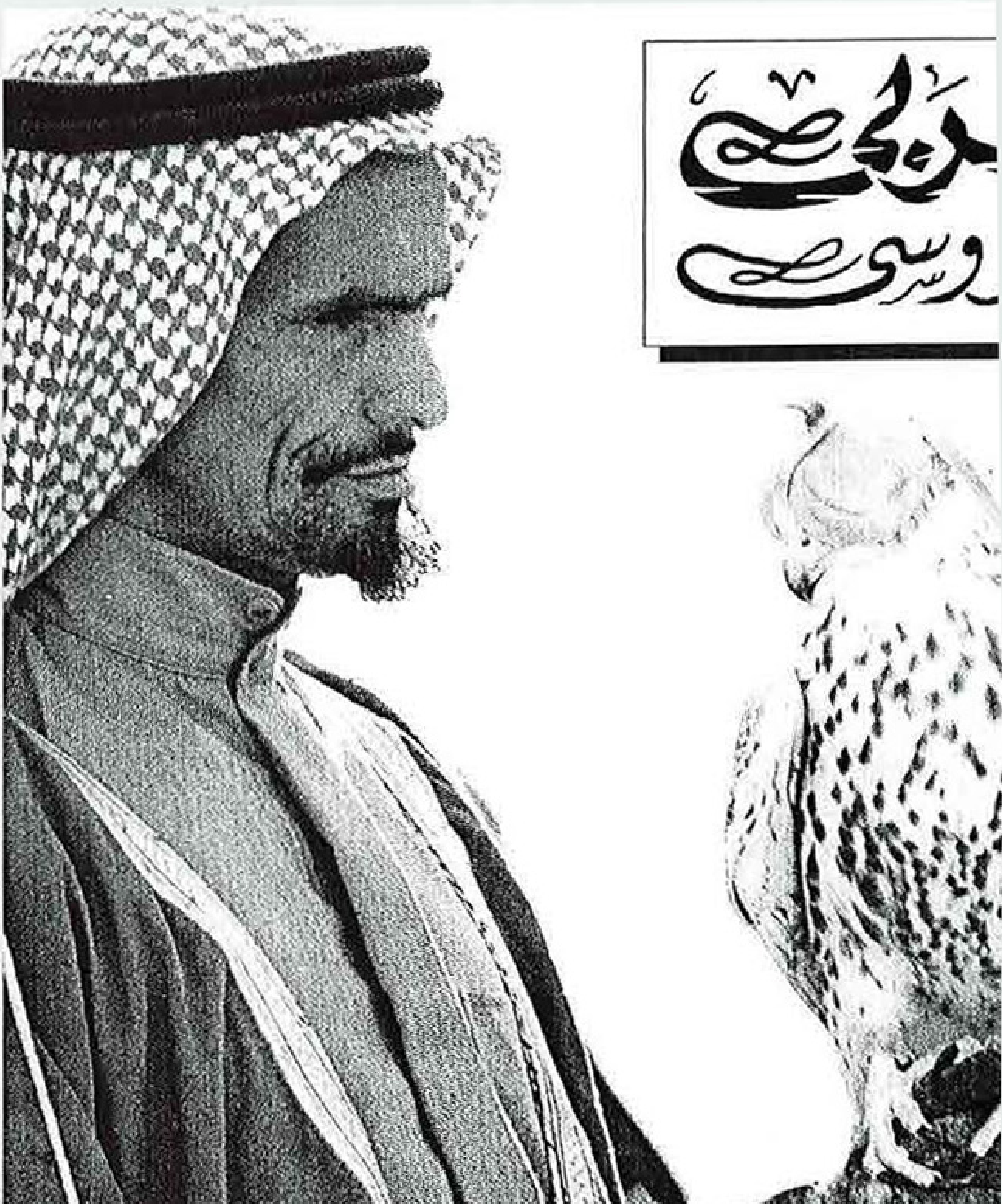
بقلم ميخائيل روديونوف

يركز هذا المقال على موضوعين :

أولاً : البيانات الموثقة التي استخدمت (أو كان لابد من استخدامها) من قبل علماء الأعراق الروس حول دول الخليج العربية في النصف الأول للقرن العشرين .

وثانياً : طريقة الأسلوب العام للعلماء الروس لفهم الثقافة التقليدية للعرب الخليجيين . دعنا أولاً أن نناقش خلفية الموضوع .

إن القاموس الروسي العرقي المذكور في عنوان هذا المقال يعكس معلوماتنا عن الثقافة الشعبية للدول العربية في الخليج التي كانت قد جمعت في المسلسلات العرقية السابقة ضمن الأبحاث القديمة[١] . إن التقليد الروسي في دراسات الدول الخليجية أقدم من قرن وله علاقة بعشرات الطلاب وكثير من الكتب والمقالات والنظرة العامة والتقارير[٢] . وفي عام ١٧٠٣م أبلغ "بيتر تولستوي" السفير الروسي في القسطنطينية بأن هناك من العرب في ضواحي بابل (بغداد) الذين كثيراً ما يعملون ضد الأتراك[٣] .



ويمكن لنا أن نعتبر هذا البيان كنقطة البداية إضافة إلى زيارة السفينة التجارية الروسية "أفاناسيتي نيكيتين" في طريقها من الهند إلى إيران وضمنها زارت مسقط . وحتى المطبوعات الحديثة حول الموضوع تجلب التعليق أحياناً " كحقل يكشف عنه إلا نادراً" أو "ملء فراغ أجوف" أو "محاولة أولى" أو "فتح صفحة مجهولة" . . .الخ . وبصفة خاصة تنتبه المطبوعات إلى تغطية العلاقات الروسية مع الشيخ مبارك بن صباح أمير الكويت وزيارات السفن الروسية إلى الخليج في الفترة بين ١٩٠٠ و ١٩٠٣م(٤) . ولحد ما يمكن تفسير هذا المظهر بالحقيقة أن البحث الأساسي لم يكن مسموحاً للإشارة إليه حول موضوع ما حتى الوقت الحاضر . والبحث المشار إليه هو "روسيا والخليج العربي"، للمؤلف "جي. إل. بونداريفسكي" يناقش فيه دور الخليج في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية الروسية(٥) .

ولم تطبع منه إلا ٢٥٠ نسخة وكل نسخة مرقمة في عام ١٩٦٤م من قِبل "معهد الشعوب الآسيوية" في موسكو كنشرة خاصة للاستخدام الرسمي فقط لنخبة من الموظفين . وتم تخزين عدة مطبوعات مغلقة في فروع خاصة في عدد من المكتبات الهامة . ولم تذكر هذه المطبوعات في الكتالوجات والببليوجرافيا وظلت في متناول يد بعض المخلصين للحكومة فحسب الذين كان لهم حرية مراجعة بعض أجزائها وبعض الوثائق منها . وكان مسموحاً لهم نقل بعض الفقرات منها دون ذكر المصدر . وهذه المطبوعات المحتجزة بعيداً عن أنظار الناس اعتبرت كأن لم تكن .

وبخصوص كتاب "بونداريفسكي" ماذا كان سبب وضعه في متناول يد عدد محدود فحسب ؟

كان السبب حسب اللجنة الإدارية للنشرة الخاصة كالآتي : "طبقاً لرغبة منظمات كثيرة تُعِد اللجنة الإدارية كتابات "بونداريفسكي" لا من أجل النشر العام لأنها تتضمن بيانات لأرشيفات خاصة(٦) . [أنظر شكل (٢)] ومن المناسب أن نحدد نوع العلامات المتميزة للبيانات .

إن الكتاب تحت الفحص يتضمن ثلاثة أجزاء مقسمة إلى ١٥ فصلاً . وقد طبع كل جزء كمجلد مستقل للنشرة الخاصة رقم ٤٤ . فلننظر إلى النقاط الرئيسية لمحتوياتها :

الجزء الأول (١٥٧ صفحة)

مقدمة قصيرة :

الفصل الأول : "إن – كرزون" وأعمال الاستعماريين البريطانيين ضد روسيا في الخليج العربي .

الفصل الثاني : الحرب بين "البوير" وبريطانيا وتقدم الاستعمار الروسي في كل من إيران ومنطقة الخليج .

الفصل الثالث : "جلياك" – الزيارة البحرية للخليج وسوء الإعلام عنها من المستعمرين .

الغصل الرابع : العلاقات الروسية الكويتية .

الفصل الخامس : تفاقم النزاعات في الخليج .

الفصل السادس : تأسيس مواصلات البواخر بين أوديسا وبين البصرة .

الفصل السابع : مشروع البواخر الروسية على نهر "دجلة" .

الفصل الثامن : التوسيع التجاري والمسائل العـامة للسياسة الروسية في دول الخليج .

الفصل التاسع : التقدم المضاد للاستعمار البريطاني في الخليج .

الفصل العاشر : المفاوضات الروسية البريطانية لعام ١٩٠٣ .

الفصل الحادي عشر : ن – زيارة "كرزون" إلى البلاد الخليجية .

الفصل الثاني عشر : النزاعات الداخلية بين النخبة الروس بخصوص المسائل الخليجية .

الفصل الثالث عشر : مسألة إيران والاتفاق بين بريطانيا العظمى واليابان لعام ١٩٠٥م .

الجزء الثالث : (٢٥٣ صفحة)

الفصل الرابع عشر : المفاوضات السرية ما بين كل من اليابان وتركيا والسويد في ١٩٠٤ – ١٩٠٥م .

الفصل الخامس عشر : الخليج والاتفاق الأنجلو روسي لعام ١٩٠٧م . مسألة المضيق .

ويجدر بنا أن نقارن محتويات تأليف "بونداريفسكي" بما كتبه بعد أربع سنوات فقط . (١٩٦٨) وهو للقراءة العامة وعنوانه "السياسة البريطانية والعلاقات الدولية في منطقة الخليج"[٧] .

ويتناول هذا الكتاب السياسة الروسية والسياسة البريطانية على الرغم من أن خمس محتوياته يعالج البحث السابق بصفة خاصة . وكالفصل الحادي عشر عن "مسألة الكويت والدبلوماسية الروسية" والفصل الثاني عشر عن "مسألة الكويت وتفاقم النزاع ما بين القوى الاستعمارية من أجل الخليج في شتاء عام ١٩٠١ — ١٩٠٢" في الجزء الثالث وكذلك الجزء الرابع ككل بعنوان "التقدم المضاد للاستعمار البريطاني في الخليج" (الفصل الأول) و "الخليج والنزاع ما بين نخبة السلطات الحاكمة البريطانية تجاه السياسة الخارجية" والفصل الثاني : "المفاوضات الأنجلو-روسية لعام ١٩٠٣ وزيارة كرزون إلى منطقة الخليج والفصل الثالث :"الاتفاق الأنجلو-روسي لعام ١٩٠٧ والخليج"[٨] .

وهكذا انكشفت عدة مصادر أرشيفية كانت مخفية[٩] في "النشرة الخاصة" عن أنظار عامة الناس . غير أنه حذفت بعض المواضيع كلية أو اختصرت في المطبوعات العامة .

وأهم هذه المواضيع يتعلق بالمفاوضات غير الرسمية التي عقدت بين الممثلين الروس والشيخ مبارك بن صباح حول العلاقات الودية مع روسيا بما فيها فرض حماية سان بطرس برج على مشيخة الكويت . وكانت الخطة الروسية للسيطرة على الخليج تسمى "السياسة الجديدة للعمل" من قِبل المتحمس لها "أ. ف. كروجلوف"[١٠] وقد قدم توصية قوية إلى سان بطرس برج لتقبل مقترحات الشيخ مبارك . وقد نالت هذه الملاحظة اهتماماً تافهاً في "السياسة البريطانية" حين نالت اهتماماً بالغاً في "روسيا بالنسبة إلى الخليج"[١١] .

وكتب "بوندرافسكي" بان الدبلوماسية القيصرية لم تقم بتقييم آنئذ للفوائد التي تعود عليها من قبول مقترحات الشيخ مبارك الفورية . . . وفي بداية القرن العشرين لم يكن النظام القيصري مستعداً ليدخل في الصراع النشط من أجل الخليج . . . لأن بريطانيا كانت قد فرضت حمايتها على الكويت في وقت ضعف النظام القيصري بسبب

ثورة عام ١٩٠٥ وهزيمته في حرب الشرق الأقصى وكان قد اضطر في عام ١٩٠٧ إلى الوصول إلى اتفاق مع عدوه الرئيسي في آسيا أي بريطانيا العظمى[١٢] .

ويظهر بأنه في بداية الستينات من القرن العشرين عندما أصبحت الكويت مستقلة عن بريطانيا بالفعل، امتنعت سلطات الاتحاد السوفييتي عن نشر هذه الصفحات التاريخية خشية أن تعتبر إعادة للمطالب الإمبريالية القديمة والدعاوي السابقة .

وبصرف النظر عن أسلوبها في الكتابة القديمة والمصطلحات العتيقة، غير أنه يمكن ترجمة الكلمات "روسيا والخليج" إلى اللغة الإنجليزية أو العربية لتجعل القارئ العالمي يألف إمكانيات الأرشيفات الروسية الرئيسية[١٣] ويبرهن على مدى اعتماد القراء الروس على هذا البحث لاحقاً[١٤] .

— ٢ —

إن أهمية "روسيا والخليج" كدليل للملامح العرقية لمنطقة الخليج العربي بديهية .

وعلى العموم يستخدم معظم علماء الأعراق أربعة مصادر لبياناتهم :

(ا) السجلات التاريخية والوثائق الرسمية .

(ب) الأدب مثل كتابة الرحلات والتقارير العرقية .

(جـ) المتاحف والمجموعات الفردية .

(د) أساليب الأبحاث الميدانية بما فيها مقابلات جادة والمسح العام والملاحظات وغيرها .

وباستثناء المصدر (د) تكون كافة المجموعات الأخرى في متناول اليد بمساعدة الكتاب المذكور .

وبالاختصار تتكون المجموعة (ا) من المراسلات الدبلوماسية وتقارير القنصل (والقنصل العام لاحقاً) إيه. إف. كروجلوف من بغداد والبصرة الموجهة إلى السفير الروسي في القسطنطينية وإلى وزارة الخارجية في سان بطرس برج وكافة المواد المرتبطة بها

مثل التقارير البحرية وغيرها[١٥] . وكتب "كروجلوف" خاصة "مذكرة عن قطر" ١٨٩٢ حيث وصف فيها القبائل المحلية بما فيها "بني هاجر" لآل ثاني[١٦] .

وتمثل المجموعة (ب) المواد الصحفية للصحفيين : "إس. إن. سيرومياتنيكوف" وعالم الحيوان "بوجويافلينسكي" والاقتصاديين "إم. بي. فيودوروف" و "في. كي. ليسينكو" وآخرين كثيرين[١٧] .

إن ملف "روسيا والخليج" يأتي بمعلومات مفيدة حتى المجموعة (جـ) من المصادر . ويظهر أن الأطباء والمهندسين والدبلوماسيين ورجال الأعمال والملاحين الروس جاءوا بالمواد العرقية والأيقونية المختلفة من منطقة الخليج بعد زيارتهم لها . وهكذا نعرف بأن الشيخ مبارك بن صباح في الكويت كان قد قدم عدة هدايا إلى طاقم "جيلاك" ونطالع بعض الصور لتلك الفترة[١٨] .

وتساعد الارتباطات الروسية مع الدول الخليجية في ازدياد المعروضات العربية في متحف بطرس الأعظم للأعراق البشرية والإثنوجرافية لأن الموجودات الحالية قليلة جداً والمتحف الواقع في سان بطرس برج أقدم المتاحف في روسيا . ويوجد قطعة من ستار مقدس منقوش عليه "الشهادة" وهي ورق أسود رقيق مستطيل (٨٦ × ٧٣ سم) اشترته من مكة المكرمة عام ١٩١٩م الدائرة الإثنوجرافية للدولة من قبل "كي. إي. جرانستروم"، القنصل الروسي الأخير في جدة وتم نقله إلى متحف بطرس الأعظم[١٩] . ومن المجموعات يوجد سناد خشبي للمصحف الشريف من مكة المكرمة[٢٠] وكذلك ثوب وعمامة من الزي التقليدي لمشايخ العرب[٢١] .

وعرضت هذه التحف في متحف مؤقت باسم "العالم العربي في شواطئ نيفا" في سان بطرس برج في مارس ١٩٩٣ بمساعدة مالية من المركز الثقافي العربي الروسي المستقل في سان بطرس برج . ولم يأت ذكر شيء عن التحفتين الأوليين المذكورتين، لا في القواميس الإثنوجرافية الروسية ولا في الموسوعات . وفي مثل هذه الاستعراضات، على الأقل بخصوص العالم العربي، استخدمت كثيراً ما كتب في المصادر الغربية الجغرافية أو الإثنوجرافية كمصادر أصلية . وللبيانات الأرشيفية أهمية بالغة وبديهية للأبحاث عن الثقافة التقليدية لعرب الخليج .

وبالإضافة إلى البيانات المذكورة أعلاه، يجدر بنا أن ندرس التقارير الدبلوماسية الروسية من وسط الجزيرة العربية . ومن وجهة نظر المستشرق الروسي الحديث "آي.

بي. سنجنكو" فإن أهميتها الثقافية والتاريخية وحتى الإثنوجرافية تفوق أهميتها السياسية والدبلوماسية"[٢٢] . وبالإضافة إلى "كي. إي. جرانستروم"، يجب أن نذكر اسم الشيخ محمد إبراهيموف، القنصل الروسي في جدة منذ تأسيس القنصلية في عام ١٨٩١م . ولأنه كان مسلماً سنّياً، فقد كان أول موظف روسي يقوم بأداء فريضة الحج بمكة المكرمة . وقد خلفه في القنصلية من بعده "ك. إي. ليفينسكي" و "آر. براند" و " في. في. زيمرمان"، وقد اهتموا بشئون الحجاج الروس وبالدور الاجتماعي للحركة السلفية والعادات والتقاليد البدوية في الحياة اليومية في الحجاز[٢٣] . ومما لاشك فيه أن هذه المواد تثري الموسوعة الروسية والقاموس الإثنوجرافي الدولي حول منطقة الخليج .

واستخدُمت بعض المصادر القيمة في السلسلة الكلاسيكية المسماة "شعوب غرب آسيا" ضمن "شعوب العالم"[٢٤] ويعالج الفصل الحادي عشر للكتاب "العرب من العربية السعودية" (ص٣٨٣-٤١٦)، الذي ألفه "إيه. آي. برشتز" الوضع الجغرافي والخلفية التاريخية والنشاطات التقليدية (تربية المواشي وزرع النخيل وصنع مراكب صيد الأسماك وغيرها) والعلاقات الاجتماعية (البنية القبلية والعادات والتقاليد . . .الخ.) وكذلك الحياة العائلية (أنواع الأسر والزواج بين أفراد القبيلة الواحدة والزواج من ابن العم أو بنت العم أو الخال أو العمة أو الخالة، والمهور) والثقافة المادية (المساكن والمستوطنات والملابس والمجوهرات والأكل والطبخ والأواني المنزلية ووسائل النقل) واللغة والثقافة الروحية (اللغة الدارجة والكتابية والأدب والفلكلور والأغاني والرقص والطب الشعبي والتربية والتعليم والدين) .ووفقاً لروح الزمن ينتهي الفصل بقسم معنون "حركة ضد الإمبريالية" .

وبالإضافة إلى المصادر الأخرى، استخدم المؤلف مذكرات السفر التي كتبها "إيه. إيه. دولتشين"، القائد المساعد في الجيش الروسي والمسلم في الأصل والذي أرسلته الحكومة الروسية إلى الحجاز عام ١٨٩٨م[٢٥] . وهناك مصدر شيق آخر استخدم في الفصل (الحادي عشر) أيضا وهو "يوميات الأمير إيه. جي. شرباتوف" وكان يدور عن الخيول العربية الأصيلة وكان قد زار نجد في ١٨٨٧ – ١٨٨٨م[٢٦] .

والفصل الآخر عن إثنوجرافيا عرب الخليج (الفصل الثامن – "العرب من مشيخات الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية" – من صفحات ٤٣٤ – ٤٤٧ الذي ألفه "آي. إيه. جينين") يحمل نفس الهيكل . وفي قسم الأنشطة التقليدية يركز الكاتب على أهمية

تربية الحيوانات (الحمير البيضاء في البحرين والجمل العربي وحيد السنام في عمان وغيرها)، والزراعة (التمر العماني والتين والجوز والتوت وعنب الجبل الأخضر . .الخ)، والأساليب التقليدية في الري وصيد اللؤلؤ وصيد السمك وصناعة السفن والنسيج وصناعة الخناجر وصياغة الفضة وغيرها . ويعالج هذا الفصل حضرموت (كجزء من جنوب الجزيرة العربية) وعمان ومسقط وعمان المهادنة وقطر والبحرين والكويت . ومع ذلك فالأقسام مثل العلاقات الاجتماعية والثقافة المادية توجد في كتابات "في. إيه. كراتشكوفسكايا" وهي زوجة المستعرب الشهير "آي. يو. كراتشكوفسكي"، التي ركزت أبحاثها الإثنوجرافية على حضرموت فقط[٢٧] .

إن سلسلة الكتب "شعوب العالم" بما فيها المجلد عن غرب آسيا طبعت باختصار بعد المراجعة من أجل جمهور القراء تحت عنوان : "الدراسات في الإثنوجرافية العامة" وفي المجلد الثاني للدراسات تحت عنوان " خارجية آسيا"[٢٨] كتب الفصلين عن "غرب الخليج" إيه. آي. برشيتز[٢٩] . وكتب نفس العالم الإثنوجرافي عن الموضوع في المجلد الثاني للكتاب "البلدان والشعوب" في الطبعة الشعبية الإثنوجرافية في ٢٠ مجلداً بعد عشرين سنة[٣٠] . والقسم الجغرافي للنصوص أعده "إن. آي. بروشين" (العربية السعودية وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر) و "في. بي. كاسيس" (البحرين) و "إن. إيه. يمين" (الكويت)[٣١] .

— ٣ —

إن المؤلفين المذكورين أعلاه قد اتبعوا الطريقة الجغرافية والدراسات الإقليمية أي خلط للجغرافيا الإنسانية والسياسة الماركسية والارتقاء الجديد للإثنولوجيا . ويظهر أن "إيه. آي. برشتز" بصفته كأحسن كاتب عن المسح الإثنوجرافي الروسي للبنية الاجتماعية والحياة اليومية للجزيرة العربية الشمالية[٣٢]، اعتبر الجزء الغربي لشبه الجزيرة مجرد السطح الخارجي للمنطقة وتمت المحاولة لتغيير هذا الأسلوب في الثمانينات .

ويتعلق هذا بالقاموس الإثنوجرافي (مجلد١) "شعوب العالم" والذي أعدته الموسوعة السوفييتية" والتي كانت موثوقة بها كدار للطباعة الفائقة في عهد السوفييت . ولم تكن

هذه المحاولة هي الأولى في تدقيق النصوص . وهكذا في الطبعة الثالثة والأخيرة تضمنت الموسوعة السوفييتية الكبيرة عدد السكان والتاريخ والتربية والتعليم والثقافة والأنشطة . . .الخ لعرب الخليج كما كان قد كتبها كل من "جي. إل. بونداريفسكي" و "إن. إيه. ديلين" و "في. إل. بوديانسكي" في مقالهم عن الكويت (المجلد ١٣-٥٥٢-٥٥٣)، وكل من "جي. إل. بونداريفسك" و "كيه. بي. ماتفييف" و "إن كي. كوتساريف" و "في. إن. فيرونينا" وغيرهم عن العربية السعودية (المجلد ٢٢ و ٦١٣-٦١٩) و "جي. إل. بوديانسكي" عن البحرين (المجلد ٣٥٤-٥٥) وكل من "إل. إن. كوتلوف" و "أ. أ. ايرشوف" عن قطر (المجلد ١١ و ٥٢٣-٥٢٤) و كل من جي. إل. بونداريفسكي" و "جي. في. ميلوسلافسكي" عن الإمارات (المجلد ١٨ و ٥٢٧-٥٢٨) وكل من "جي. إل. بونداريفسكي" و "إل. آي. سترايجينا" وغيرهم عن عمان . وبالنسبة إلى قاموس الإثنوجرافيا، "شعوب العالم"، أعلنت لجنة إدارة التحرير بأنها تقوم بأول تجربة في إعداد أول كتاب خاص عن المواضيع الخاصة عن الإثنوجرافيا في إطارها الواسع بما فيه النتائج الحديثة في علم اللغة وعلم الإنسان البدني، ودراسات مقارنة الأديان والديموجرافيا . . .الخ .

وكتب حوالي ١٥٠ عالماً أكثر من ١٠٠٠ مقال حول شعوب مختلفة ومجموعات منهم والقبائل من حيث المفاهيم الإثنولوجيا والمصطلحات . وتوجد مع هذه الكتابات ٢٠٠٠ صورة ورسم وخريطة معظمها ملونة . ووصف معظم أجزاء العالم من وجهة نظر الإثنولوجية والعرقية والجنسية مع الإحصائيات حسب البلدان والمجمعات اللغوية والفرق المتجانسة .

ويتضمن الكتاب مقارنة المواقف القديمة وطبقات الناس والاقتصاد الاجتماعي والتحضر والتصنيع وغيرها مما لابد منه للدراسات الماركسية حتى إذا كان موضوع البحث يتعلق بإثنوثقافية من أجل فهم المسائل العرقية[٣٣] .

وعالج موضوع العرب من منطقة الخليج في القاموس اثنان من علماء الإثنولوجيا، كل من "أثرينا إيه – أميريانتس" والباحث كاتب المقال . ركزت أثرينا على الكويت (ص٢٣٦ – ٢٣٧) والبحرين (٩٢) بينما كتبت أنا عن العرب بصفة عامة (٦٤ – ٦٦) والعربية السعودية (٣٩٦) وقطر (٢٠٦) والإمارات العربية المتحدة (٣٤٤) وعمان (٣٤٦)[٣٤] . ولم تسمح لنا الحدود الصارمة التي فرضت على حجم القاموس معالجة

المواضيع بتوسع أكثر . ونظراً لأن القاموس يظهر في طبعة جديدة انتهزنا الفرصة لتحسين بعض البيانات واستحداث الإحصائيات والببليوجرافيا .

وعلى الرغم من ذلك لم نستطع أن نستخدم بعض المصادر القيمة التي ذكرناها آنفاً . ويمكن لنا أن نضيف لها الكتابات الواسعة لأمين الريحاني وقد أشار إلى أهميتها عالم الإثنوجرافيا الروسي "إم. في. جوراكوف" في وقت مبكر أي في أواخر الخمسينات في القرن العشرين[٣٥] . وكذلك من الضروري أيضاً أن نكون مصممين على الخروج من عاداتنا لنفسر الاستنتاجات بصورة ميكانيكية (وأذكر على سبيل المثال الاستنتاج أنه كلما زاد إنتاج النفط وتطورت صناعة النفط حلت الثقافة الغربية محل الثقافة المحلية أكثر)[٣٦] .

لا يمكن لأي تنبؤ أن يسير مطابقاً لاختبار الزمن . وبهذه المناسبة يجب أن نتذكر تنبؤات عالم السياسة الروسي الذي تنبأ في وقت تواجد النفط بوفرة في العالم العربي بأن صادرات منتجات النفط الروسية لجميع البلدان العربية تكون من أفضل الصادرات باستثناء العراق[٣٧] .

ويبدو أن أحسن طريقة لعالم الإثنوجرافية لتجنب مثل هذه الأخطاء هي فهم إقامة علاقات دائمة وحميمة مع زملائه من الخليج . ولا يمكن الوصول إلى تفهم صحيح للثقافة العرقية لعرب الخليج إلا بواسطة تبادل الإحصائيات ومعرفة معروضات المتاحف المحلية والأبحاث الميدانية المشتركة .

إن مهمتنا هي إثراء معلوماتنا عن الفولكلور المحلي ونكون مهملين إذا قلنا بأننا لا ندرس الفولكلور إلا نادراً[٣٨] . فإما أن نسهم في الإهمال الدولي بين علماء الإنثروبولوجيا أو نكون قاصرين في معرفتنا ومعلوماتنا .

ومن واجبنا أن نعرف أساليب الملابس المحلية خاصة للنساء لأنها خير بداية في إعداد خريطة إثنوجرافيا للمنطقة . وإن أسلوب العمل لهذا المشروع لشبه الجزيرة العربية قد رسمه "دبليو – دوستال" وبالنسبة لجنوب الجزيرة العربية هو كاتب هذا المقال[٣٩] . كما يجدر دراسة الآثار الأخرى أيضاً كأعلام اجتماعيـة ومكانية من حيث دورهـا الثقافي . وفي حالة الإثنوجرافيا السريعة التغيير التي تختفي بسرعة فمن الضروري أن نعمل دراسة مقارنة للأنشطة كصناعة السفن الشراعية عبر مسافات طويلة من البصرة في الشمال إلى مكلا في الجنوب وكذلك إلى الساحل الإيراني وغرب الهند .

والجانب الأساسي الثالث للدراسات الإثنوثقافية المشتركة هو تحليل الهجرة الجماعية إلى الدول الخليجية العربية نظراً لتأثيرها على الثقافة المحلية التقليدية[٤٠] .

لقد اتخذت فعلاً الخطوات الأولى للتعاون الروسي – العربي في ساحة الإثنولوجيا في ساحة الخليج فعلاً . ويرجع الفضل لتلك الخطوة إلى المراكز والهيئات الأكاديمية المتعلقة بالخليج العربي ودراسات شبه الجزيرة العربية في (البحرين) وخاصة الأمين العام الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة ونائبه الدكتور علي أباحسين مدير مركز الوثائق التاريخية ، وقدم العلماء الروس والعرب بحوثهم في البحرين في نوفمبر عام ١٩٩٦م . وقد أقيمت ارتباطات أولية بين متحف بيتر الأعظم للإنثروبولوجيا والإثنوجرافيا والأكاديمية الروسية للعلوم في بطرس برج من جهة وبين مركز الوثائق التاريخية في البحرين من جهة أخرى . وتحصل مشكوراً مكتبة المتحف من مركز الوثائق التاريخية على المجلة المحكمة "الوثيقة" الصادرة منها والتي تكون مصدراً هاماً لأبحاثنا[٤١] . وقدم الدكتور علي أباحسين أكثر من أربعة آلاف كتاب هدية إلى جامعة سان بطرس برج من مركز الوثائق التاريخية في البحرين في ديوان سمو ولي العهد .

إن اليوم أصبح واضحاً بأن معظم علماء الإنثروبولوجيا الروس الذين يهتمون بالأثنولوجيا عن الخليج يعتقدون أن هذه المنطقة لا يجوز تسميتها مجرد السطح الخارجي للعالم العربي . وفضلاً عن ذلك يمكن تسمية الخليج حقاً منطقة البحر المتوسط أو غرب آسيا . وتشكل البحرين قطبها ومركزاً قديماً للتأثيرات الثقافية والعلاقات العرقية في المنطقة .



في مكتبة متحف الأرميتاج في سانت بطرسبرج عقد اجتماع برئاسة مدير المتحف حضره بعض أساتذة جامعة سانت بطرسبرج وذلك بتاريخ ١٩٩٧/١١/٣م شارك في الاجتماع كل من الدكتور علي أباحسين نائب الأمين العام لمركز الوثائق والدراسات من البحرين والأستاذ غسان بن سعيد الغساني من عمان عضو الأمانة العامة مدير المخطوطات والوثائق.

شهادة شكر وتقدير

منحت كلية الاستشراق بجامعة سانت بطرسبرج شهادة شكر وتقدير للدكتور علي ابا حسين مدير مركز الوثائق التاريخية في البحرين لمساهمته الثقافية مع كلية اللاإستشراق بجامعة سانت بطرسبرج.

حرر في 2001/5/11 م

عميد كلية الاستشراق الدكتور، عضو اكاديمية العلوم الروسية، البروفسور
ايفان ميخايلوفيتش سشيلين-كامينسكي

رئيس قسم اللغة العربية، الدكتور، البروفسور،
اوليك ايفانوفيتش ريدكين

برنامج الندوة العلمية والثقافية الدولية

روسيا ودول مجلس التعاون

25 من ايار سنة 2001, الساعة 11, مدرج 201

د. يافعة يوسف. ظروف حج المسلمين الروس الى مكة المكرمة والمدينة المنورة من خلال ثلاث وثائق تاريخية لعام 1905-1908.

د. دياكوف نيكولاي نيكولايفيتش. شرق جزيرة العرب في الصحافة الروسية لبداية القرن العشرين

د. غريغوريف سيرغيي بوغينيفيتش. سلطنة عمان في القرن التاسع عشر-بداية القرن العشرين من خلال وثائق ارشيفات الدولة في سانت-بتروسبورغ.

ريدكين أوليغ إيواتوفيتش. وصف الخليج العربي الذي قام به الرحالة والملاحون الروس عام 4-1906.

26 من ايار سنة 2001, الساعة 12, مدرج 143

افتتاح معرض الكتب

الساعة 11, مدرج 201

د. علي ابا حسين. نظرة حول العلاقات التاريخية بين روسيا و دول مجلس التعاون.

.د. كراسنيكوفا اولغا الكسيفنا. خرائط جزيرة العرب في ارشيف مكتبة اكاديمية العلوم لسانت-بتروسبورغ.

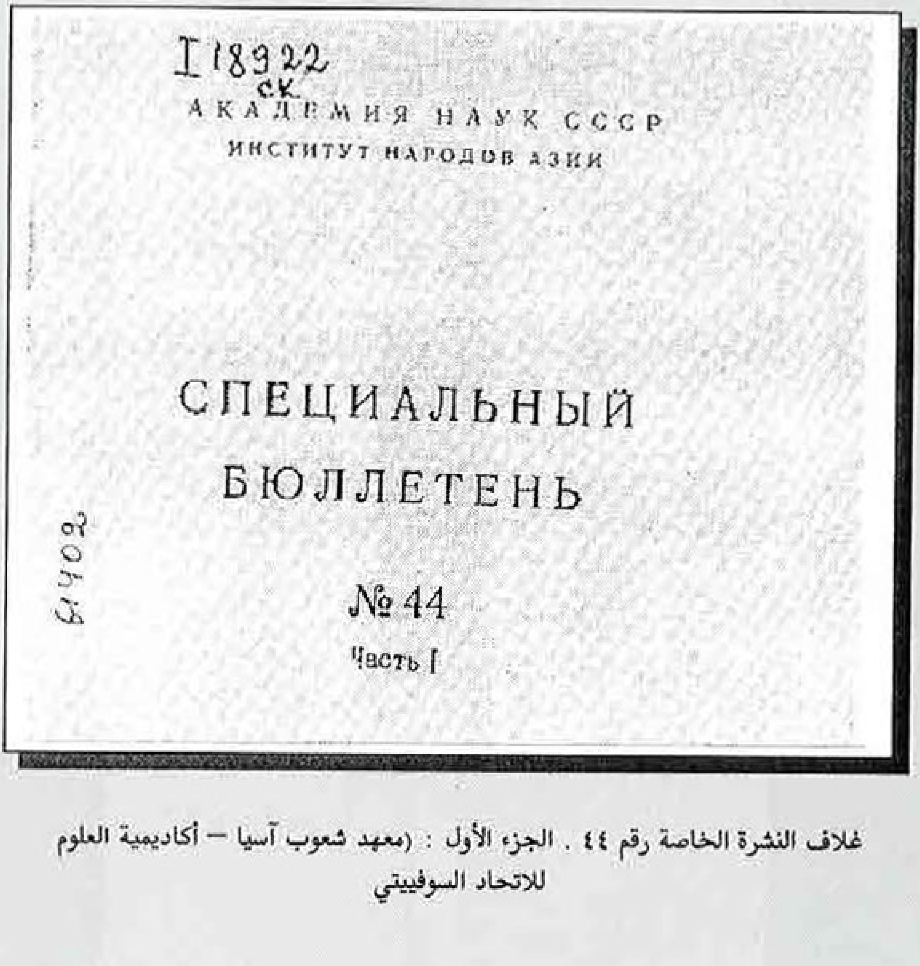
د. بيرنيكوفا اولغا الكساندروفنا. حول بناء سفينة خاصة للتواجد الدائم في الخليج العربي.

د. فراحووا الويرا توبليغنا. المراسلات الدبلوماسية والمراسالات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التاريخية بارشيف السياسة الخارجية الروسية في موسكو لعام 1902-1903

Kharlotta Rodhe 'Georg Wallin – his life and activities'

تجري الندوة في جامعة سانت-بتروسبورغ، كلية البحوث الشرقية،بعنوان:

شارع اونيويرسيتسكايا نابيريشنايا، 11/9،سانت-بتروسبورغ، روسيا


I 18922
СК.
АКАДЕМИЯ НАУК СССР
ИНСТИТУТ НАРОДОВ АЗИИ

СПЕЦИАЛЬНЫЙ
БЮЛЛЕТЕНЬ

№ 44
Часть I

61402

غلاف النشرة الخاصة رقم ٤٤ . الجزء الأول : (معهد شعوب آسيا – أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي

Г.БОНДАРЕВСКИЙ

<u>РОССИЯ И ПЕРСИДСКИЙ ЗАЛИВ</u>

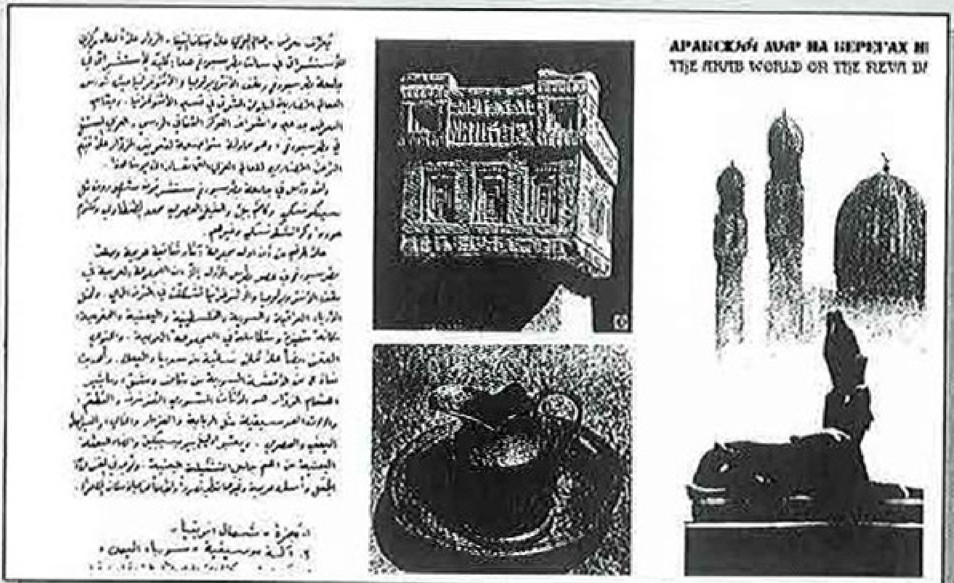
(РОЛЬ БАССЕЙНА ПЕРСИДСКОГО ЗАЛИВА В МЕЖДУНАРОДНЫХ ОТНОШЕНИЯХ И ВНЕШНЕЙ ПОЛИТИКЕ РОССИИ)

الشكل (٢) غلاف كتاب "روسيا والخليج" لـ "جي. إل. بونداريفسكي" (دور منطقة الخليج في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية الروسية) وإلى الأسفل إعلان لرئاسة التحرير تنبه إلى أن هذا البحث ليس لعامة الناس بسبب استخدام البيانات الأرشيفية الخاصة به

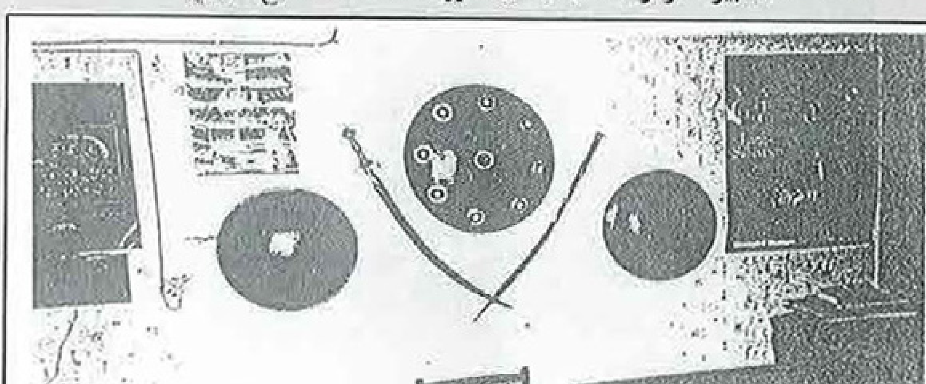
Учитывая пожелания ряда организаций, редколлегия Спецбюллетеня помещает работу Г.Л.Бондаревского, которая не может быть опубликована в открытой печати вследствие специфики архивного материала.

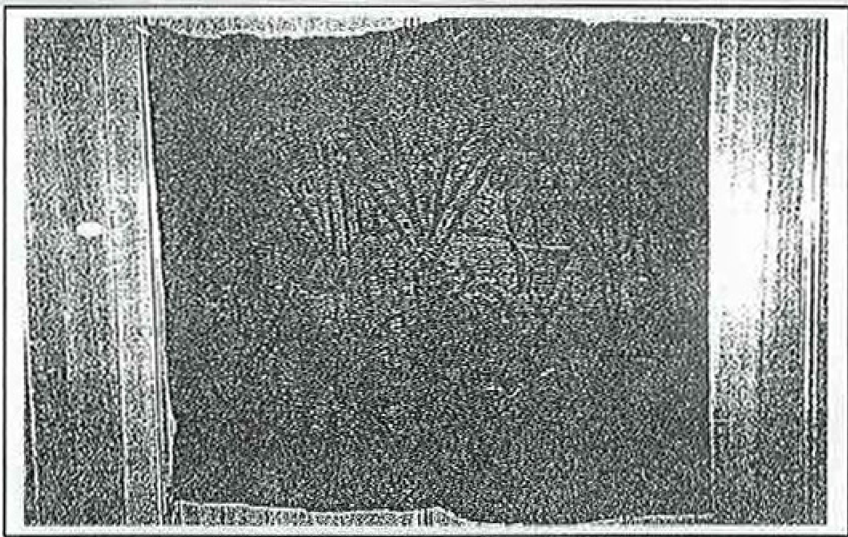
А-01380 Тир.250 экз. Зак.48

Офсетное производство
Издательства "Наука"
Москва, Центр, Армянский пер.2

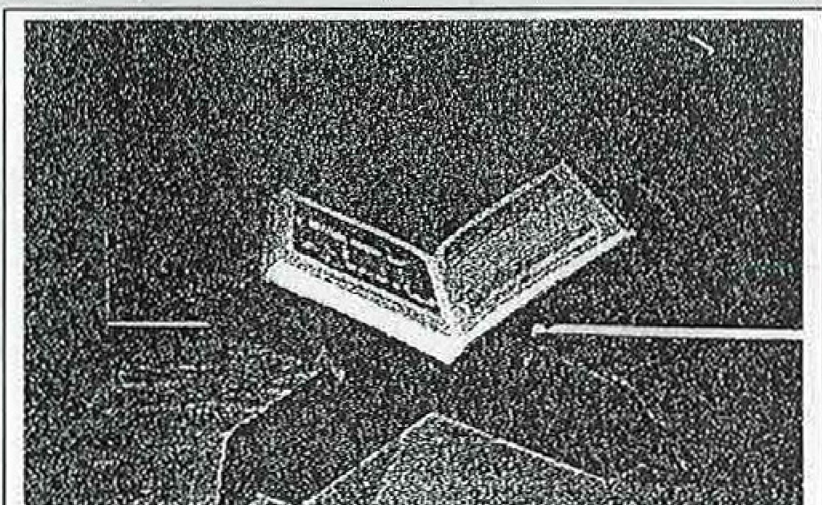


الشكل (٣) كتيب عن العرض تحت عنوان "العالم العربي على شواطئ نيفا" نظمه المركز الروسي العربي المستقل من الدائرة الشرقية لجامعة سانت بطرسبرج الرسمية ومتحف بطرس الكبير – وعرضت فيه بعض المعروضات لمنطقة الخليج العربي





قطعة من ستار الكعبة المشرفة - متحف بطرس العظيم



الحامل الخشبي للمصحف الشريف من مكة المكرمة لـ (متحف بطرس العظيم)

الهوامش

1 - Narody mira - Peoples of the world Historical & Ethnographical Dictionary. Moscow. Soviet Encyclopaedia. 1988. Sec. Edn. Forthcoming. Narody Peredney Azii (Peoples of West Asia), edited by N. A. Kisliakov. A. I. Pershitz. Moscow, 1957. (Narody mira series): Ocherki Obshchey etnography, Vol. 2 (Studies in General Ethnography), ed. by S. P. Tolstov. M. G. Levin. A. N. Cheboksarov. Foreign Asia, Moscow, 1959, Strany i narody. T.2. Zarubezhnaya Aziya. Obshchiy obzor. Yugo-Zapadnaya Aziya. (Countries and Peoples. Popular Scientific Ethno-Geographical Publication in 20 volumes. Vol. 2. Foreign Asia. General Survey. South-western Asia). Moscow: Mysl'. 1979.

2 - For reference see e.g., Vasiliev A. M. (Saudi Arabian Bibliography). Moscow. 1983. 5-19. Bodiansky V. L. Vostochnaya Aravia Istoria. (Eastern Arabia, History, Geography, Population, Economy), Moscow 1986, 93-94.; also see Danzig B. M. (The Near east in Russian Science and Literature before Oct. 1917. Moscow 1973. See also Bondarevsky (British Politics & International Relations in the Gulf Area, the late 19th, the early 20th century) Moscow-1968.

3 - LATVIA Book 8 No 2 Acts of 1703, Reports & Returns to boyard Fedor Golovin f. 242. Reference from Danzig. B. op cit 47.

4 - Goshev V. Yu SSSR i Strany Persldskogo (USSR & Gulf States) Moscow 1988. 3. 43-54 Rezvan: E. A, Sufun Rusiyya Fil-Khalij il Arabi. 1899 – 1903, Moscow 1990. 5-7-31. Senchenko IP Persidskiy Znliv The Persian Gulf: A View through the centuries from the Petersburg New Course to the Policy of New Thinking. Moscow 1991. 3,14,43,43-89.

5 - Bondarevsky G. Rossiya (Russia & the Gulf: The Gulrs Role in International Relations and in the Foreign Policy of Russia. Special Bulletin (The Institute

of Asian Peoples. The Academy of Sciences of the USSR.) No 44 - Pt 1. -III Moscow 1964. In the early 90s the security classification or the Special Bulletin was left out.

6 - See Infra, fig. 1 - 2

7 - See above, note I.

8 - Bondarevsky G. L. British Politics. 348 - 379. 448 – 540.

9 - Most references are to ABUP (Archives of the External Politics of Russia. Moscow), (Central State Historical Archives, Leningrad (St. Petersburg). Some material from the ABUP was published in:

Adamov E. A. Razdel. Aziyatskoy Turtsii. (Partition of Asian Turkey. Collection of Documents). Moscow 1924; see also (Foreign Policy of Russia) 19th-Early 20th Century. Ed. by A. L. Narochnitsky. Moscow 1960-1970. Vol. 1 - 6.

10 - Bondarevsky G. L., Russia & the Gulf. Pt 1. 134. As early as in 1896. V. F. Mashkov, Russian Diplomat in Baghdad, had posed to his ambassador in Constantinople to unite the tribes of Arabia in anti-Ottoman revolt under the command of Mahomet Pasha (Mohammed Ali) al-Daghestani, who resided in Makka and was a nephew of famous Imam Shamil of the Caucasus. (See, Senchenko L. P. The Persian Gulf ... 39-40)

11 - Bondarevsky G.L. British Politics. 409. Russia & the Gulf. Pt. 1 20 - 107. Pt 2. 3 - 21. etc: the synopsis of the latter was presented in the sixties as a paper (Bondarevsky G.L. Russia & Kuwait in the early 20th century), the whole story was published only later (Goshev V. yu. USSR. and the Gulf States.45--54: Senchenko I.P. The Persian Gulf 43-64)

12 - Russia & the Gulf, Pt 1, 105-107.

13 - See Note 7 above.

14 - The Arab audience is acquainted with the Russian naval visits to the Arab Gulf, 1900-1903 by E. Rezvan's publication, the Russian audience by the book of I. Senchenko (See. above, n.3).

15 - ABUP- (Full name for Russian abbreviation here and further, see above, n. 7: old pressmarks are given here. Embassy in Constantinople, the year of 1902 delo file, 1243- 1244, 1245 (Ovseenko's report) 1246, fund "Kantseliaria ministra, (The Office of the Minister). 1899, delo. 26. Ptlc. Political Archives delo 354, 364, 365. Middle Asian desk, delo 920, of the same archives, some materials are published in "Red Archives". Series Vol. 5 (18) 1926, vol. 4 (53), 1932, vol. 1 (56), 1933, vol. 2-3 (69-70) 1935, fund 417, (report of Baron Indrenlus. captain of the gunboat “Giliak", report of V.O. Bar, captain of cruiser Variag ; (N.K. Reizenstein's report, captain of heavy cruiser Ascold, Sarytchiev's report, captain of the light cruiser Boyarin/Boyar. fund 418. (Correspondence of zoologist Bogoyavlensky) etc, For extra references see Rezvan E. Sufun, rusiyya ....

16 – Senchenko LP. Persidskiy. zaliv, 87, (Embassy in Constantinople) opis 517/2 delo, 1236.

17 - The Persian Gulf Essays. St. Petersburg. 1907 and "The Rivalry of the Trade Interests in the East".

18 - Fund 417, delo 19834. ff. 245-256. (see. Bondarevsky G. L. Russia & the Gulf. pt 1, 71. among 14 photographs published by Rezvan, one can observe traditional constumes of the Kuwaitians. (No. 2,10,14), war dance accompanied by the duff or frame drums in Shaikh Mubarak's camp (No 4), the Market Square of Al Kuwait 9 No. 6), the Shaikh of Kuwait with Russian Naval Officers, (No. 11), the Shaikh of Muscat, his son, brother and retinue. as well as French Consul and the captain of the "Variag" on the main deck of the cruiser. (No 8) for photographs see delo 24-36. ff. 109-120

19 - The Peter-the-Great Museum of Anthropology and Ethnography, St. Petersburg (the collector's name is spelled as Gransrelan: transferred in 1938 from the State Museum of Ethnography of the USSR (now Russian Ethnographical Museum). transfer certificate No 6.

20 - PGM, opis, from V. V. Sakulina 1933; length-33 cm, width, 12.7 cm acquired in Mecca.

21 - PGM, opis, 5032, 1-2 transferred from the Far Eastern Section of the Museum, 1930. In 1937 a resident of St. Petersburg/ Leningrad Monica Felixovna Ost had offered to the PGM a photograph of the Imam of Muscat, with a sword in

his hand. (and that of the Muscat Harbor -765-1,2 photographs not found.)

22 - Senchenko I. P. The Persian Gulf.. ..... 78.

23 - op cit, 65-78, the author gives references to ABUP (see note 7 above) (Embassy to Constantinople) (Turkish Desk) 502a, delo 424. etc.

24 - See Note 1 above.

25 - Davletshin A. A. (Account of second captain Davletshin about his official trip to the Hejaz) St.Petersburg, 1899.

26 - Scherbatov A.G. Stroganov S.M. (The Book on Arabian Horse) St. Petersburg, 1900. (On Horseback at the Bedouin's Motherland in Search of Thorough bred Arabian Horses), 2600 miles across Arabian Deserts 1888 -1900. St. Petersburg 1903.

27 - Kratchkovskaya V. A. (Dwellings in Hadhramaut. On the centenary of the Hadhramaut Studies) in Sovietskaya Etnografiya. No. 2. Moscow. 1947. Also of the same writer 1843-1943 (On the centenary of the Hadhramaut Studies) in Izvestiya Moscow-Leningrad 1943. Vol. 75 pt. 4. (Dwellings and Dwelling's problem in Hadhramaut) in Academiku Moscow 1944. (Historical Significance of South Arabian Architecture. 1947 No. 4) (Women's Clothing in Hadhramaut). Leningrad. 1964. The Monographic ethnographical research based on the field data collected by Russian- Yemeni Joint Expedition. 1983-1991, mainly by the author himself. See Rodionov (The Ethnography of Western Hadhramaut) Moscow 1994. (Forthcoming editions in English. French & Arabic).

28 - Ocherki obshchey etnografii. see above, n. 1

29 - e.g., in a reference book "The States of Arabia". Moscow I 964, the passage on the Arab religion in the Saudi Arabia section was written by E. A. Beliyaev, on population by V. V. Tsibulsky, and on the Arabian Language and Literature by G. Sh. Sharbatov; the sections on Trucinl Oman, Kuwait, Bahrain, Qatar. by V. L. Bondiansky, the section on Oman and Muscat by A. V. Shvakov.

30 - Strany i narody, See above, n. l.

31 - op cit, vol. 2, Saudi Arabia, 262-285. Oman 3l2-321. UAE 322-328. Bahrain 329-335, Qatar 335-341, Kuwait 342-353.

32 - Pershitz (Traditional Economy and the Socio-Political Structure of Northern

Arabia, 19th - the first third of the 20th century. Historical & ethnographical survey.)Moscow. 1961, (The USSR Academy of Sciences. Proceedings of the Miklukho-Maklay Institute of Ethnography. New Series. Vol. 69).

33 - Poeples of the World. 5.

34 - I. A. Ameriants wrote also on the Arabs of Iraq (181) including Sabians (390), on Palestinians (353); M. A. Rodionov on the population of Lebanon (254) including the Druze (158) and Maronites (292), on the Arabs of Jordan (180-181), Syrians (406-407) including Nusayris (340-341). population of Yemen (189-191) including Mahra (294) etc.

35 - Chukarov M. V. "New History of the Nejd" by Amin Rihani as a source for Ethnography of Central Arabia, 1960, No. 1-83-98.

36 - e.g., Peoples of the World, 5

37 - Weit E. Araviya, (Arabia), Moscow, 1930. 182

38 - e.g., Peoples of the World, 346 (On Oman)

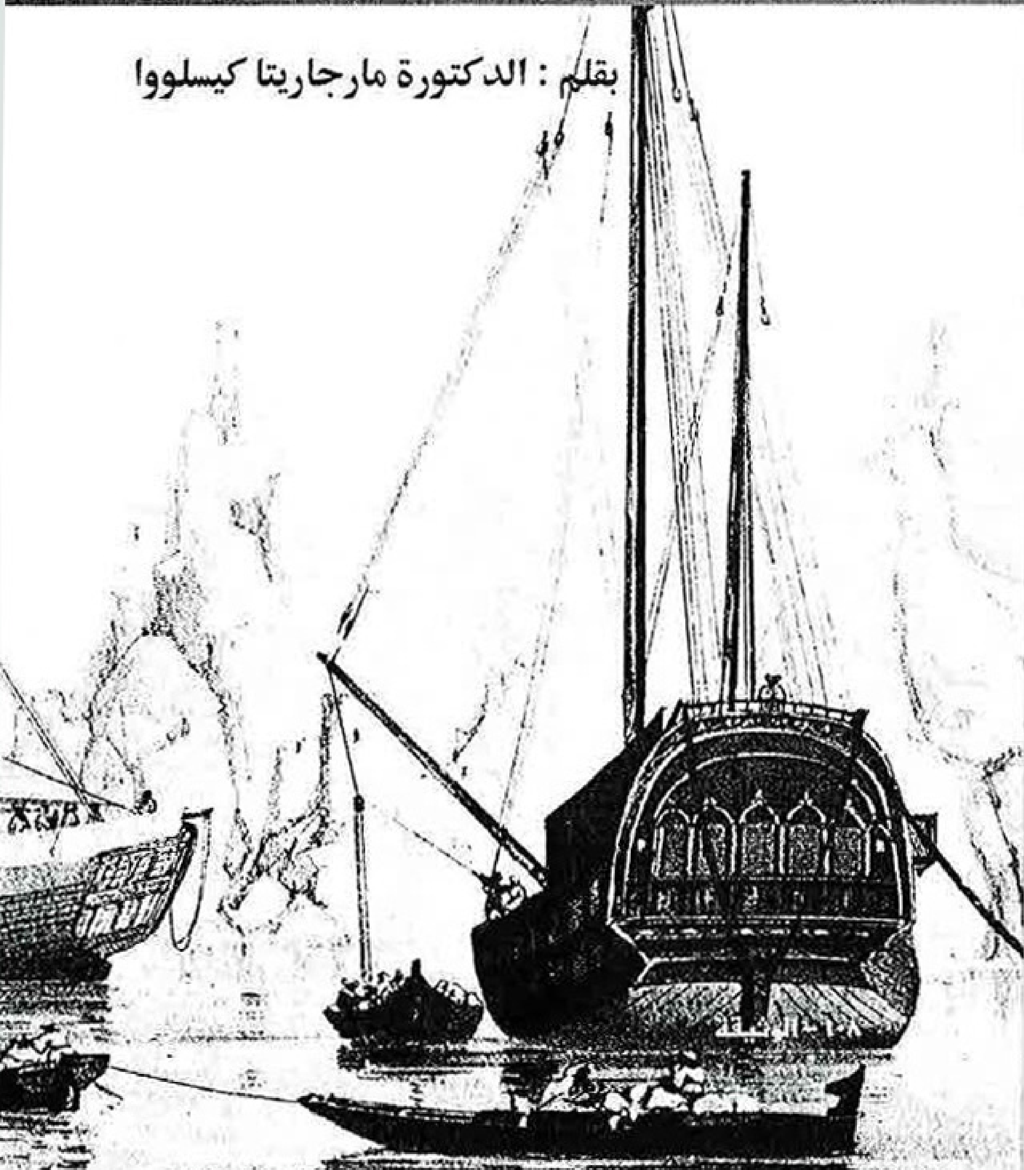
39 - Dostal W. Towards an Ethnographic Atlas of Arabia, in Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, London 1979. Dostal. W. Ethnographic Atlas of Asir. Preliminary Report. Wien. 1983. Rodionov M.A., The Ethnography of Western Hadhramaut. 182-183.

40 - A socio-economic analysis of immigration to the Arab Gulf countries is given in Kulyamzin. (The Gulf Countries. Immigration & Class Structure in the 1950s-1980s. Moscow 1990.

41 - Al Watheekah, The Document, A refereed Historical Periodical by H. D. C. of Bahrain No. 29 Shaaban 14 / Jan. 1996. No. 30. Safar 1417 / July 1996, an interesting periodical. With regard to local ethnography, is Al Maathurat Al Sha'biyya Magazine edited by the Arab Gulf States Folklore Center. Doha. Qatar. It occasionally reaches St. Petersburg.

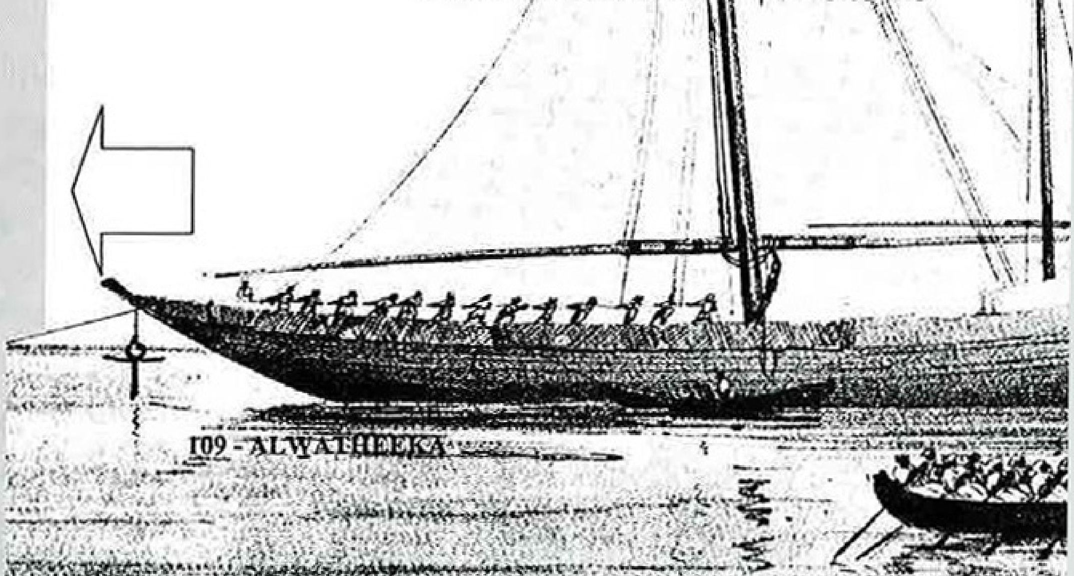
موقع الخليج العربي في نظام
نهاية القرن التاسع عشر

بقلم : الدكتورة مارجاريتا كيسلووا



العلاقات السياسية العالمية
وبداية القرن العشرين

في تاريخنا الحديث، ومع قدوم القرن الحادي والعشرين الذي يعطي إشارة البدء في الألفية الجديدة والذي ربما يصبح نقطة تحول في تاريخ العالم كله، يجتمع علماء وسياسيون وممثلو المفكرين والحركات الاجتماعية المختلفة من كل دول العالم لكي يبحثوا ويُعيدوا الإدراك في ماضي الحضارة الإنسانية ومستقبلها . ولا أظن أنه من الممكن أن نفصل بين الأسباب الداعية لهذا الحوار متعدد الأطراف، لأننا اليوم نُقف أمام الضرورة الملحّة في أن نكتل جهودنا المشتركة لتحقيق الإصلاحات في نظام القيم الإنسانية والآراء وأشكال السيرة . وهذا هو الطريق الوحيد لدحر كل النشاطات السلبية التي أدت في التاريخ الماضي والحديث إلى الحروب العديدة والجور وانعدام العدالة من مستقبلنا المشترك .



وإذا رغبنا أن تحظى الحضارة البشرية بألفية ثالثة، ورابعة وخامسة، فعلينا أن نستخلص من تاريخ العصور السابقة طرقاً وآفاقاً جديدة للتعاون الدولي والتفاهم .

وفي هذا الصدد يمكن أن يكون البحث في موضوع "تطور العلاقات الدولية في منطقة الخليج العربي عند تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين" مفيداً وهاماً لأنه من المعروف أنه في هذه المساحة (المحدودة من وجهة نظر الجيوسياسة الدولية) تصادمت في ذلك الوقت الاهتمامات السياسية والاقتصادية لكل الدول الإمبريالية ومن أعظم هذه الدول : إنجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا القيصرية .

* * *

إن الجزيرة العربية الغنية بمواردها الطبيعية والإنسانية وبما يزخر به ماضيها، كانت تستلفت انتباه الأوروبيين من قديم الزمن . ولاشك أن الفضل الأساسي في عملية دراسة وتصوير الجزيرة العربية يعود إلى المسافرين والباحثين من أوروبا الغربية . وتوسعت هذه العمليات العلمية خلال عهد الحروب الصليبية الذي سبقته اتصالات مختلفة كانت تتحقق عبر البحر المتوسط . وتحولت جزيرة العرب بعد إقامة الخلافة الإسلامية في القرن السابع الميلادي، إلى منطقة محرَّمة وذلك لاهتمام المسيحيين الزائد .

وفي الفترة التالية (خاصة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) بدأ اختراق الصليبيين الضخم إلى الشرق الأوسط مما أدى لإقامة إمارات الصليبيين — الأمر الذي ساعد على إنعاش الاتصالات العديدة السابقة بين الحضارتين اللتين لهما أصول مشتركة في الحضارة اليونانية والرومانية القديمة . وهكذا أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين نشأت أسس التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي المتين والمثمر بين أوروبا وعرب الجزيرة العربية، كما تبلورت الاهتمامات المتبادلة والاختلافات المبدئية الأصولية[1] .

على الرغم من ضعف النشاطات في مجال دراسة شبه الجزيرة العربية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، فإن الأوروبيين وصلوا في تلك الفترة إلى عدد من النجاحات الكبيرة (في تصوير الجزيرة الجغرافي على سبيل المثال) مما لم يحدث

في العهد التالي (القرن الثامن عشر) فأمكن للعلماء الأوروبيين بعد تعرفهم الدقيق على المؤلفات البارزة للجغرافيين العرب أن يكملوا خرائطهم للجزيرة العربية من المعلومات التي استمدوها من تلك المؤلفات . وتواصل هذا العمل في القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين الميلادي مع تغير أهداف واحتياجات حكومات الدول الأوروبية حينئذ، إذ تركز الاهتمام على مجال الاقتصاد والسياسة البحتة . وعند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ازداد بدرجة فائقة، دور منطقة الخليج العربي في نظام العلاقات الدولية . كما أصبحت المنطقة مركزاً هاماً للدسائس الدبلوماسية والسياسية للدول الإمبريالية الكبرى(٢) .

والخليج العربي الذي هو "الطريق المائي العظيم" كان همزة الوصل بين أوروبا والهند من قديم الزمان . وتدفقت عبر هذا الطريق المائي ثروات أسطورية من الشرق إلى الغرب — الأمر الذي وفر ازدهار الدول والإمبراطوريات العظمى على مدى عشرات القرون(٣) .

واعتُبر عرب سواحل الجزيرة العربية بحق أصحاب الملاحة في الخليج العربي طوال عدة قرون، وأجادوا بمهارة الملاحة واكتشفوا أساليب تحقيق رحلاتهم البحرية البعيدة .

ولقد بلغت الملاحة العربية مكانة هامة في تاريخ المجتمع العربي انعكست في الآثار الأدبية وخاصة عند شعراء العصر الجاهلي وفي القرآن الكريم . وأريد أن أضرب عدة أمثال مناسبة من القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" .(سورة ٦ آية ٩٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ورزَقْناهُم من الطيِّباتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقْنا تَفضِيلاً ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإمَامِهِمْ فَمَنْ أوتِيَ كِتَابَهُ بيَمينِه فأُولَئِكَ يَقرَءُونَ كِتَابَهُمْ ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وأَضَلُّ سَبيلاً ﴿٧٢﴾" .(سورة ١٧ ؛ الآيات ٦٧ — ٧٢)

يعتبر العرب إلى جانب أنهم أصحاب الملاحة، أصحاب النشاطات التجارية في الخليج أيضاً . وبعد أن استحوذ عرب الخليج على التجارة المحلية في القرن السابع الميلادي، استأثروا بكل العمليات التجارية في المنطقة حتى القرن السادس عشر الميلادي حين انقلبت سيطرة البرتغال في مياه الخليج إلى سيطرة هولندية وإنجليزية .

وكان المحيط الهندي، حتى نهاية القرون الوسطى يسمى بـ "محيط السلام" لأن الملاحة التجارية كانت مكفولة عقائدياً فيه لكل تجار العالم(٤) .

ولا غرو أن الدول العظمى المختلفة كانت تسعى إلى إقامة حكمها في منطقة الخليج العربي الغزيرة، ورأت مياهها القديمة سفن المصريين القدماء والبيزنطيين، وبعد ذلك اقتسمت الإمبراطورية العثمانية مع بلاد فارس في القرن الخامس عشر الميلادي سواحل الخليج العربي بينهما، ثم جاء البرتغاليون (القرن السادس عشر) وميز ظهورهم بداية العصر الجديد الذي توسع خلاله النفوذ الأوروبي في الخليج العربي . وخلال القرن التالي (السابع عشر) انضمت إنجلترا إلى هؤلاء المستعمرين(٥) .

وفي عام ١٦١٩ بعد إنشاء شركة الهند الشرقية (The East-Indian British Company) تمت إقامة محلة تجارية أولى لبريطانيا العظمى في جاسك، بعد ذلك عُقدت الاتفاقية (١٦٢٢م) بين الشركة المذكورة وشاه إيران عباس الأول . وتناولت هذه الاتفاقية إمكانية المقاومة الإنجليزية الإيرانية المشتركة ضد البرتغال . وكان من أهم نتائج هذه الاتفاقية أن تدخل السفن البريطانية في مياه الخليج . وبدأت إنجلترا تجوس هذه المنطقة بصفة مستمرة وتواجه منافسيها(٦) . وبداية من العشرينيات في القرن الماضي وبعد عقد عدة اتفاقيات بين بريطانيا ومعظم شيوخ الخليج العربي ركزت لندن جهودها للاستيلاء على المنطقة "سلمياً" وذلك عن طريق الاتفاقيات والدسائس الدبلوماسية . وبقيت المنطقة على هذا الحال حتى تخوم القرنين حين دخلت فرنسا وألمانيا وروسيا القيصرية هذه

المعركة[٧] . وقال أحد أبرز الدبلوماسيين لروسيا في الشرق الأوسط حينئذ "كروغلوف" وهو قنصل للإمبراطورية الروسية في بغداد، قال في هذا الصدد : لا يمكننا أن نتجاهل الحقيقة التي تكمن في أن الجزء الجنوبي من الجزيرة ما بين النهرين أخذ يبرز في دائرة العلاقات الدولية وأصبح مثار اهتمام أوروبا كلها . ولم تكن تلك الدول الأوروبية باستثناء إنجلترا تبدي قبل ذلك أي اهتمام بهذه المنطقة والأراضي الملاصقة لها . ولقد تبدل الحال تماماً الآن كما لو أنها قد مسها تيار كهربائي جعلها تركز أنظارها الطامعة إلى هذا الخليج الدافئ . وتوقفت عن النظر إليه كأنه موضوع للبحث العلمي فحسب . وأصبحت تعتبره مصدرا تريد أن تغترف منه الثروات والأرباح[٨] .

وكانت إنجلترا خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين تبذل من جهودها لوضع رقابتها الصارمة على الخليج العربي ولإضعاف نفوذ روسيا القيصرية على شمال بلاد فارس وتركيا، واستهدفت جهودها في نفس الوقت مد الطريق للمستعمرين من الإنجليز إلى داخل الجزيرة العربية، بقصد الاستيلاء على هذه المنطقة كلها وطرد الإمبراطورية العثمانية من هناك[٩] .

وكانت خطط نابليون بونابرت في إنزال الضربات الحربية على الهند التي كانت تحت النفوذ الإنجليزي، قد دفعت السلطات البريطانية لتوسيع شبكة مراكزها العسكرية في الخليج العربي حتى نهاية القرن الثامن عشر . وثبتت الحاميات الإنجليزية أقدامها في بعض الجزر الخليجية وأصبحت مسقط مخفراً أمامياً لها . وفي نفس الوقت عرضت لندن نيتها حول إمكانية وضع الرقابة الإنجليزية على الكويت بقصد تحويل الكويت في المستقبل إلى إحدى قواعد الأسطول البريطاني العسكري في هذه المنطقة[١٠] .

بدأت إنجلترا منذ ١٨٢٠م فرض سيطرتها على الخليج العربي وعلى التجارة في المياه المحلية، وعقدت حكومة لندن مجموعة من الاتفاقيات المربحة مع شيوخ عدد من القبائل العربية . وقال السيد كروجلوف : "إن موانئ الخليج العربي لا تكاد ترى أية سفن غير السفن البريطانية العسكرية التي كانت قد تمتعت بالحق الخاص في مراقبة المياه الخليجية" . واعتبرت إنجلترا هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة مستعمرة لها بناءً على عجز اتفاقية إقامة "السلام البحري الأبدي" (١٨٢٠م) الموقعة بين بريطانيا العظمى وعدد من شيوخ إمارات الخليج العربي وساحل الجزيرة العربية . وكانت تلك الاتفاقية

قد استهدفت فرض نفوذ إنجلترا السياسي والعسكري هناك . وبقي الموقع في الخليج العربي خاضعاً للسلطات البريطانية حتى نهاية القرن الماضي(١١) .

من المعروف أن الأربعينات من القرن السابع عشر كانت بداية اختراق فرنسا إلى الجزيرة ما بين النهرين ومن هناك إلى جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي . وظهر في ذلك الوقت في بغداد رهبان فرنسيون : عام ١٦٣٨م حيث تم إنشاء الأسقفية البابلية — وبعد ذلك (عام ١٧٤٠م) أنشئت هناك قنصلية فرنسا العامة ، أما عن الجزيرة العربية فلم يظهر قنصل لفرنسا هناك إلا في سنة ١٨٩٤م(١٢) .

يغلب على الظن أن الفرنسيين اقترحوا في العشرينات من القرن الثامن عشر على قيصر روسيا خطتهم في تطوير التجارة الفرنسية مع الشرق الأوسط (خاصة مع بلاد فارس والهند والجزيرة العربية والخليج العربي) عبر أراضي روسيا . وطبقاً لهذه الخطة كان من المتوقع أن يأتي الطريق التجاري من فرنسا إلى الخليج العربي عبر بطرس برج (Petersburg) . لكنه للأسف لم تنجح مشاريع التعاون الفرنسي الروسي هذه ولم تستطع كل من فرنسا وروسيا مواجهة زيادة النفوذ البريطاني في الجزيرة العربية والخليج العربي .

وخلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دخلت هولندا كذلك هذا التنافس الوحشي من أجل السيطرة في المنطقة وكانت تهدف لإزاحة البرتغاليين من الخليج . وأخيراً بدا الخليج العربي بسبب هذا الصراع الدموي يعتبر خطراً على عملية نقل البضائع ، من ثم بدأ التجار الأجانب يستخدمون الطريق الآخر عبر مصر والبحر الأحمر وبالتالي تضاءل دور الخليج في شبكة خطوط المواصلات وغاب هذا الدور لوقت طويل من دائرة اهتمامات الدول الكبرى حتى نهاية القرن الثامن عشر حين بدأ في أوروبا عصر الأحداث الثورية التاريخية الهامة . وبدأت تظهر من جديد أقطار الخليج العربي على المضمار الدولي، ونزل الجيش الفرنسي الذي قاده الجنرال نابليون بونابرت في مصر . وكان من خطته كذلك الاستيلاء على الهند . وفي ديسمبر ١٧٩٨م أمر قائد الجيش الفرنسي باحتلال مضيق باب المندب . ولكن تهدمت خطط نابليون بعد المعركة الحاسمة التي وقعت بالقرب من الإسكندرية والتي كان من أهم نتائجها القضاء على الأسطول الفرنسي بفضل العمليات البحرية الإنجليزية بقيادة الأميرال نيلسون . وبالرغم من هذه

الهزيمة لم يتخلَ نابليون عن إرادته في احتلال الهند، واختار الخليج العربي مضماراً لعملياته الحربية. وأراد بونابرت أن يجعل من البصرة ومسقط قاعدتين لأسطوله من أجل تحقيق خطته الحربية للاستيلاء على الهند . وفي المواجهة اعتزمت السلطات البريطانية لتوقي الضربات المتوقعة، أن تقطع الطريق عليها بإقامة نقاط ارتكاز لها[١٣] .

وخاضت بريطانيا وفرنسا التناقض من جديد في بداية القرن العشرين – أعني المجلس التحكيمي في مدينة لاهاي (The Hague)، حيث اتخذ المجلس قراراً ينص على أن لفرنسا الحق في الترخيص لأصحاب السفن المحليين في الخليج العربي بأن يرفعوا العَلم الفرنسي الرسمي في مياه مسقط . وكان هذا القرار يعتبر "صفعةً مدوية" لسمعة لندن في عيون شيوخ الخليج العربي . وكان من نتائج هذا القرار أن خرج أصحاب السفن الشراعية من تحت الرقابة البوليسية الإنجليزية _ الأمر الذي تحدى السيطرة البريطانية الكاملة في المنطقة، كما كان بمثابة تظاهرة للقوات القادرة على مواجهة إنجلترا .

وصفت السلطات في لندن والصحافة البريطانية نشاطات فرنسا هذه بأنها تناقض التصريح الإنجليزي الفرنسي في نصه وروحه . كما اتهمت الحكومة الفرنسية بأنها نقضت المعاهدة الموقعة في بروكسل (Brussels) في يوليو عام ١٨٩٠م التي فرضت حظراً على تجارة العبيد . وكانت الصحف الإنجليزية والهندية تحمل على الحكومة الفرنسية بأن لها مسئولية في استمرار تجارة الأرقاء في الجزيرة العربية بينما لم توجه تلك الصحف أي اهتمام لوجود أسواق للرقيق في مكة المكرمة والمدينة والبصرة وبغداد، ولذلك لم يكن لكل لهذه البيانات غير الطابع الدعائي ولم تستهدف سوى الدفاع عن "حقوق" إنجلترا الاستثنائية في الخليج العربي[١٤] . أدرك السياسيون الفرنسيون أن توطيد مواقع باريس على سواحل الجزيرة العربية غير ممكن إلا بمساعدة توسيع النفوذ الفرنسي السياسي والاقتصادي في هذه المنطقة . ولذلك أدرجت السلطات الفرنسية لجدول أعمال سياستها الخارجية نحو الشرق، مشروع افتتاح المواصلات البحرية المباشرة مع موانئ الخليج العربي . وظهرت هذه الفكرة فور إقامة اللجنة الفرنسية الآسيوية في عام ١٩٠١م والتي كانت مدعوة لمعاونة انتعاش نشاطات الدولة الفرنسية السياسية والاقتصادية في آسيا . وواضع هذا المشروع هو تاجر هولندي اسمه هوتز (Hotz) . ومن الطريف أن ذلك التاجر

الهولندي الهام كان قد اقترح نفس الخطة على الحكومة الروسية القيصرية، وقد ظهر أن روسيا قد استجابت لذلك الاقتراح بأسرع مما فعلت فرنسا وافتتح الخط البحري المباشر بين أوديسا (Odessa) والبصرة عام ١٩٠٣م . وقال قنصل روسيا في بغداد في ذلك الوقت – السيد كروجلوف، وهو محلل الموقف السياسي الدولي في منطقة الخليج العربي : "كما يبدو لي، لابد أن نشارك بإنشاء التيار الجديد في النشاطات الدولية عند الخليج العربي، وللمعركة الاقتصادية التي سيدخلها الفرنسيون وربما يتبعهم الألمان الذين هم أكثر خطراً وتهديداً لاستقلال شعوب الخليج من الفرنسيين الذين لن يسمحوا لأحد أن يزاحمهم . ولذلك علينا أن نبذل كل الجهد للدفاع عن إمكانية المشاركة في الأحداث التي تجري الآن في جنوب بلاد فارس والجزيرة العربية والخليج العربي"(١٥) .

وسرعان ما تأكدت مخاوف الدبلوماسي الروسي هذه . ويجب القول بأن الدولة التركية أسهمت في تقوية نفوذ ألمانيا في المنطقة إسهاماً واسعاً . وطلب السلطان العثماني في أغسطس ١٩٠٥م من السلطات الألمانية أن ترسل بعض المدرعات إلى مياه الخليج العربي . ولكن الملك الألماني فيلغيلم الثاني (غليوم) رفض هذا الرجاء نظراً لأن ظهور الأسطول الألماني يمكن أن يحفز الدول الأخرى (روسيا مثلاً) على نفس الإجراءات _ الأمر الذي سينمي شعور التمرد لدى شعوب المنطقة .

وعلى الرغم من كل البيانات الدعائية، أخذت ألمانيا تزيد من تواجدها في المناطق المجاورة للخليج، وإثباتاً لهذه المقولة يمكن أن ندلل على أن السلطات الألمانية حصلت عام ١٩٠٣م على امتياز بناء السكة الحديدية (الخط البغدادي عبر الحجاز) التي كان من المتوقع أن تصبح خطاً رئيسياً يربط ما بين الجزيرة العربية والخليج العربي مع أوروبا . وها هو الاقتباس من إحدى وثائق وزارة الخارجية الروسية في ذلك الوقت : "كما ظهر أخيراً أن كل جهود ألمانيا توجه إلى تحويل الجزيرة ما بين النهرين، وبعدها كردستان إلى قاعدة لإمبراطوريتها . هذا من جانب التجارة – ومن جانب السياسة فيريدون إقامة قاعدتهم لشن عملياتهم الحربية ضد روسيا وبريطانيا ومن أجل احتلال الجزيرة العربية والخليج العربي مستقبلاً"(١٦) .

وأدركت إنجلترا أنها معرضة لخطر فقدان مواقعها التي ظفرت بها في المنطقة من جانب ألمانيا وفرنسا وروسيا . وفي إطار تحقيق البرنامج الإنجليزي حول "الاحتلال

السلمي" للخليج العربي، راهنت حكومة بريطانيا العظمى على دور الصراعات بين الأوساط الحاكمة في الجزيرة العربية من جانب والإمبراطورية العثمانية من جانب آخر . وفي نفس الوقت قام المستعمرون الإنجليز بتوسيع شبكة البريد الاحتكارية في مسقط والكويت وبندر عباس وبوشهر ولنجة والبحرين والبصرة . وكانت مكاتب البريد هذه لا تقبل إلا الذهب الإنجليزي والروبيات الهندية .

قال السيد كروجلوف في هذا الصدد : "ترى لندن أن الخليج العربي والجزيرة العربية هي ملكيتها الخاصة . وتنتظر أن تواتيها الفرصة لتقسيمه لصالح بريطانيا"(١٧)، هذا وقد أتيحت تلك الفرصة لها بصورة حقيقية في بداية القرن العشرين وخاصة خلال وبعد الحرب العالمية الأولى .

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، اهتمت الإمبراطورية الروسية على مستوى الحكومة الرسمي بسواحل الخليج العربي .

° ° °

إن الطريق الذي أدى عبر القرون من الأراضي الروسية إلى الجزيرة العربية والخليج العربي، كان طريقاً طويلاً وصعباً للغاية . ولا نعرف حتى الآن شيئاً عنه، إلا أن المصدر الأول الذي ألقى الضوء على المسافر الروسي الأول الذي زار الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر هو "السفر عبر البحار الثلاثة" الذي ألفه التاجر الروسي "أفانسي نيكيتين" . وقد زار نيكيتين خلال سفره قاصداً التجارة بلاد فارس والهند ومسقط والبحرين وجزيرة هرمز .

وقد تشكلت بالتدريج ثلاثة طرق أساسية تمت بواسطتها الاتصالات المختلفة بين الأراضي الروسية والجزيرة العربية . وهذه الطرق هي :

١ — الطريق عبر بحر قزوين وبلاد فارس .

٢ — الطريق عبر آسيا الوسطى والهند .

٣ — الطريق عبر البحر الأسود والبحر المتوسط والبحر الأحمر .

ويجدر الاعتراف بأن التجار الروس كانوا يهتمون أولاً (أي في بداية تطور الاتصالات بين شعبينا) بالهند الغنية بالبدائع المثمرة والتي كان التبادل التجاري بينها وبين روسيا يدور بفضل وبمساعدة البلدان الواقعة في الجزيرة العربية والخليج العربي .

ربما كانت عملية شراء عدد من الخيول العربية الأصيلة التي حققها في الكويت عام ١٨٧٠ أمير شارباتوف (Sherbatov) من أوائل العمليات التجارية التي باشرها التجار الروس في الجزيرة العربية والخليج العربي . وبعد عدة سنوات من عملية الشراء هذه ظهر كتاب ألفه أمير شارباتوف بعنوان "الرواية حول الحصان العربي" (١٩٠٠م) . ويعتبر ظهور هذا الكتاب هاماً للغاية نظراً لأننا نستطيع الإدراك بفضله ما هي أسس الفكرة التي أقام عليها الروس تصورهم عن الجزيرة العربية والخليج العربي . ويمكن القول أنه بعد ظهور هذا الكتاب أخذ الشعب الروسي يربط بين الجزيرة العربية وسواحل الخليج ومواطن الخيول العربية الجميلة كما كانوا يستخدمون الكلمات : عربي — عرب — الجزيرة العربية — الخليج العربي . . . الخ .

ولم تسع روسيا إطلاقاً إلى السيطرة السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية في منطقة الخليج العربي، ولذلك أسباب موضوعية كثيرة، أحدها أن الدولة الروسية تستخدم عبر القرون الطرق التجارية الأخرى بدلاً من الطريق المار خلال الجزيرة العربية والخليج (الطريق عبر بحر قزوين ونهر فولجا على سبيل المثال)، وأن بعد الشُقة التي تفصل بين شعبينا، وأعمال القرصنة البرية والبحرية (حكى أفانسي نيكيتين أن سفنه التجارية قد تعرضت للنهب من قِبل القراصنة بالقرب من مسقط)، بالإضافة إلى الرسوم التجارية العالية (عشر قيمة البضائع في مضيق هرمز على سبيل المثال)، لم تساعد هذه الأسباب بطبيعة الحال على وضع وتطور الاتصالات المتينة بين روسيا ودول الجزيرة العربية والخليج العربي . على الرغم من كل تلك الحواجز كان العرب والروس يتقاربون من بعضهم البعض تدريجياً، ليس في دائرة التجارة فحسب، بل كانوا يتقاربون في مجال الثقافة أيضاً . كما كان لحجِّ المسلمين الروس إلى الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية دوراً هاماً في عملية التقارب تلك .

ونظراً لأن بريطانيا العظمى كانت تؤثِّر في نهاية القرن التاسع عشر على سياسة مشيخات وإمارات الحليج العربي تأثيراً شديداً (معاهدات مع سلطان عمان ومشايخها

عام ١٨٧٣م، ومع شيخ البحرين عام ١٨٨٠م، ومع شيخ الكويت عام ١٨٩٩م) كان لابد للسلطات الإمبراطورية الروسية من أن تضع برنامجاً سياسياً جديداً نحو تطور العلاقات مع هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة . وتم إعداد برنامج سياسة روسيا الخارجية الجديدة في نهاية القرن التاسع عشر بعنوان "الخطة الجديدة" . وكان من الأهداف الأساسية لتلك الخطة تنظيم حسن الجوار مع شعوب سواحل الخليج العربي عن طريق توسيع شبكة القنصليات لروسيا هناك، وكذلك في الجزيرة العربية والجزيرة ما بين النهرين . وتحقيقاً لهذه الخطة تم افتتاح القنصليات الروسية في بغداد عام ١٨٨٠م، وفي جدة عام ١٨٩٠م مما ميز انتقالاً هاماً في موقف روسيا في الشرق العربي من دور المراقب السلبي، إلى المشاركة بنشاط في تنمية الاتصالات مختلفة الأنواع مع الدول العربية . واستهدفت هذه السياسة الجديدة لروسيا كذلك تقوية سمعة الإمبراطورية في عيون الأقطار الشرق أوسطية وإلى إضعاف النفوذ الإنجليزي هناك . وفي سنة ١٩٠٠م افتتحت القنصلية الروسية في بوشهر وعام ١٩٠١م — في البصرة كذلك .

ويمكننا أن نقرر الخطة الجديدة لروسيا بصورة عامة إيجابياً من أجل إسهامها في تطور التعاون المتبادل بين الروس وعرب شبه الجزيرة والخليج . كما لابد من الإشارة إلى أن العلاقات العربية الروسية كانت في أولها تقوم على أسس المحبة للسلام والاحترام المتبادل وكانت لها مبادئ عدم التدخل في شئون الشريك الداخلية والتأييد الشامل للإرادة المتبادلة في تطور العلاقات المثمرة في كافة المجالات . وفي إطار تحقيق "الخطة الجديدة" تم توظيف الرأسمال الصناعي والتجاري الروسي في عدة مشروعات اقتصادية في المنطقة، وافتتح البنك الروسي في بوشهر، وتزايد عدد البعثات الروسية العلمية والفنية إلى الجزيرة العربية والخليج العربي، كما تمت رحلات التجار والحجاج الروس هناك وزيارات السفن الروسية إلى الخليج العربي (١٨٩٩ — ١٩٠٣م)، وأخيراً افتتح الخط البحري المباشر بين موانئ البحر الأسود والخليج العربي .وكان من أهم ثمار هذا التعاون أن يجري الحوار العربي الروسي الذي له وزن كامل والذي لم ينقطع حتى خلال المراحل التاريخية العنيفة والثقيلة .

* * *

وكرد على النشاطات الاستعمارية من قبل الدول الإمبريالية الأوروبية الكبرى اشتدت بداية من نهاية القرن التاسع عشر الحركة الوطنية التحررية العربية، وكان لها طابع ديني واجتماعي في نفس الوقت . هكذا ابتدأ العهد الطويل والثقيل في تاريخ الجزيرة العربية والخليج العربي — العهد الذي دافع خلاله الشعب العربي العظيم والنبيل عن استقلال أراضيه التاريخية .

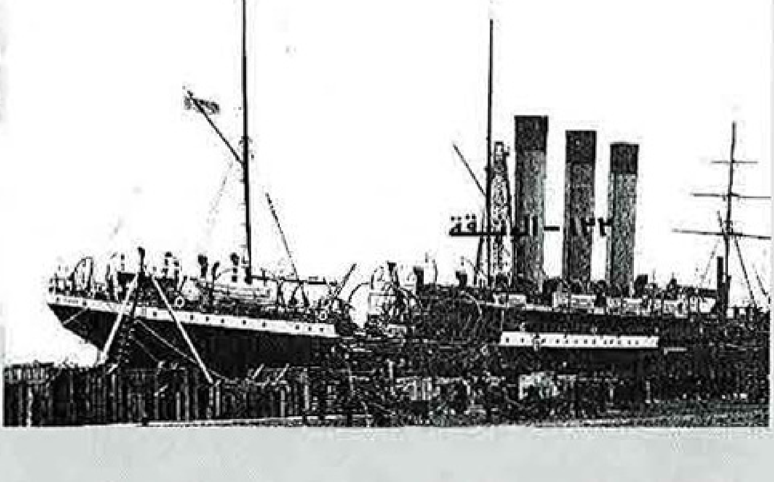
د. مارجاريتا كيسلووا
جامعة موسكو

الهوامش

١ – الجزيرة العربية ، المعلومات حول تاريخ اكتشافها ودراستها العلمية . موسكو، ١٨٩١، ص ٥ – ١٤٧ (باللغة الروسية) .
٢ – الجزيرة العربية والدول الأوروبية الكبرى . موسكو، ١٩٢٤، ص١٨ – ٣٥، (باللغة الروسية) .
٣ – سينتشينكو . الخليج العربي : كما نراه بعد مائة سنة . موسكو، ١٩٩١م، ص٨ – ١٧ (باللغة الروسية) .
٤ – شوموفسكي . الملاحة العربية خلال العصر الإسلامي . موسكو، ١٩٦٤م، ص١٤٠ – ١٦٤ ،(باللغة الروسية) .
٥ – آداموف . التجارة الدولية في الخليج العربي . موسكو، ١٩٠٠م، ص٩٥ .
٦ – Welson, The Persian Gulf. Oxford, 1928, p. 200-250.
٧ – يوفيسوف . المحميات الإنجليزية في منطقة الخليج العربي . موسكو، ١٩٦٣م، ص١٤١-١٤٢، (باللغة الروسية) .
٨ – أرشيف سياسة روسيا الخارجية . ملف "السفارة لروسيا في القسطنطينية"، إضبارة رقم ١٢٤٥، ص٣٢٧-٣٣٠ .
٩ – المرجع السابق، ص٣٣١ .
١٠ – بوبيف . الشرق الأوسط في سياسة فرنسا الخارجية . كييف، ١٩٦٥م، ص٢١٥ – ٢٣٩، (باللغة الروسية) .
١١ – Vadala. La Golf Peres, 1920, p. 117.
١٢ – بونداريفسكي . السياسة البريطانية . موسكو، ١٩٦٨م، ص٢٤٨ – ٢٥٥، (باللغة الروسية) .
١٣ – Chesney. The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris, London, 1850, Vol. 11, p. 536.
١٤ – أرشيف سياسة روسيا الخارجية . ملف "القنصلية في بلاد فارس"، إضبارة رقم ٤٠٤٣، ص٢ – ٥ .
١٥ – أرشيف سياسة روسيا الخارجية . ملف "السفارة في القسطنطينية"، إضبارة رقم ١٢٤٥، ص ٨١ – ٩١ .
١٦ – المرجع السابق، ص٣٣٠ – ٣٣١ .
١٧ – المرجع السابق، ص٤٤ – ٤٩ .

الرحلات المنتظمة للسفن التج

بقلم الدكتور أو. آي. ردكين

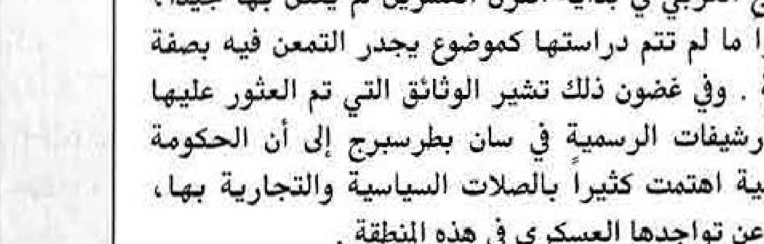


داية الروسية للخليج العربي

[١٩٠٠ – ١٩٠٤م]

إن الوثائق التي تعالج العلاقات بين روسيا وبلدان الخليج العربي في بداية القرن العشرين لم يعتن بها جيداً، وكثيرا ما لم تتم دراستها كموضوع يجدر التمعن فيه بصفة خاصة . وفي غضون ذلك تشير الوثائق التي تم العثور عليها في الأرشيفات الرسمية في سان بطرسبرج إلى أن الحكومة الروسية اهتمت كثيراً بالصلات السياسية والتجارية بها، فضلا عن تواجدها العسكري في هذه المنطقة .

ويعالج هذا البحث الوثائق التي تتعلق بالتجارب الأولى في الملاحة الروسية في الخليج، وتأسيس خط منتظم للملاحة بالبواخر بين الموانئ الروسية في البحر الأسود وبين الموانئ الخليجية .



وتتكون هذه الوثائق من التقارير الأصلية من الموظفين الروس والدبلوماسيين والرسائل الشخصية والرسمية والأوامر والمذكرات . . .الخ، وأرشيف الشركة الروسية للملاحة بالبواخر والتجارة[1] المتواجدة في الأرشيفات الرسمية الروسية في سان بطرسبرج . وعلى الرغم من أن الوثائق المتعلقة بالعلاقات الروسية الخليجية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تزودنا بمعلومات بشكل مجموعة من الصور وليس بصورة منتظمة، إلا أنها تساعدنا في تقدير أهمية العلاقات في نطاق السياسة الخارجية الروسية وإدراك تنميتها في هذه الفترة من الزمن .

وفي الوثائق المذكورة اعتبرت منطقة الخليج كثيراً كمنطقة مرتبطة بإيران، كما يوجد تشوش في كلمتي الخليج الفارسي وإيران . فعلينا أن نأخذ هذه الملاحظة بعين الاعتبار .

لقد شهدت بداية القرن العشرين نمواً في الاقتصاد الوطني الروسي وبالتالي تنمية تجارتها بالعالم الخارجي مما اقتضت الحاجة لاكتشاف أسواق جديدة لصناعاتها الوطنية . وقد رافق تنمية النفوذ الروسي في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية تنافس دائم ومتزايد مع الدول الاستعمارية الأوروبية خاصة مع بريطانيا العظمى . وقد يمثل أحد مظاهر هذا التنافس تأسيس خط ملاحي تجاري بين موانئ البحر الأسود والموانئ الخليجية . وعلى الرغم من أن بعض الروس قد زاروا المنطقة أحياناً فيما قبل، وحسب المعلومات المتيسرة، كان قنصل الشرف "آدموف"[2] قد قام بزيارة الموانئ في وقت مبكر في عام ١٨٩٧م . إلا أن العلاقات التجارية المنتظمة بين روسيا وبلدان الخليج لم تتبلور إلا في بداية القرن العشرين .

وفي ذلك الحين كان التجار الروس قد أقاموا صلات تجارية نشطة مع بلدان الشرق الأوسط وأقاليم إيران الشمالية عبر القوقاز بينما كانت تجارة الجناح الجنوبي، أي الخليج، تحت سيطرة الإنجليز . وكانت أعداد السفن التجارية في الخليج في بداية القرن العشرين كالآتي : البريطانية (١٣٨) والألمانية (٣) وسفينة واحدة لكل من تركيا والنرويج وهولندا[3] . وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت لروسيا مصالح سياسية وعسكرية وتجارية واضحة في هذه المنطقة مما اقتضى تنظيم خط بحري تجاري منتظم إلى الخليج .

وقبل ذلك لم تتواجد سفن تجارية روسية في الخليج . وتزامن الارتفاع في الأنشطة التجارية مع تصعيد التواجد العسكري الروسي في المنطقة . وفي عام ١٩٠٠م قامت سفينة المدفعية الروسية "جلياك" بزيارة الخليج لأول مرة مما يدل أولاً على المصالح السياسية ثم المصالح التجارية لروسيا فيها .

وكان الوقت آنئذ ملائماً لمثل هذا التخطيط لأن أنظار وزارة الخارجية البريطانية كانت موجهة نحو الأحداث الأفريقية والصينية تماماً . وقد جاء في مذكرة للشركة الروسية[٤] للملاحة والتجارة :

". . . يعتقد وزير المال أن الوقت الملائم قد حان لتأسيس (الخط الملاحي) لأنه في الوقت الحاضر ليس من المهم أن نأخذ بعين الاعتبار منافسة إنجلترا لأنها مشغولة بالتطورات في أفريقيا والصين . . . ويرى الوزير بأنه يجب أن ننتهز هذه الفرصة المناسبة لصالحنا . . . ويوافق الوزير بأن هذا الخط يخدم المصالح السياسية في البداية أكثر من المصالح الاقتصادية ولا يمكن أن يُشغَل دون إعانة مالية من الحكومة ."[٥] وتقرر تأسيس الخط البحري المنتظم بين الموانئ الروسية وموانئ الخليج في عام ١٩٠٠م . وفي حين بادرت الحكومة الروسية لاتخاذ هذا القرار، كانت الشركة الروسية للملاحة هي التي نفذت هذه الخطة .

إن المشروع المتعلق بتنظيم الرحلات البحرية بين الموانئ الروسية والخليجية قد أحيل إلى المجلس الإداري للشركة الروسية للملاحة وتعرض لدراسة دقيقة ثم صدر تقرير[٦] عن المشروع مع قرار المجلس وجاء فيه : "عقب استلام الشركة الروسية للملاحة والتجارة اقتراحاً لتأسيس رحلات منتظمة ين موانئ البحر الأسود من ناحية وبين موانئ الخليج من ناحية أخرى يتشرف مجلس إدارة الشركة بإخطاركم بأن الشركة مستعدة لتتولى مسئولية الاستثمار في هذا الخط البحري"[٧] .

إن التقرير المذكور أعلاه أكد ليس أهمية الخط البحري بين "أوديسا" وبين الخليج من الناحية التجارية فحسب، بل أكد أهميته السياسية أيضاً وذكر (ظهور العلم الروسي) في تلك المنطقة . وفضلاً عن ذلك كان هذا من منظور وزارة المالية "في صالح التجارة الروسية إذا امتد الخط المذكور إلى الهند"[٨] . وقد خطط أن البواخر في طريقها إلى الخليج

تزور الموانئ التالية : أوديسا، والقسطنطينية، وبورسعيد والسويس وجدة وجيبوتي وعدن وبندر عباس ويانسي وبندر بوشهر . وكان طول الخط البحري ١٠٨٧٢ ميلاً ولم يستغرق السفر أقل من شهرين ونصف الشهر . وإضافة إلى ذلك، أكدت المذكرة على أهمية موقعين في البحر الأحمر تستفيد السفن الروسية من زيارتهما وهما كل من جدة وجيبوتي . وبالنسبة إلى جدة فقد كانت المكان المقصود للحجاج المسلمين من روسيا وبومباي وهم في طريقهم لزيارة المسجد النبوي الشريف . أما جيبوتي فكان موقعها في بداية خط السكة الحديد إلى المنطقة الداخلية في الحبشة[٩] .

وقرر مجلس الإدارة : "من الواضح بأن تشغيل خط ملاحي جديد مثل هذا لا يمكن دون معونة مالية من الحكومة" . وفي حالة تشغيل الخط شهرياً، احتاجت الشركة إلى ثلاث أو أربع بواخر في نفس الوقت .

وحسب التخطيط الذي رسم في عام ١٩٠١م في الجرائد، ووفقاً لجدول مواعيد السفن الذي نشر في عام ١٩٠١م في الجرائد، نظمت الشركة الروسية ٤ رحلات إلى الخليج وبداية من أول يناير عام ١٩٠٢م بدأت رحلات منتظمة للبضائع والركاب . ولم يكن ذلك ممكناً دون الحصول على معلومات مفصلة عن أوضاع الملاحة إلى الموانئ الخليجية والأحوال التجارية . وقد جاء في المذكرة : ". . . أولاً يجب علينا أن نرسل مبعوثاً ليزور جميع الموانئ المذكورة سابقاً لينظر في ملاءمتها لزيارة السفن الروسية لها، والتسهيلات المتواجدة فيها لشحن وتفريغ البضائع وإرساء السفن والتخزين . . ."[١٠] .

ومتابعة لذلك، وبناءً على تفويض من الجمعية الأنثروبولوجية الروسية وبمساعدة من الشركة الروسية للملاحة والتجارة، فقد قام المبعوث الخاص "فاسيلي رومانوف" برحلة متعبة بهدف اكتشاف منطقة الخليج وشط العرب .

وهنا يجدر الذكر بأن السلطات البريطانية أقامت عراقيل عديدة في سفره إلى الخليج، مثل فرض سعر زائد على تذكرته للسفر من الإسكندرية إلى الخليج عندما عرفوا بأنه روسي . ورغم هذه العراقيل كان سفر "رومانوف" ناجحاً، وقدم تقريراً كاملاً للشركة متضمناً وصفاً للموانئ الخليجية مع معلومات عن الأوضاع المعيشية في الخليج والتجارة والصناعات اليدوية . وقال "رومانوف" بخصوص البضائع التجارية فإن "الإنجليز

يهتمون كثيراً بتصدير المنتجات البترولية إلى المنطقة . ويزيد الطلب عليها عاماً بعد عام في سائر المناطق الساحلية في كل من الخليج والهند . وفي تلك السنة بالضبط تم استيراد النفط بقيمة حوالي ٨٠٠٠ جنيه، وكذلك يستخدم الفحم المستورد من إنجلترا"(١١) .

وعقب زيارته للكويت كتب "رومانوف" قائلاً : "تقع الكويت على الساحل الغربي للخليج في خط العرض ٢٨ درجة شمالاً، وهي مدينة صغيرة وشيخها يتخذ موقفاً ودياً نحو الروس على الرغم من أنه متحالف مع الإنجليز الذين يتملقونه بوسائل مختلفة لكسب رضاه ويعاملونه بتنازل . وتعتبر الكويت ولنجة من الموانئ التجارية والمستودعات على الساحل العربي . وتوجد في الكويت مغاصة للؤلؤ كما يصدر منها الصدف بكميات كبيرة إلى مارسيليا" (فاسيلي رومانوف، ٢٠ أكتوبر، سان بطرسبرج)(١٢) .

وفي نفس الوقت صدر تقرير عن أوضاع الملاحة في الخليج، ورغم أن كاتب التقرير رجل لم يكشف النقاب عن هويته إلا أنه يبدو أنه مبني على معلومات مصادرها غير مصادر "رومانوف" .

ويقول التقرير : "لا توجد موانئ في الخليج الفارسي، ويجاور الخليج الفارسي (خليج عمان) . وترسو السفن في المراسي الصغيرة الخارجية في كل من جسك والبحرين وبوشهر على بعد ٣ أميال من الساحل وميلين ونصف الميل من بندر عباس وميل ونصف الميل من لنجه . وفي مسقط يوجد ساحل عميق وترسو البواخر بالقرب من آخر قلعة إلى اليمين في الخليج التي تقع على بعد نصف الميل من قصر الشيخ(١٣) .

ويجدر بالذكر أن مسألة إنشاء الخط الملاحي قد جلبت انتباه، ليس سلطات الحكومة فحسب، بل أفراد أسرة القيصر أيضاً . (وأذكر على سبيل المثال الدوق الكبير الإسكندر ميخايلوفتش) مما يشهد على الأهمية التي نالها هذا الموضوع . "طلب سموه الإمبريالي الدوق الكبير "الإسكندر ميخايلوفتش" برقياً مدير الشركة الروسية للملاحة والتجارة "أوتو لوفيتش رادوف" ليناقش معه المسائل المتعلقة بتأسيس الخط الجديد للخليج . وفي المناقشات التي دارت بينهما، شارك وزير المال الذي طلب من مجلس إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة أن يرسل إحدى سفنها إلى الخليج الفارسي في يناير عام ١٩٠١م محملة بمنتجات مصانع موسكو ولودز والسكر والخشب والكيروسين والحلويات"(١٤) .

ومع نجاح الرحلة الأولى المدعمة بمساعدة الحكومة، تقرر إنشاء ٧ أو ٨ رحلات منتظمة بالبواخر في الفترة بين أغسطس وبين مارس . وتقرر أيضاً استغلال هذا الخط لمدة الخمس عشرة سنة المقبلة مما يدل على جدية المشروع[١٥] . وكان المتفق عليه أن الخط يكون غير مربح في السنوات الأولى، وتغطي الحكومة الخسائر الناجمة عن تشغيله .

كتبت الجرائد المعاصرة للحدث . . ."وفي تأسيس العلاقات التجارية مع ساحل الخليج الفارسي، يجب علينا ألا ننسى مسقط التي هي أحسن سوق . . . ويبلغ حجم التجارة في مينائها أكثر من ٤ ملايين طالر ماريا تريزا" . وكانت الصادرات الرئيسية من الخليج مكونة من الصوف والجلود والخيوط القطنية والسجاجيد والفواكه الجافة والتمور واللوز والصمغ والحرير والتبغ وعطر الورد والخيول . وشملت وارداتها القطن والمنسوجات الصوفية والأسلحة والكيروسين والمصنوعات المعدنية والشاي والسكر والنيلة والقهوة والليمون المجفف والأصداف" . والغريب أن الجريدة ذكرت البترول من بين الواردات وقالت : "يستهلك البترول الروسي فقط في موسم الشتاء"[١٦] .

الرحلة الأولى للخليج :

وتم تخطيط الرحلة الأولى الاختبارية إلى الخليج ببعثة الباخرة "لازاريف" لتبحر إلى الموانئ الآتية : أوديسا والقسطنطينية وبيروت وبورسعيد والسويس وجدة وجيبوتي ومسقط وبندر عباس ولنجة وبوشهر والبصرة . وفي آخر لحظة حلت الباخرة "كورنيلوف" محل "لازاريف" . ونالت الرحلة الأولى وكذلك الرحلات الأخرى مساعدة مالية من الحكومة الروسية قدرها ٥٢٠٠٠ روبل لكل رحلة بينما لم يتجاوز الدخل ١٢٤٤٠ روبل من أجر شحن البضائع والتذاكر . غادرت "كورنيلوف" أوديسا في ٣ فبراير ١٩٠١م وعلى متنها ٧٥٠٠ علبة كيروسين بالإضافة إلى البضائع الروسية التقليدية كالفابريكات والأخشاب والسكر .وقد جاء في تقرير لمدير الدائرة التجارية للشركة : "إن الخط الخليجي في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب يحمل الأهمية السياسية فحسب، بينما تنمية الروابط التجارية تحتاج إلى وقت طويل"[١٧] . ويتضمن التقرير أيضاً وصفاً مفصلاً

للموانئ التي زارتها "كورنيلوف" والمعلومات عن الملاحة (كعمق عرض البحر ومرشدي السفن ومواصفات الشاطئ والفشوت . . . الخ) .

وتوجد المعلومات التالية بالنسبة لمسقط : "قد وصلنا إلى مسقط في ٣ مارس ١٩٠١م في الساعة السابعة والنصف صباحاً وفيها خليج صغير يكفي لعدد من السفن التي ترسو على بعد حوالي ربع ميل من الشاطئ . . . تشرفت بالسلام على سلطان مسقط الذي نظر إلى المشروع الجديد باستحسان . أطلقت "كورنيلوف" طلقات التحية من المدفع ونالت الاستجابة من قلعة مسقط ورفع العلم الروسي التجاري لأول مرة فوق القلعة"[١٨] . ولاحقاً تقرر رفع عدد الرحلات إلى ٤ سنوياً .

عقد اجتماع سري في وزارة المال في صيف عام ١٩٠١م لمناقشة نتائج الرحلة الأولى الاختبارية ، وتم الوصول فيه إلى توصية تنمية علاقات تجارية مع الخليج في المستقبل ،

ينص محضر الاجتماع السري في تنظيم رحلات البواخر على نهر دجلة والملاحة المنتظمة في الخليج من قبل الشركة الروسية للملاحة والتجارة على الآتي : "مهما كانت النتائج التجارية لهذا المجهود، فمما لاشك فيه بأن الملاحة بالبواخر في الخليج ذات أهمية سياسية كبيرة" . وقيل أيضاً : "وأثناء تنظيم الرحلات المنتظمة إلى الخليج يكون موضوع إنشاء وكالات في الموانئ الخليجية تحت الدراسة مرة أخرى"[١٩] .

وقد نالت المعلومات عن الرحلات المقبلة اهتماماً كبيراً على نطاق واسع ونشرت في الجرائد الروسية والأجنبية على السواء . وفي أول أكتوبر ١٩٠١م أبلغت الشركة : "بأن الدوق الكبير الإسكندر ميخايلوفتش يريد إصدار إعلان فوري عن الرحلة إلى الخليج في يناير العام المقبل" . وقد تقرر "إصدار النشر كما طلب صاحب السمو الإمبريالي"[٢٠] .

ومما لاشك فيه فإن النشاط الروسي في الخليج كان موضع قلق للإنجليز، وأثناء رحلة باخرة "كورنيلوف" الأولى للخليج رافقتها السفن الحربية البريطانية . وكتب مراسل جريدة "تايمز" من "أوديسا" : "تتمتع الشركة بمساعدة الدائرة المالية الروسية التي تمارس سياسة تجارية مجازفة في موانئ الخليج أساساً لتطوير التجارة الخارجية لروسيا . والهدف الذي يسير روسيا وهي مصممة على تحقيقه، هوفرض قبضتها على الأسواق الجنوبية لإيران . . . وروسيا مستعدة مع تجارها لتكبد الخسائر في الصفقات

الأولى، مقتنعة بأنها ستربح لاحقاً بعد كسب الأسواق . وأن مسألة الدفاع عن المصالح التجارية البريطانية في الخليج الفارسي خطيرة جداً[٢١] .

الرحلة الثانية :

لقد اكتسب الخط البحري شعبية في روسيا بسرعة . فكان حجم الشحنات في الرحلة الثانية التي تمت في أغسطس ١٩٠١م أكبر بكثير من الرحلة الأولى . وحين كان الطقس أثناء الرحلة الثانية جيداً، كانت الظروف السياسية غير ملائمة وسببت بعض العراقيل . وحسب المذكرة السرية التي وقعها مدير دائرة الملاحة التجارية في ١٩ فبراير ١٩٠٢م نعلم أن ضابط الطراد البريطاني قد جاء إلى الباخرة "كورنيلوف" واستجوب رئيس الطاقم وراجع إجاباته للتأكد من صحتها . ونال الحادث انتباهاً واسعا لدرجة أن اطلع عليه القيصر الروسي، وتقرر لعلم من يهمه الأمر : "زيارة الضباط الإنجليز للسفن الروسية ليس لها جواز قانوني وتشكل خرقاً لحقوقنا وتعطي انطباعاً للسكان المحليين بأن موافقة الإنجليز مطلوبة للسفن الروسية لتزور الموانئ الخليجية . . . وعلى قادة السفن الروسية تجنب أي علاقة بالسفن البريطانية الحربية وخاصة عدم إعطاء أية معلومات عن رحلتهم"، حسبما في المذكرة[٢٢] .

الرحلة الثالثة :

غادرت "كورنيلوف" في رحلتها الثالثة في ١٥ يناير ١٩٠٢م . وفي نفس العام غادرت باخرة أخرى جديدة تسمى "تروفور" أيضاً على هذا الخط . وعلم أن الباخرة "تروفور" غادرت أوديسا في ٣٠ مايو ١٩٠٢م متوجهة إلى الخليج وزارت الموانئ التالية : القسطنطينية وسامرنا ويافا وبورسعيد والسويس وجدة وجيبوتي وعدن ومسقط وجسك وبندر لنجة وبوشهر والبصرة . وتقوم الباخرة بزيارة جدة عادة إذا وجد الحجاج هناك وإلا مرت بها دون الزيارة .

الرحلة الرابعة :

وفي الرحلة الرابعة حملت "تروفور" على متنها ٢٦٥١٧ (بود) معظمها خشب[٢٣]، بالإضافة إلى المنسوجات وأدوات المائدة والمأكولات والمكرونة . وكما حصل في السابق، كانت الرحلة مدعمة مالياً من قبل الحكومة . وقد جاء في مذكرة موجهة إلى دائرة الملاحة التجارية بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٠٢م : "يتشرف مجلس إدارة الشركة بتقديم طلب إلى الدائرة تسديد ٥٠٠٠٠ روبل مقابل الرحلة المكلفة إلى الخليج"[٢٤] . وربحت "تروفر" من هذه الرحلة ١٠٥٤٥ روبل و٨٤ كوبك، أي ٢٠٪ من الدعم المالي .

الرحلة الخامسة :

وفي هذه الرحلة امتد الخط ليشمل البصرة وتم التخطيط لامتداده حتى بغداد .

وعلى الرغم من نشر جدول المواعيد إلا أن الرحلات كانت تتأخر بصفة دائمة، فغادرت "تروفور" مياه أوديسا في ١٧ يوليو بدلاً من ١٢ يوليو إلى الخليج " وذلك بسبب إضراب الوقادين والملاحين"[٢٥] . وعلى كل غادرت "تروفور" مسقط في ١٣ أغسطس . وعند العودة في ١٩ سبتمبر مرت بجدة ووصلت إلى أوديسا في ٢أكتوبر .

وعلى الرغم من مواجهة صعوبات مؤقتة فقد تطورت الملاحة بالبواخر وارتفعت الطلبات للنقل البحري وحملت "كورنيلوف" على متنها الشحنات التالية في أكتوبر عام ١٩٠٣م :

حبيبات السكر	٧٩٤٣٢,٢٣ (بود)
الكيروسين	١٥,٠٠٠ صفيحة
أسمنت	١٥٠٠٠ كيس

المأكولات	١٠٢٥ (بود)
الأخشاب	٣٢٠ (بود)
البضائع المتنوعة	٤١٠,٠١ (بود)
المجموع	١١٤.٠٩٤,١٧ (بود)

وأثناء هذه الرحلة قامت الباخرة بتفريغ أكثر من ثلث حمولتها في مسقط، أي (٣٥٢٥٠,٠٥[٢٦] . وفي ذلك الوقت كانت مسقط كما يبدو نقطة تحول بين الموانئ الروسية والساحل العربي للخليج بما فيه (البصرة) ويشهد على ذلك بصورة غير مباشرة قائمة البضائع التي نقلتها "كورنيلوف" .

وكالمعتاد كان نقل البضائع بالبواخر مدعما من الحكومة الروسية . وعوضت دائرة الملاحة التجارية تكاليف الشركة في مرورها عبر قناة السويس (وكانت رسوم العبور لـ "تروفور" قد بلغت في المرة الأخيرة مبلغاً قدره ١١٥١٢,٩٦ فرنك) وعادت "تروفور" إلى أوديسا عقب رحلتها الأخيرة في ١٤ يناير ١٩٠٤م .

وكالمعتاد، لم يكن تطور الملاحة البحرية البخارية الروسية في الخليج يستهدف الأغراض التجارية فحسب، بل الأغراض السياسية أيضاً واتخذ أشكالاً غريبة . وفي رسالته إلى مجلس الإدارة ذكر المكتب الرئيسي مطالب القناصل الروس في الخليج "ضرورة ملحة لنشر جدول المواعيد باللغة الفرنسية لمكافحة اللغة الإنجليزية التي لها جذور عميقة في الخليج" ولا يمكن للدائرة الرئيسية أن تضع حداً على نفسها باستخدام اللغة الفرنسية فحسب . . ." وفضلاً عن ذلك "تستهدف الشركة الروسية للملاحة البحرية والتجارة العاملة على الخط الفارسي، نشر النفوذ الروسي عن طريق تطوير العلاقات التجارية مما يتطلب أن نأخذ بعين الاعتبار الأوضاع السوقية وكذلك التراث والتقاليد السائدة في المنطقة"[٢٧] .

ومن العوائق التي واجهت التجار الروس كان نقص المعلومات عن الشئون الحاضرة والمنطقة ككل من حيث الوضع السياسي والتجاري . ويجدر الملاحظة بأنه لم يكن هناك أي مواصلات برقية بين روسيا والخليج آنئذ . وبالعكس، كان منافس الروس الرئيسي، البريطانيون، على اطلاع بما يحدث حولهم بسبب تواجد خط التلغراف آنئذ ما بين الخليج وأوروبا .

وقد اقترح مجلس إدارة الشركة في عام ١٩٠٤م جدول المواعيد الآتي للموانئ الخليجية آخذاً في الاعتبار موسم نضج التمر وموسم الحج .

الرحلة الأولى : مغادرة أوديسا في ١٥ يناير ١٩٠٤م .

الرحلة الثانية : مغادرة أوديسا في ١٠ أبريل ١٩٠٤م .

الرحلة الثالثة : مغادرة أوديسا في أول يوليو ١٩٠٤م .

الرحلة الرابعة : مغادرة أوديسا في أول أكتوبر ١٩٠٤م .

وتقرر ابتعاث الباخرة "تروفور" في الرحلتين الأولى والثانية كي تنقل مزيداً من البضائع نظراً لكثافة المرور المتوقعة من الجهتين .

واتضح في نوفمبر عام ١٩٠٣م بأن "تروفور" لم تكن قادرة على حمل كافة البضائع المرتقبة، فأرسلت مذكرة مؤرخة في ١٩ نوفمبر ١٩٠٣م إلى دائرة الرحلات التجارية للنظر في إمكان ابتعاث الباخرة "ديانا" محل "تروفر" لنقل البضائع إلى الخليج لأن حمولتها كانت ٢٨٢٠٠٠ (بود) مقابل حمولة ١٣٨٠٠٠ (بود) لـ "تروفر" .

وفي ١٨ يناير ١٩٠٤م أبحرت الباخرة "جوبيتر" من أوديسا وعلى متنها ١٨٩١٤٣ (بود) من البضائع متوجهة إلى الخليج .

وحتى في عام ١٩٠٤م دعمت الحكومة خط الملاحة مالياً في الخليج، ويتضح هذا الأمر من نص الوثيقة التالية :

١٤ فبراير ١٩٠٤م[٢٨]

إلى دائرة الملاحة التجارية

وفقاً للفقرة ١١ من الاتفاقية المبرمة مع دائرة الملاحة التجارية المؤرخة ٢٩ أبريل ١٩٠٣م ، يتشرف مجلس إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة بتقديم طلب لدائرة الملاحة التجارية لتصدر الأمر لتسديد ٢٠٠,٠٠٠ روبل لصالح الشركة من مستحقاتها لشهر يناير العام الحالي كي تستخدمها لتشغيل الخط الملاحي إلى فارس في عام ١٩٠٤م .

الرئيس	إمضاء
عضو المجلس الإداري	إمضاء
مدير الأعمال	إمضاء
كاتب الحسابات	إمضاء

وفي عام ١٩٠٤م أدخلت تعديلات في شروط الملاحة في كل من ١٠ أبريل و٢٥ يوليو وأول أكتوبر وكان إدخال مزيد من التعديلات في شئون التجارة في الخليج قد أدى إلى الحرب بين روسيا واليابان .

وفور مغادرة الباخرة "تروفور" ميناء أوديسا (في أول أبريل ١٩٠٤م) تلقت وزارة الخارجية الروسية معلومات حول الأخطار التي قد تواجه هذه الرحلة . فأبلغت الشركة عنها بالفعل .

من وزارة الخارجية

إلى مجلس إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة . سري جداً – عاجل – ١٤ مايو ١٩٠٤م (ن ٨٧٣)

تلقت وزارة الخارجية أخباراً في ١٤ مايو تشير إلى احتمال حجز الباخرة "تريفور" من قبل اليابانيين عندما تدخل مياه الخليج . يبدو أن البريطانيين ينشرون الدعاية لإفشال الأنشطة التجارية الروسية في المنطقة[٢٩] .

وبعد وصول الاطلاع، قام مجلس الإدارة بتأمين الباخرة ضد العدوان العسكري .

وعلى الرغم من التهديدات سواء كانت حقيقية أو وهمية، إلا أن "تروفور" غادرت البصرة حاملة ١٣٠٠طن من البضائع متوجهة إلى أوديسا . وفي ٢٥ مايو مرت "تروفور" بأمان بمسقط ثم بجدة في ١٤ يوليو وأخيراً وصلت إلى أوديسا .

ورغم التهديدات التي وجهت إلى الملاحة التجارية الروسية في المحيط الهندي بسبب نشوب حرب بين روسيا واليابان، إلا أنه قد تقرر إرسال "تروفر" مرة أخرى إلى الخليج في ٢٥ يوليو عام ١٩٠٤م . ونشر الإعلان عنها في الجرائد كالمعتاد وتلقت "تروفر" الشحن للنقل . وقد نالت هذه الخطوات تشجيعاً من السلطات العليا في الحكومة الروسية .

الدائرة الرئيسية للملاحة التجارية والموانئ . أول يوليو ١٩٠٤م دائرة الملاحة التجارية	إلى مجلس الإدارة للشركة الروسية للملاحة والتجارة
	بناءً على المذكرة المؤرخة في ١٣ يوليو ١٩٠٤م (ن١٢٤٥) المتعلقة برحلة الباخرة "تروفور" إلى الخليج . إن دائرة جمعية الملاحة والتجارة أخبرت المدير الرئيسي للملاحة التجارية بأن صاحب السمو الإمبريالي لا يؤيد فكرة إلغاء الرحلة المقبلة إلى الموانئ الخليجية . وفي نفس الوقت، أمر صاحب السمو بإبلاغ مجلس إدارة الجمعية بانه يجب على قبطان الباخرة بعد وصوله إلى بورسعيد أن يستقسر عن وجود الطراد الياباني في البحر الأحمر . وإذا كان الطراد العدائي موجوداً فعليه أن ينقل حمولة الباخرة إلى سفينة محايدة ويرافقها إلى الخليج ثم يعود .
رئيس الدائرة	الإمضاء
رئيس الدائرة الفرعية	الإمضاء

وفي هذه الأثناء بحثت الشركة الروسية للملاحة والتجارة عن إمكان تأجير شاحنة محايدة غير بريطانية كمنافسة رئيسية لنقل البضائع إلى الخليج في حالة الطوارئ .

وفي نفس الوقت روجت إشاعات مرة ثانية عن تواجد طرادات يابانية في الخليج . ولم يكن من المستطاع التأكد من صحة هذه الشائعات وإن كانت في صالح المنافسين . وفي مذكرة مؤرخة ١٨ أغسطس ١٩٠٤م موجهة إلى مجلس إدارة الشركة جاء التأكيد بأنه في محاولة لطرد الباخرتين الروسيتين "بطرسبرج" و"سمولنسك" من البحر الأحمر، نشر الإنجليز شائعات بأن سفينة غير مصرح لها موجودة في خط عرض جدة، وكذلك طرادة يابانية في سنغافورة[٣٠] . وبالأخير بعد تأخير نتج عن تحميل الباخرة بالبضائع ببطء، أبحرت "تروفور" من أوديسا متوجهة إلى الخليج ومرت بالسويس في ٦ أغسطس وبجدة بعد ٤ أيام، ولاحقاً ألقت المرساة في ٢١ أغسطس ومن ثم في البصرة في ٣٠ أغسطس . وعند العودة زارت الباخرة البحرين بصورة مفاجئة لأن البحرين لم تكن في جدول المواعيد .

المكتب الرئيسي[٣١] دائرة التجارة	الشركة الروسية للملاحة والتجارة أوديسا، ١٧ سبتمبر ١٩٠٤م إلى مجلس الإدارة في الشركة في بطرسبرج
	يتشرف المكتب الرئيسي باخطار مجلس الإدارة بأنه تلقى برقية من وكيل الشركة في بوشهر قائلة أن الباخرة "تروفر"
المدير	الإمضاء

ومن سوء الحظ أنه لا توجد أي معلومات أخرى حول هذه الزيارة .

لقد عادت "تروفور" إلى أوديسا في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٤م عقب الرحلة الثالثة للخليج وتقرير إرسال الباخرة "روستوف" في المرة القادمة للخليج، وهي باخرة أكبر من "تروفور" وقادرة على نقل شحنة إضافية من ٤٠,٠٠٠ علبة كيروسين .

وعلى كل، كانت الرحلة الرابعة إلى الخليج، آخر رحلة في عام ١٩٠٤م وخطط لها أن تبدأ في أول أكتوبر . وكان على متن الباخرة البضائع التالية :

٢٠٠٠علبة من الكيروسين	٤٤,٣٥٠ (بود)
١٠٠٠ كيس من الأسمنت	١٠,٠٠٠ (بود)
حبوب السكر	١٥١٢ (بود)
٦٦ نوعاً من السلع المختلفة	٣٩ (بود)
المأكولات	١٨٠ (بود)
الشاي	٢ (بود)
البضائع المتنوعة	٣٩ (بود)
حمولة مباشرة	١٩٢٣ (بود)
المجموع	٥٨,٢٠٥ (بود)

الخلاصة :

في بداية القرن العشرين، اكتسبت منطقة الخليج أهمية كبرى في سياسة روسيا الخارجية . وتمشت مصالح وزارة الخارجية مع نوايا التجار الروس وأصحاب الصناعة الذين كانوا يبحثون عن أسواق جديدة لمنتجاتهم المحلية . وكان ذلك في نطاق أوسع لمنافسة القوى الأوروبية الاستعمارية والصناعية مثل بريطانيا العظمى وفرنسا . والأمر الذي يبدي اهتمام الحكومة بهذا الخط هو دعمها المادي له كما كان له انعكاسات سياسية في روسيا . وشاركت حتى أسرة القيصر في تنظيم رحلات ملاحية إلى الخليج بانتظام .

ونظراً لأن رحلات البواخر المنتظمة للخليج منذ البداية اكتسبت أهمية سياسية أكثر من أهميتها التجارية، فقد تلقت حماية السفن الحربية الروسية في المنطقة .

وفضلاً عن ذلك فإن روسيا اعتبرت الخليج سوقاً لمنتجاتها الوطنية خاصة المنسوجات والمأكولات والمكرونة وأدوات المائدة وحبوب السكر والكيروسين والشمع والزجاج والخزف الصيني والخشب . وتطلب تنظيم الخط الخليجي إدخال تعديلات في مواصلات السكك الحديدية داخل روسيا، ونقل وتسليم البضائع في المواعيد المحددة والرسوم الجمركية للملاحة البخارية .

ويجب الملاحظة بأنه في بداية القرن كان الكيروسين من بين الصادرات الرئيسية للخليج . استفسرت وزارة المال الروسية من مجلس إدارة الشركة "عن أجرة شحن الكيروسين من نيويورك إلى منطقة الخليج بواسطة الصهاريج والعلب ومن باتوم إلى الأماكن المذكورة أعلاه"[٣٢] .

كانت للحرب مع اليابان انعكاس سلبي على العلاقات التجارية بين روسيا وبين الخليج وارتفعت أجور الشحن وكان هذا الارتفاع في صالح منافسي روسيا، أي الدول الأوروبية التجارية الأخرى .

الملحق

مجلد ن ن في أرشيف البحرية	رقم المجلد	الموضوع	مجلد	العام
١٤٤٤	١٣٤١	تحديد تواريخ المواصلات بين موانئ البحر الأسود والموانئ الخليجية . الباخرة "كورنيلوف" . أنظر الملف ن ٤٥/١٩٠١	٣٠	١٩٠٠
١٤٨٦	١٥٢	تحديد تواريخ المواصلات والموانئ الخليجية (الباخرة كورنيلوف في محل "أزوف")	٤٥	١٩٠١
١٤٩٤	١٠٤٢	تحديد تواريخ المواصلات بين موانئ البحر الأسود والموانئ الخليجية	٥٦	١٩٠١
١٥٢٠	١١٧٥	اتفاق حول تشغيل المواصلات إلى الموانئ الخليجية	٣٥	١٩٠٢
١٥٢١	١٤٦٧	المواصلات بين موانئ البحر الأسود وموانئ الخليج	٤٠	١٩٠٢
١٥٢٣	١٤٢٥	بناء باخرتين من أجل الخط الفارسي	٤٢	١٩٠٢
١٥٢٨	٤٤٦٤	تحديد تواريخ للمواصلات بين موانئ البحر الأسود وموانئ الخليج	٥٠ الرحلة ٣	١٩٠٢
١٥٤١	٤٤٧٠	اجتماع فوق العادة للمساهمين حول الاتفاق مع الحكومة على تشغيل الخط الخليجي	٧٦	١٩٠٢
١٥٤٨	١٤١٨	مواصلات بين موانئ البحر الأسود وموانئ الخليج	٨٧	١٩٠٢
١٥٤٩	١٤٦١	""	٩١	١٩٠٢
١٥٧٧	٢١٠٩	""	٤٢	١٩٠٣
١٥٨٤	٢١١٣	""	٤٩	١٩٠٣
١٥٩٠	٢٢٦٠	""	٥٧	١٩٠٣
١٦٠٧	١٤٩٩	مواصلات بين موانئ البحر الأسود وموانئ الخليج في عام ١٩٠٤م	٧٩	١٩٠٣
١٨١٤	٤٧١	قوانين نقل الحجاج المسلمين	٤٩	١٩٠٧

الهوامش

١ – مجموعة ن ١٠٧ وقائمة جرد ن رقم ١، ١٨٥٦م – ١٩١٨م .

٢ – المنصب المدني في عهد القيصر الروسي .

٣ – "روسكييه فيدوموستي" المؤرخة ٨ يناير ١٩٠٠م .

٤ – مذكرة مؤرخة ١٦ مارس ١٩٠٠م للشركة الروسية للملاحة والتجارة .

٥ – نفس المصدر كالسابق .

٦ – تقرير الشركة الروسية للملاحة والتجارة المؤرخ ١٦ مارس ١٩٠٠م الذي رفع إلى وزير المال الروسي . (ن ٤٤٨)

٧ – نفس المصدر السابق .

٨ – نفس المصدر السابق .

٩ – نفس المصدر السابق .

١٠ – نفس المصدر السابق .

١١ – تقرير لرومانوف فاسيلي الكسييفتش المؤرخ في ٢٠ أكتوبر ١٩٠٠م .

١٢ – نفس المصدر السابق .

١٣ – تقرير حول الملاحة في الخليج .

١٤ – رسالة مؤرخة في ٢٧ أكتوبر ١٩٠٠م (ن ٢٠٣٢) موجهة إلى سعادة كوفاليفسكي .

١٥ – تقرير للشركة الروسية للملاحة والتجارة المؤرخ في ١٦ مارس ١٩٠٠م الموجه إلى وزير المال الروسي . (ن ٤٤٨)

١٦ – " روسكييه فيدوموستي " ٧ فبراير ١٩٠٠م .

١٧ – تقرير حول الرحلة الاختبارية الأولى للباخرة "كورنيلوف" إلى الخليج الفارسي من ٣ فبراير إلى ١١ مايو ١٩٠١م .

١٨ – نفس المصدر السابق .

١٩ – عقد الاجتماع في ٩ أغسطس ١٩٠١م .

٢٠ – رسالة إلى مجلس الإدارة للشركة الروسية للملاحة والتجارة بتاريخ أول أكتوبر ١٩٠١م .

٢١ – جريدة "التايمز" في تاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٠١م .

٢٢ – المذكرة السرية الموقعة من مدير دائـرة الملاحـة التجاريـة المؤرخة في ١٩ فبرايـر ١٩٠٢م (ن ١١٩٨) .

٢٣ – البود = ١٦,٣٨ كيلو جرام . أو ٣٦ رطلاً .

٢٤ – مذكرة إلى دائرة الملاحة التجارية بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٠٢م .

٢٥ – مذكرة موجهة إلى دائرة الملاحة التجارية بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٠٣م .

٢٦ – تقرير موجه إلى مجلس إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة في ٢٠ أكتوبر ١٩٠٣م (ن ٣٢ /ب ل ٢) .

٢٧ – رسالة إلى مجلس إدارة الشركة الملاحية المؤرخة في ١٦ يوليو ١٩٠٤م (ن ٤٢٢/بي إل ٣) .

٢٨ – مذكرة لدائرة الملاحة التجارية .

٢٩ – رسالة من وزارة الخارجية الروسية إلى مجلس إدارة الشركة الروسية للملاحة في تاريخ ١٤ مايو ١٩٠٤م (ن – ٨٧٣) .

٣٠ – مذكرة بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٠٤م .

٣١ – رسالة إلى مجلس الإدارة للشركة بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٠٤م . سان بطرسبرج .

٣٢ – رسالة إلى مجلس إدارة الشركة بتاريخ ١٩ مارس ١٩٠٢م .

تصحيح لأخطاء غير

في ترجمة كتاب

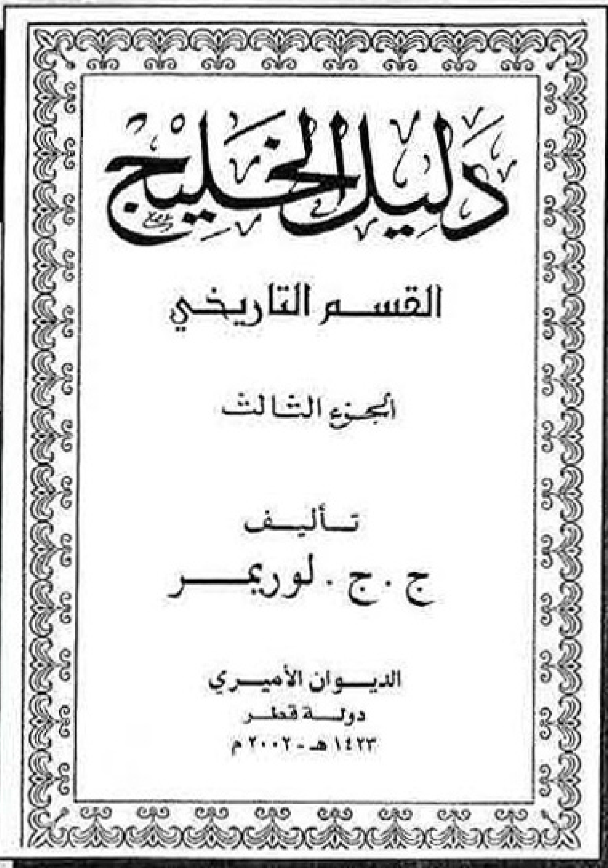
دليل الخليج

لـ "لوريمر"

إعداد : الدكتور علي أباحسين

يعتبر كتاب لوريمر من أهم وأشهر المراجع عن الخليج العربي . فقد حشد المؤلف في أجزاء مجلده السبعة كل ما أمكن حشده عن الخليج تاريخياً وجغرافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً حتى أصبح هو المرجع الأول لكل من يريد أن يبحث أو يكتب عن المنطقة بحكم ما توافر للمؤلف من إمكانات ووثائق لم تكن متاحة لغيره .

مقصودة


دليل الخليج

القسم التاريخي

الجزء الثالث

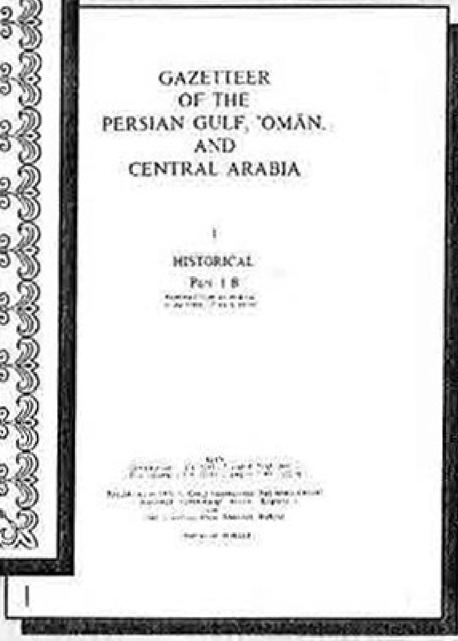
تأليف

ج . ج . لوريمر

الديوان الأميري

دولة قطر

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م


GAZETTEER
OF THE
PERSIAN GULF, 'OMAN,
AND
CENTRAL ARABIA

I

HISTORICAL

Part 1 B

I

ولكن نظراً لأن لغة الكتاب الأصلية هي الإنجليزية، فقد سقط عند الترجمة للعربية في بعض الأخطاء، وهو ما وقفنا عليه ورأينا من واجبنا أن نقدمه للقراء تصحيحاً لبعض هذه الأخطاء . . وقد حصرنا تصحيحاً في هذا المقام على الجزء التاريخي . . وقد يكون من المفيد أن نلم في عجالة بهذه الموسوعة شديدة الأهمية .

وقد عاش "جون جوردون لوريمر" من ١٨٧٠م وتوفي عام ١٩١٤م . وجاء في مقدمة الجزء الأول (التاريخي) الطبعة الثانية بقلم ناشر الطبعة الإنجليزية "ل. بيرد وود" وذلك في سملا بالهند بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩١٤م أنه من الكتب المهمة في تاريخ وجغرافية الخليج في التاريخ الحديث . وإن كان يعكس وجهة نظر من كتب الوثائق التي اعتمد عليها المؤلف . وكما ورد في الصفحة الأولى من الطبعة الثانية والثالثة بأن هذا الكتاب (دليل الخليج) تضمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل رأي المؤلف وحده وهي بذلك لا تعبر بحال من الأحوال عن آراء ووجهة نظر دولة قطر . ونحن نؤيد ذلك .

وجاء في مقدمة الجزء الأول من الطبعة الثالثة المترجمة عام ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ أن (القسم التاريخي) يبدأ من حوالي القرن السادس عشر وينتهي عند أوائل القرن العشرين (نحو أربعة قرون) . وتقع ترجمته في سبع مجلدات أيضا . وقد كلفت حكومة الهند البريطانية المؤلف (لوريمر) ليضع سجلاً تاريخياً وجغرافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً ليكون مصدراً فقط للموظفين الرسميين البريطانيين وذلك بطلب من "اللورد كيرزون" نائب ملك بريطانيا في الهند (١٨٩٩-١٩٠٤م) . وقد انتهى (القسم الجغرافي) قبل عام ١٩٠٨م . أما (القسم التاريخي) فقد طبع عام ١٩١٥م كما طبع القسمان بعد ذلك في كلكتا بالهند في نسخ محدودة .

بدأ "لوريمر" ومعه فريق من الباحثين بجمع الوثائق والمعلومات حول الخليج العربي ووضعت بريطانيا تحت تصرفه وبعثته كل سجلاتها ومعلوماتها ووثائقها .

وتجدر الإشارة إلى أن دولة قطر كان لها السبق في ترجمة (القسم التاريخي) إلى العربية بأمر صاحب السمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر الأسبق - رحمه الله - ونشر عام ١٩٦٧م . أما (القسم الجغرافي) فقد نشر في ١٩٦٩م . وأعيد طباعتهما ثانية بأمر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر السابق عام ١٩٧٦م، وبلغ عدد صفحاته حوالي ستة آلاف صفحة . وجاءت الطبعة الثالثة بأمر صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني والتي هي بين أيدينا . وقد تم تلافي بعض الأخطاء في الترجمة السابقة المطبوعة ١٩٧٦م . ورغم الجهد المشكور للأخوة المترجمين للطبعة الأولى والثانية وتلافي أخطاء الطبعة الثانية من قبل المترجمين، فقد طبع طبعة ثالثة وهذا يدل على اهتمام أولي الأمر بالتراث والتاريخ وتيسير الانتفاع منه للباحثين وطلاب العلم .

ولقد وردت أخطاء في الترجمة في خمس وعشرين صفحة من الجزء الثالث (القسم التاريخي) المترجم للعربية والمطبوع في (مطابع الدوحة الحديثة) وهي آخر طبعة طبعت عام ٢٠٠٢م الموافق ١٤٢٣هـ . وبعد أن طابقنا النص الإنجليزي بالترجمة العربية للجزء الثالث (القسم التاريخي) في الطبعة الثالثة، ندرج بعض الملاحظات للأخذ بها مستقبلاً في الطبعة القادمة .

تصحيح ما ورد ترجمته في الطبعة الثالثة من كتاب (دليل الخليج) الجزء الثالث من (القسم التاريخي) المطبوع عام ٢٠٠٢م .

- ورد في الصفحة ٧٩٢ (السطر ١٧) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٠ (السطر ١٣) فجاءت الترجمة (**خطأ**) وهي : (واستعداده للعمل لحسابها في حرب القواسم التي حان أوان التفكير فيها) .

ith Masqat
ul was
ith the
awasimi,
817.

into that of any other district. At Büshehr Rahmah was well received by Shaikh Muhammad, the Governor, who assigned a quarter for his residence and that of his dependents; nor did he delay to visit the British Resident, to whom he professed friendship for the British Government and readiness to be employed in fighting the Qawāsim, whose day of reckoning was now at hand.

Saiyid Sa'id was anxious that Rahmah should become a subject of Masqat and settle in some part of 'Omān; but the pirate, who regarded his patron as disgraced by the failure of the expedition against Bahrain in 1816, declined the proposal. In 1817, however, Rahmah visited Masqat with the object of inducing Sa'id to renew his attempts on Bahrain;

أما الصواب : (واستعداده للعمل لحسابها في حرب القواسم التي حان أوان تصفية حساباتهم) .

- ورد في الصفحة ٨١٦ (السطر ٢٧) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٥٣ (السطر ٨) فجاءت الترجمة (**خطأ**) وهي (ونقل اللوتانتت فريزر مساعد المقيم مضمون ذلك الخطاب إلى الشيخ عيسى بن علي

شخصياً . وأصر الشيخ (عيسى) على أن حقوقه في (البحرين) مازالت شرعية وقائمة . لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لأوامر الحكومة .

of the continent and ordered that he should be made to understand that, if he persisted in a course opposed to their advice and thereby became involved in complications upon the mainland, the consequences would be upon himself, and they would hold themselves free to take such measures with respect to him as they might think necessary. The purport of this letter was communicated to Shaikh 'Isa by Lieutenant Fraser, the Assistant Resident, in person; and the Shaikh, while denying that his rights in Qatar had become invalid or extinct, stated that he bowed to the orders of Government.

Evacuation of Zubarah by the Shaikh of Bahrain, 1895.

The Shaikh afterwards made a request through his Agent that he might be allowed to postpone the withdrawal of his men from Zubarah until the end of the pearl season; but it was not granted. In the neighbourhood of Zubarah, except for a few raids and counter-raids by

أما الصواب : (ونقل الملازم فريزر مساعد المقيم مضمون ذلك الخطاب إلى الشيخ عيسى بن علي شخصياً وأصر الشيخ (عيسى) على أن حقوقه في (قطر) مازالت شرعية لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لأوامر الحكومة) .

فأبدلت ترجمة كلمة (قطر) بكلمة (البحرين) فتغير المعنى كلياً .

— ورد في الصفحة ٨٣٠ (السطر ١) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٧٦ (السطر ١٧) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (لم يترجم ويطبع عنوان السنة ١٩٠٣م) .

830

1903. It was thought that on the occasion of Lord Curzon's visit to Bahrain, in November 1903, Shaikh Ahmad might present himself in person to urge his wish for British protection; and, in view of this contingency, the answer to be given him was discussed between the Indian and British Governments. It was decided by His Majesty's Government that the *status quo* in Qatar, which the Porte on its side had recognised

أما الصواب : (يطبع ١٩٠٣م عنوان للفقرة التي تبدأ بجملة : وكان يظن أثناء زيارة اللورد كيرزن للبحرين في نوفمبر ١٩٠٣م . . .

- ورد في الصفحة ٨٣٤ (السطر ٣٤) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٨٤ (السطر ٢١) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (الوسيل) .

> 1899. Agent in Bahrain, touched at Lúsail and at Wakrah and interviewed Shaikhs Jásim and Ahmad separately.
>
> In November 1905 Captain Prideaux, Political Agent in Bahrain, crossed over to Qatar in a native boat and went to see Shaikh Jásim in his camp at Bú Hasa, about 10 miles inland from Lúsail; here he remained for three days, transacting business with the Shaikh, and had an interview with Násir-bin-Mubarak, the Bahrain refugee and claimant. On his return to the coast Captain Prideaux spent a day with Shaikh

أما الصواب : (لوسيل) .

- ورد في الصفحة ٨٣٦ (السطر ٣) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٨٧ (السطر ٣) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (١٦٠٢-١٧٨٢م) .

> took no steps to carry it into effect.
>
> Conquest of Bahrain from the Persians by the Arabs, 1783.
>
> The recent history of Bahrain may be said to date from 1783, in which year the Persians, then in possession, were expelled from the islands. The Arab horde which drove them out was led by the Shaikhs of the 'Utúb; but it included contingents from numerous tribes of the Arabian mainland.

أما الصواب : (١٦٠٢-١٧٨٣م) .

- ورد في الصفحة ٨٣٩ (السطر ٧) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٩٢ (السطر ٨) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (١٧٨٢م) .

- أما الصواب : (١٧٨٣م) .

- ورد في الصفحة ٨٤٣ (السطر ١٧ و١٨ و١٩) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٩٩ (السطر ١٤) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (جملة أو فقرة من ثلاثة أسطر لم تترجم) .

> frontier in consequence of the gradual advance of the [illegible] on that side, the Wahhābi Amīr reduced his garrisons in Bahrain and Zubārah; and Saiyid Sa'īd of Masqat immediately profited by the opportunity to attack both places. Zubārah was burnt, and in Bahrain the Wahhābi Wakīl was taken prisoner and the 'Utūb were restored to power, but in subordination—so Saiyid Sa'īd afterwards declared—to Masqat. In the same year a desperate action was fought at sea between the 'Utūb of Bahrain and Rahmah-bin-Jābir, of which the result was favourable to the Shaikhs of Bahrain.
>
> In 1814 the 'Utūb of Bahrain, whose interests at this time coincided with those of the Saiyid of Masqat, volunteered to join the latter at [illegible] with a fleet of 15 or 20 sail and a force of 4,000 men for an
>
> (Margin: ... Masqat, 1811. / Short-lived alliance between the 'Utūb of Bahrain and ...)

أما الصواب : هذه الفقرة التي لم تترجم وتوضع بعد كلمة (مباشرة) في السطر ١٤ هي : (حرقت الزبارة . وفي البحرين تم اعتقال الوكيل (السلفي) وأعيد الحكم إلى العتوب ولكنه خاضعا لمسقط . كما أعلن عنه السيد سعيد إمام مسقط فيما بعد) .

- ورد في الصفحة ٨٤٥ (السطر ١٣ و١٤ و١٥) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٠٢ (آخر سطرين من الصفحة ١٠٢) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (وكان موقف شيخ البحرين الذي أيده البريطانيون وضمنوا حكمه سنة ١٨١٦م وعززوه بعد ذلك بدعوته للتجارة مباشرة بين الهند والبحرين) .

> **Close connection between the 'Utūb and the Qawāsim, 1817-1819.**
>
> The attitude of the Shaikh of Bahrain, whose plausible assurances in 1816, backed as they were by an invitation to open a direct trade between India and Bahrain, had convinced the Resident of his attachment to commerce and his aversion for piracy, now became extremely unsatisfactory, and he was shown to be assisting, with grain and every other kind of store, the piratical Qawāsim,—who hourly frequented the ports of the island,—and with whom he had now formed an alliance. In 1817
>
> (Margin: Sale of plundered property in Bahrain.)

أما الصواب : (وكان موقف شيخ البحرين الذي كان قد أعطى ضمانات معقولة وظاهرة في ١٨١٦م مدعمة بالدعوة (إلى الإنجليز) لفتح طريق تجاري مباشر بين الهند والبحرين) .

- ورد في الصفحة ٨٤٥ العنوان فجاءت الترجمة في صفحة ١٠٣ للعنوان في (السطر ١٧) **(خطأ)** وهي : (اتفاقية غير فعالة مع الشيوخ) .

to Kuwait. Nevertheless, on the appearance of the Egyptians in Hasa about the end of 1818, Shaikh 'Abdullah appears to have offered to provide them with sea transport for a force that they proposed to send against Ras-al-Khaimah and the other piratical ports.

In February 1819, a report having been received that several Indian women had been brought from Ras-al-Khaimah and sold in the Bahrain bazaar as slaves, H.M.S. "Eden," Captain Loch, with H.M.S. "Conway" and the H.E.I. Company's cruisers "Benares," "Mercury"

Inoperative agreement by the Shaikh to prevent the

أما الصواب : (اتفاقية غير عاملة مع الشيخ) .

- ورد في الصفحة ٨٤٦ (السطر ٢٥ و٢٦ و٢٧) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٠٥ (السطر ٤) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (كانت سياسة الحكومة البريطانية أيام حملتها على رأس الخيمة ١٨١٩م بشأن البحرين) .

Bahrain affairs in connection with the British expedition against Ras-al-Khaimah, 1819-1820.

British policy of neutrality in regard to Bahrain.

When in 1819 an expedition was despatched from Bombay against the piratical stronghold of Ras-al-Khaimah, the policy of the British Government in regard to Bahrain was defined as one of complete abstention from interference between rival claimants to possession; and it was resolved to inform the 'Atbi Shaikh that, so long as he restrained his subjects from piracy, he would reap the advantages of a friendly neutrality

أما الصواب : (كانت سياسة الحكومة البريطانية أيام شن حملتها من بومباي على رأس الخيمة وهي مركز قوي للقراصنة (للغزاة) ١٨١٩م) .

- ورد في الصفحة ٨٤٧ (السطر ٣٣) من النص الإنجليزي ما ترجمته في آخر سطر من صفحة ١٠٦ فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (وتم بالفعل تسليم مبلغ ١٢ ألف دولار لحساب الجزية المقترحة التي لا يمكننا الشك فيها على أي نحو) .

> detained and restore some Bahraini vessels and other property which he had taken at sea on their way from India. Both parties appear to have stipulated for a guarantee of this arrangement by the British Government, but none was apparently obtained; later, however, an instalment of $12,000 seems to have been actually remitted by the 'Utub to Masqat on account of the promised tribute; and as to the fact of the tribute having been promised, at least, there can be no doubt whatever.
>
> Some ten Qasimi craft which were liable to destruction by the British armament at Ras-al-Khaimah having taken refuge in Bahrain,

أما الصواب : (وتم بالفعل تسليم مبلغ ١٢ ألف دولار لحساب الضريبة أو الإتاوة المقترحة التي لا يمكننا الشك في أنها كانت وعداً على الأقل) .

- ورد في الصفحة ٨٤٨ (السطر ٣) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٠٧ (السطر ٨ و٩ و١٠) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (وواضح أن هذه الاتفاقية لم تكن إلا اتفاقية مؤقتة ولا يقصد بها أكثر من تسهيل القضاء على مهنة القراصنة على طول الساحل) .

> 848
>
> authorised to do so by the British authorities. The agreement, it is obvious, was merely temporary, and it must have been meant to facilitate the destruction of piratical craft which was then proceeding upon the whole Pirate Coast.
>
> Preliminary Treaty of Peace, 5th February 1820.
>
> On the 5th of February 1820 a Preliminary Treaty of Peace, binding Salman-bin-Ahmad and 'Abdullah-bin-Ahmad, Shaikhs of Bahrain, to prevent the sale of plundered goods, likewise the supply of necessaries to pirates,

أما الصواب : (وواضح أن هذه الاتفاقية لم تكن إلا اتفاقية مؤقتة ولا يقصد بها أكثر من تسهيل تدمير سفن القراصنة (الغزاة) على طول الساحل) .

- ورد في الصفحة ٨٤٩ (السطر ٢) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٠٨ (السطر ٢٠) فجاءت الترجمة (**خطأ**) وهي : (فنقلتها هي وبحارتها لنجدة رعايا الشيخ الذين اعترف بأنهم ارتكبوا عملاً آثماً) .

> entertained against the ...
> appearing to be one of piracy, the Batil and her crew were captured in the Shatt-al-'Arab by H.M.S. "Sophie" and conveyed to Bombay. In this case the Shaikh of Bahrain made no attempt to shield his subjects, whom he admitted to have been guilty of an impropriety; but the charge of piracy was not established in the court of the Recorder of Bombay; and, the accused Bahrainis and their vessels having been released, a suitable explanation was made to the Shaikh.
> In August 1866 a case occurred of petty aggression by a Bahrain Baghlah at Mokha upon a vessel belonging to that port; but a little ... on the arrival of the offending Baghlah at Masqat, the matter was

أما الصواب : (فنقلتها إلى بومباي وهذه المرة لم يحاول الشيخ ستر رعاياه) .

- ورد في الصفحة ٨٥٠ (العنوان) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١١١ (العنوان ناقص في الفقرة الأخيرة) فجاءت الترجمة (**خطأ**) وهي : (العنوان لم يترجم) .

أما الصواب : (عنوان) وهو (١٨٢٥م) .

- ورد في الصفحة ٨٥٣ (السطر ١١ و١٢) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١١٥ (السطر ١٩) فجاءت الترجمة (**خطأ**) وهي : (ويبدو منتتطور الأحداث أن هذه الجهود لم يقدر لها النجاح) .

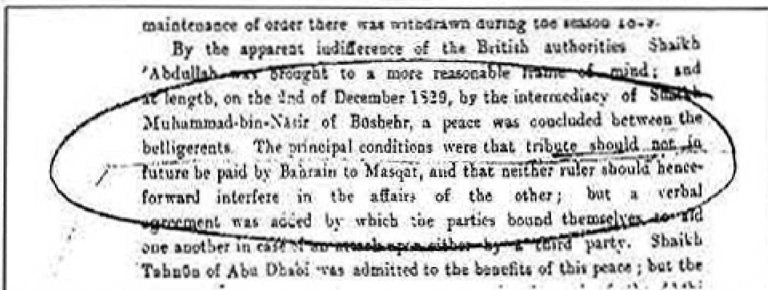
> Qatar an ; the ...
> sunken boats filled with stones; all fortifications had been placed in a state of repair; and a large number of Arabs had been recruited from every direction for the defence of the islands. Meanwhile, too, efforts had been made by the 'Utub to bribe the Abu Dhabi Shaikh to remain neutral, and from the event it may be inferred that they had not been altogether unsuccessful.
> The shore opposite to the anchorage of the Masqat fleet was at first watched by a force under Khalifah-bin-Salman, the junior Shaikh of ...

أما الصواب : (ويبدو من تطـور الأحداث أن هــذه الجهود قــدر لها النجاح إلى حد ما) .

- ورد في الصفحة ٨٥٤ (العنوان وسط الصفحة) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١١٨ (وسط الصفحة) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (تتابع الأحداث ١٨٢٨-١٨٢٩) .

أما الصواب : **(نتائج الأحداث ١٨٢٨-١٨٢٩م) .**

- ورد في الصفحة ٨٥٦ (السطر ٧) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٢٠ (السطر ١٩) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (وكانت أهم شروطها أن تقوم البحرين مستقبلاً بدفع الجزية) .


maintenance of order there was withdrawn during the season 18-9.

By the apparent indifference of the British authorities Shaikh 'Abdullah was brought to a more reasonable frame of mind; and at length, on the 2nd of December 1829, by the intermediacy of Shaikh Muhammad-bin-Nasir of Bushehr, a peace was concluded between the belligerents. The principal conditions were that tribute should not in future be paid by Bahrain to Masqat, and that neither ruler should henceforward interfere in the affairs of the other; but a verbal agreement was added by which the parties bound themselves to aid one another in case of an attack upon either by a third party. Shaikh Tahnun of Abu Dhabi was admitted to the benefits of this peace; but the

أما الصواب : **(وكانت أهم شروطها أن لا تقوم البحرين مستقبلاً بدفع الضريبة(الإتاوة)) .**

- ورد في الصفحة ٨٥٧ (السطر ١٠) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٢٢ (السطر ٩) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (ضمان جياد سيد عمان) .

أما الصواب : (ضمان حياد سيد عمان) .

- ورد في الصفحة ٨٥٧ (السطر ٣٢ و٣٣ و٣٤) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٢٣ (السطر ٧) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (دون أقرباءه الأدنيين ودون أبناءه أيضا) .

1835

seems thereafter to have returned to Bahrain. By the death of his nephew and colleague Shaikh Khalifah-bin-Salman, which occurred on the 31st of May 1834, Shaikh 'Abdullah soon afterwards became sole ruler of Bahrain; but so headstrong and impatient of his authority did his near relations, including his sons, now become, and so corrupt was his partiality, so undue his leniency and so excessive his general misgovernment when left to himself, that the internal affairs of the Shaikhdom soon began to wear a most serious aspect.

أما الصواب : (مما نفد صبر أقرباءه بل وأبناءه أيضا) .

- ورد في الصفحة ٨٥٨ (السطر ٣١) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٢٤ (السطر ما قبل الأخير) فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (وهبط إيجار المنازل إلى القيمة التي كانت عليها منذ سنوات قليلة) .

Internal affairs of Bahrain, 1836-38.

Meanwhile, however, the lot of the Shaikh's subjects in Bahrain was growing, from day to day, less endurable; and the islands were being rapidly depopulated by emigration. The towns were in a state of ruin and decay, and house-rents had fallen to one-eighth of what they had been only a few years before. Six sons of the Shaikh pretended to exercise separate and independent power, and their attention was chiefly devoted to extracting money from merchants and other men of means. The ordinary subject in Bahrain had no acknowledged rights; he

أما الصواب : (وهبط إيجار المنازل إلى ثُمن (⅛) القيمة التي كانت عليها منذ سنوات قليلة) .

- ورد في الصفحة ٨٥٩ (عنوان جانبي وسط الصفحة لم يترجم) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٢٦ (السطر ٢) .

reform their conduct for a time.

British relations with Bahrain, 1830-1839.

Insult to the British Residency Agent in Bahrain, 1834.

One consequence of these differences in the Āl Khalifah family was an insult offered to the native Agent of the British Government in Bahrain, which almost brought about a rupture of relations between Britain and the Bahrain Government. The sons of the Shaikh, being aware that a sum of money on account of mercantile transactions was due by the Agent to their father, claimed that it should be paid to themselves instead; and in this matter by dint of abuse and ill-treat-

أما الصواب : ترجمة العنوان (إهانة المقيمية في البحرين ١٨٣٤م) .

- ورد في الصفحة ٨٦٨ (وسط الصفحة السطر ٢١ و٢٢) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٤١ (السطر ٦ و٧) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (لكنهم حتى تلك اللحظة لم يكونوا قدموا إليه أية معونة مادية) .

> Wahhabis. ... Wahhabi Amir; and on the other three-fourths of the population of Saihat, of which place the headman had been arrested by 'Umar-bin-'Ufaisan, the Wahhabi Governor of Hasa, had migrated to Bahrain, and a blockade of the Hasa coast was maintained by the navy of Bahrain. These circumstances inclined the Wahhabis to make common cause with Shaikh Muhammad; but for the moment they were unable to afford him material assistance.
>
> Permission given to 'Isa-bin-Tarif ... At this juncture 'Isa-bin-Tarif, the Al Bin-'Ali fugitive, and Bashir-bin-Rahmah visited the British Resident at Bushehr together and reported

أما الصواب : (لكنهم حتى تلك اللحظة لم يكونوا قادرين على تقديم أية معونة مادية) .

- ورد في الصفحة ٨٧٢ (السطر ١٨) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٤٧ (السطر ١٨) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (وحدثت محاولة غير هامة) .

أما الصواب : (وحدثت محاولة غير مغرضة) .

- ورد في الصفحة ٨٩٤ (السطر ٣) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ١٨٣ (السطر ١٥) فجاءت الترجمة **(خطأ)** وهي : (لكن هذه الحركة بدأت وانتهت – فيما يبدو – بعدة اشتباكات بحرية (صغيرة)) .

> In June 1868 the injured Qataris took the law into their own hands and attempted a retaliatory attack on Bahrain; but the movement began and ended, it would seem, with a somewhat severe naval engagement.
>
> Action of the British authorities with reference ... The secrecy and rapidity with which the campaign of the Shaikhs of Bahrain and Abu Dhabi against Qatar was arranged and carried out had deprived the British Government of an opportunity for prevention or

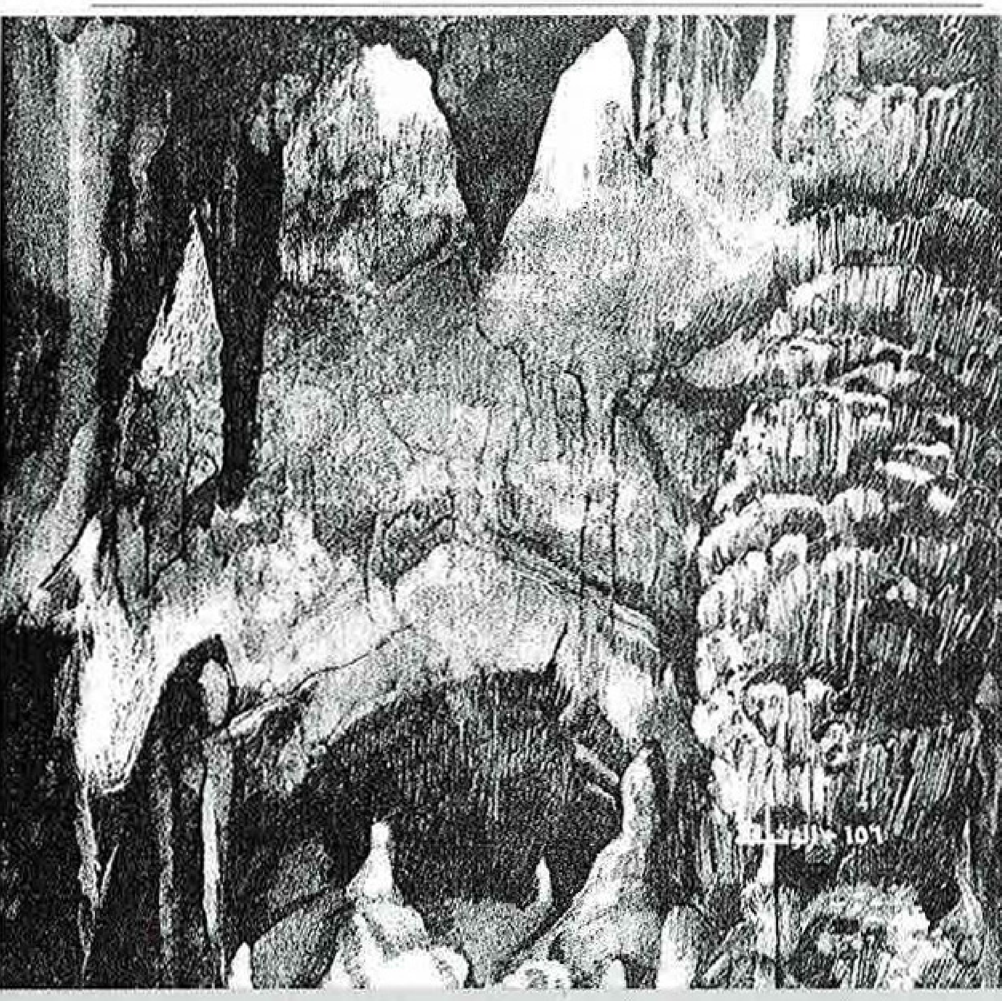
أما الصواب : (لكن هذه الحركة بدأت وانتهت – فيما يبدو – بعدة اشتباكات بحرية (عنيفة)) .

- ورد في الصفحة ٩٠٦ (ترجمة ناقصة في الهامش) من النص الإنجليزي ما ترجمته في صفحة ٢٠٢ ناقص الترجمة بعد السطر الثالث من الهامش فجاءت الترجمة (خطأ) وهي : (نظراً لاحتمال انسحاب الأتراك من الاحساء) .

> ment of India, who in 1873 * had adopted the view that the Shaikh of Bahrain had no [illegible] on the mainland of Qatar and that his rights [illegible] character, the action of [illegible] Resident was
>
> * In 1871 the Government of Bombay requested Colonel Pelly to report on the question of sovereignty over Qatar, but Colonel Pelly asked permission to defer doing so as there was a probability of the Turks withdrawing from Hasa. In 1873 Colonel Ross reported † that the whole coast of Qatar had fallen under Turkish influence, and he was instructed by the Government of India to restrain the Shaikh of Bahrain from interference on the mainland on account of the doubtful character of his alleged rights and influence.
>
> † Vide page 813 ante.

أما الصواب : (وفي ١٨٧٣م قدم الكولونيل روس تقريراً بأن ساحل قطر بأكمله وقع تحت نفوذ العثمانيين وأنه تلقى تعليمات من حكومة الهند أن يكبح شيخ البحرين من التدخل في البر الرئيسي بسبب حقوقه ونفوذه التي كانت مشكوك فيها) .

آثار البحرين في العصور الحجرية





بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

يطلق على أقدم أزمان ما قبل التاريخ مصطلح "العصور الحجرية" وهي : الأزمان التي تؤلف القسم الأعظم من حياة الإنسان . أما إطلاق تسمية "الحجرية" على تلك الأزمان، فيعود إلى الجانب التكنولوجي منها ؛ لأن الإنسان اقتصر خلالها على صنع أدواته وآلاته الساذجة من الحجارة، واستعمل كذلك العظام والخشب ؛ أي أن الإنسان لم يكن يعرف المعادن والتعدين بعد[1] .

ويقسم المؤرخون العصور الحجرية إلى أربعة أقسام رئيسية هي :

١ – العصر الحجري القديم[2] : ويمتد من سنة ٦٠٠,٠٠٠ ق.م إلى سنة ٨٠,٠٠٠ ق.م

٢ – العصر الحجري الأوسط[3] : ويمتد من سنة ٨٠,٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٠,٠٠٠ ق. م

٣ – العصر الحجري الحديث[4] : ويمتد من سنة ١٠,٠٠٠ ق.م إلى ٥٥٠٠ ق.م .

٤ – العصر الحجري المعدني[5] : ويمتد من سنة ٥٥٠٠ ق.م إلى سنة ٢٧٠٠ ق.م .

لقد عثر الأثريون على أدوات وآلات حجرية بحرينية تعود إلى تلك العصور الموغلة في القدم، يمكن تصنيفها على النحو التالي :

١ – الآلات الحجرية

اعتمدت صناعة الآلات والأدوات في معظم عصور ما قبل التاريخ على الحجارة بالدرجة الأولى ؛ لأن الحجارة كانت المادة الرئيسية التي صنع منها الإنسان أكثر ما يحتاجه من الأدوات المنزلية، ومن أسلحة الصيد والقتال . وفضلاً عن الحجارة، استعمل الإنسان القديم الخشب والعظام والقرون والعاج والأصداف أيضاً، ولكن معظم الآلات والأدوات التي صنعها من هذه المواد العضوية، بليت في المواقع الأثرية ؛ بسبب الأملاح والرطوبة، والقليل الذي وصلنا منها، أصابه التلف في أغلب الأحوال .

لقد اعتاد الأثريون على تصنيف الآلات الحجرية حسب طريقة أو طراز صناعتها ؛ كما اعتادوا تسميتها باسم المواقع التي اكتشفت فيها أول مرة . أما الصخور التي استفاد منها الإنسان في صنع الآلات، فهي الصخور التي تتوفر فيها الصلابة والقوة وسهولة التشظية، مثل حجر الصوان، والزجاج البركاني، وحجر الرمل والصخور البركانية . وهناك طريقتان لصنع الآلات الحجرية هما : طريقة صناعة آلات النواة، وطريقة صناعة آلات الشظايا، وقد تفرعت من هاتين الطريقتين العامتين طرق متعددة، ظهرت في الصناعة الواحدة، وتحت تأثير التطـــور الزمني والخصائص الإقليمية[٦]، أهمها :

(أ) آلات النواة :

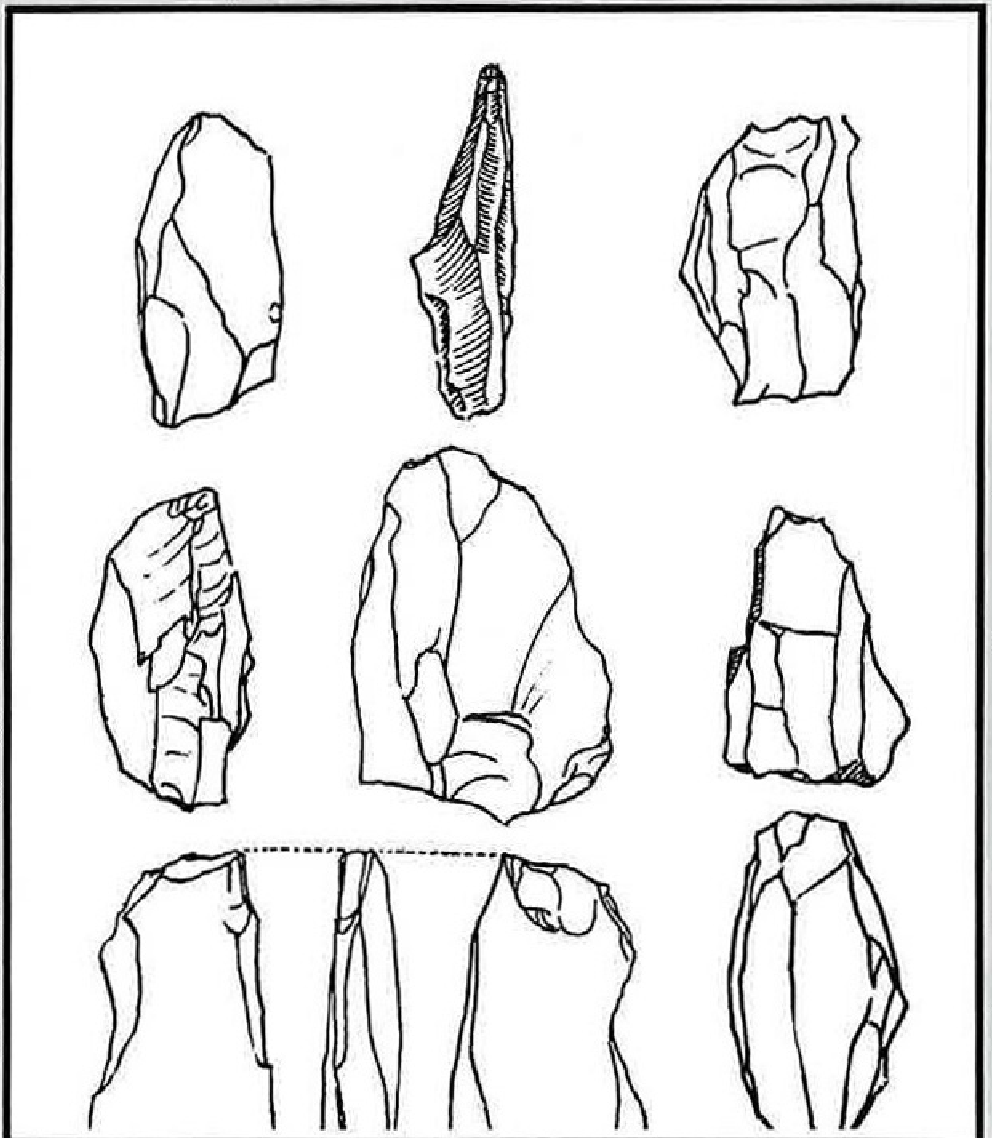
هي آلات حادة في جانب واحد أو جانبين، تصنع من لب الحجارة، أو من نواتها بعد كسر قشرتها الخارجية، وتحويل النواة إلى آلة لها شكل القلب أو اللوزة، وتبدو هذه الآلة ذات نهاية مدببة وحافات حادة، تدور أحياناً حول محيط الآلة . هذه الآلة هي الفأس اليدوية التي استخدمت في جميع الأغراض، كالقطع والحفر والتقشيط والتهشيم والفرم، وصنعت نماذجها

الأولى بشكل القلب من الحصى والصخور البركانية . وبالرغم من أن الإنسان صنع في ذلك الزمن الشظايا المهملة من صنع آلات النواة ؛ فقد بقيت هذه الفأس اليدوية، الآلة الشائعة في عدة إنسان العصر الحجري القديم وكانت تستعمل لسحق الأشياء، وسلخ وفصل اللحوم عن العظام، والحفر والقشط والتثقيب[٧] .

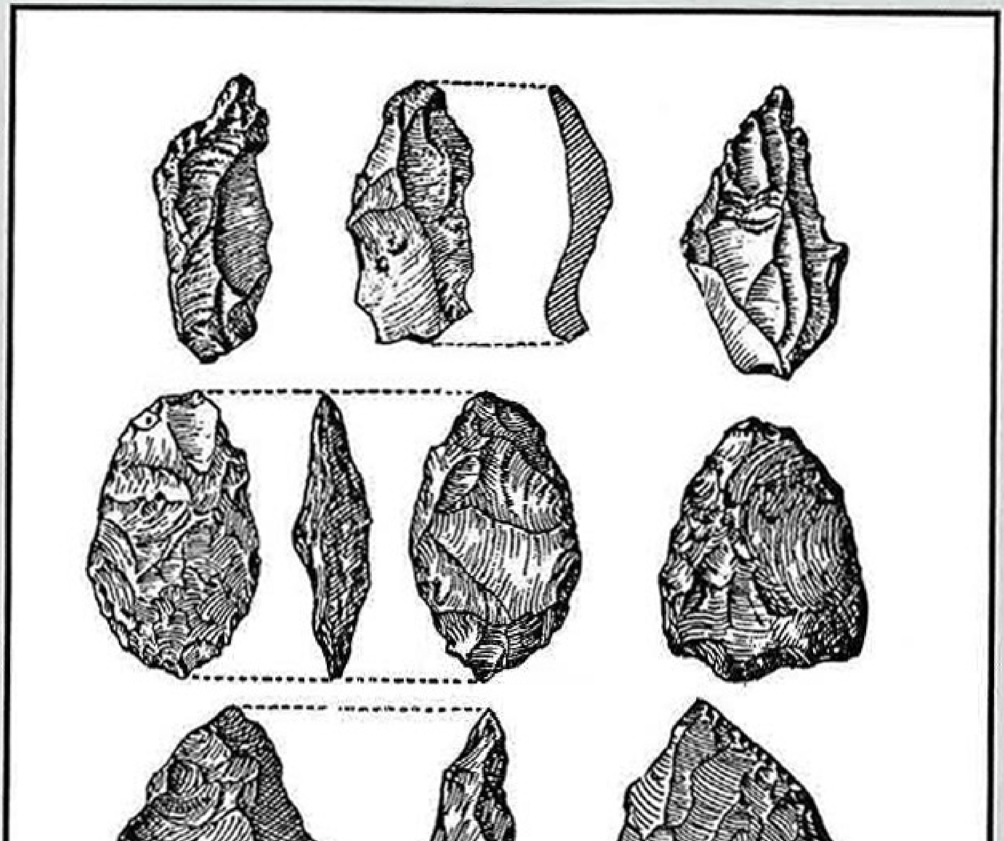
لقد وجدت آلات من هذا الطراز في مواقع عدة من البحرين، تعود إلى العصر الحجري القديم، ويذكر أن سكان البحرين عاشوا على ما يصطادون من حيوانات، وفي مقدمتها الأسماك، وقد عثر على أدوات مصنوعة من حجر الصوان، استعملها أولئك الصيادون لتقطيع لحوم الحيوانات التي يصطادونها[٨] . كما عثر في البحرين أيضاً على مواقع عند زلاقة ومناطق جنوب وسط الجزيرة، تعود إلى العصر الحجري القديم . أما غالبية الأدوات التي وجدت فهي أسلحة وقاشطات، من صنع واستعمال صيادين، عاشوا في منتصف ذلك العصر . وتظهر هذه الأدوات علاقة البحرين مع حضارات العصر الحجري الأول للمنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية[٩] .

(ب) آلات الشظايا :

تصنع هذه الآلات بتحوير الشظية المنفصلة من الصخور، بالضرب أو بتكسير قطع صغيرة جداً من حافات الشظية بآلات مدببة، لتصبح حادة مسننة . وتتميز الشظايا التي صنعها الإنسان بسطوح ناعمة ؛ بسبب الاستعمال وتسوية ما تعرج منها، بينما تكون الشظايا الطبيعية ذات سطوح خشنة وتظهر على هذه الشظايا علامات الكسر، وتخلو الشظايا الطبيعية من ذلك . والشظايا المصنوعة لها شكل خاص، أما الشظايا الطبيعية فليس لها شكل معين . والشظايا المصنوعة ذات حافات حادة ومهذبة، أما الشظايا الطبيعية، فليس لها مثل هذه الحافات . واستعملت هذه الآلات المشظـاة لصيد الحيوانات، ولفصل لحومها، وسلخ جلودها[١٠] . وفي موقع "المرخ" بالبحرين[١١] عثر على أدوات مصنوعة من شظايا سميكة، جربت عملية تشظيتها بواسطة الطرق بالمطارق . وأما لون الصوان فأرجواني غامق[١٢] .



أيادي فئوس من موقع جنوب هضبة آري من الصوان البني تعود لحضارة العصر الحجري القديم الأوسط



أدوات حفر من موقع بسطح هضبة صخرية جنوب دخان تعود للعصر الحجري القديم الأوسط

(ج) الآلات الحجرية الدقيقة :

هي في الأصل شظايا، ولكنها صغيرة الحجم ودقيقة الصنع، منظمة الشكل كالهلال والمعين والمثلث . لقد كانت تلك الشظايا تثبت بمفردها أو بمجاميع منها بواسطة القيـــر، وتشكل في مقابض خشبية، تصنع منها آلة خاصة كالسهم المسنن والرمح، ومنجل الحصاد، ويتراوح زمن ظهور هذه الآلات إلى ١٥،٠٠٠ سنة مضت[١٣] .

وفي موقع يعود للعصر الحجري الحديث بالبحرين، يقع جنوب "دخان" عثر على مائتي رأس من رؤوس السهام المسننة المصنوعة من الصوان مع الكثير من الكاشطات والفؤوس[١٤] .

٢ - الفخار

عندما نقول "الفخار"، فإننا نعني به كل جسم يصنع من الطين، سواء أضيفت إليه مواد أخرى أم لم تضف . فكل شكل فخاري يمر بمرحلة التشكيل، ثم التجفيف، وأخيراً التقوية أو التصلب بالحرارة، وهذه العملية الأخيرة هي التي تحول الطين إلى فخار . أما الأشكال التي تجفف بالتعريض للشمس، فإنها تتصلب إلى درجة معينة، ولكنها تتحلل إلى مادتها الأصلية "الطين" عند ملامستها للماء . وفي حال تعرضها إلى حرارة درجتها ١٣٠٠ْ مئوية أو أكثر، فإن عدداً من التغيرات الكيميائية والفيزيائية تحدث فيها، ويصبح من المستحيل إعادة هذا الشكل إلى مادته الأصلية[١٥] . ويعد الفخار صناعة عريقة ذات تقنية دقيقة وعالية ؛ لما أضافته عليه الحضارات التي مرت عبر العصور[١٦] .

لقد صنع الإنسان الأواني الفخارية أول الأمر باليد مباشرة من غير آلة تساعده على سرعة الإنتاج وجودته، لكنه لم يلبث أن توصل في العصر الحجري المعدني إلى استعمال دولاب الفخار والكئوس الفخارية .

ودولاب الفخار – الذي عثر عليه في البحرين، كما سنرى لاحقاً – عبارة عن قاعدة خشبية مستديرة، تتصل بعجلة دوارة . وبعد أن يوضع الطين على القاعدة الخشبية، يدير صانع الفخار العجلة فتدير معها القاعدة، وكتلة الطين التي عليها، وعندئذ يبدأ الصانع بتحريك كتلة الطين بأصابع يديه، على غرار ما يفعله اليوم صانعو الخزف أو "الفخار" . لقد أدى استخدام دولاب الفخار أو "العجلة" إلى تقدم وسائل المواصلات، مثل العربات المزودة بالعجلات التي تجرها الحيوانات، والتي ظهرت أول الأمر في بلاد الرافدين، وانتقلت إلى الخليج العربي، كما أدى ذلك إلى تقدم وسائل النقل المائية، مثل السفن الشراعية[١٧] .

إن الفخار يحظى بأهمية خاصة من قبل علماء الآثار لأسباب عدة، أهمها :

[أ] أن الفخار من العلامات المميزة للعصر الحجري الحديث، وظهور القرى الزراعية الأولى .

[ب] يعد الفخار من أهم الوسائل التي يستخدمها الأثريون، للتمييز بين أدوار العصر الحجري الحديث نفسه ؛ نظراً لاتصاف كل دور منها بنوع خاص من الفخار يختلف عن سواه من حيث الجودة والشكل واللون والزخرفة[١٨] .

وفي موقع "المرخ" بالبحرين، عثر على فخار ملون وغير ملون مصنوع على الدولاب الفخاري الذي أشرنا إليه، يعود تاريخه إلى العصر الحجري المعدني (٥٠٠٠ ق.م – ٣٥٠٠ ق.م) . كما عثر في الموقع نفسه على صناعات فخارية أخرى، على رأسها الأقراص الفخارية المثقوبة[١٩] . وعثر في البحرين أيضاً على آلات صخرية تشابه الآلات الصخرية التي وصلتنا من حضارة العبيد[٢٠] ولها علاقة بفخار هذا العصر، الذي يتميز بأنه جيد الحرق، بلون أصفر/برتقالي، رملي، وأصفر/برتقالي مائل إلى الخضرة[٢١] .

الخلاصة :

نستخلص مما تقدم في إطار بحثنا عن آثار البحرين في العصور الحجرية جملة حقائق أساسية :

١ – عثر الأثريون على أدوات وآلات حجرية تعود إلى العصور الحجرية : القديم والوسيط والحديث والمعدني .

٢ – عثر الأثريون في "زلاقة" و "المرخ" على أدوات حجرية كالفئوس والقاشطات، تشبه التي كانت مستعملة في شبه القارة الهندية، مما يدل على وجود صلات تجارية بين البحرين وتلك الأقطار .

٣ – عثر في موقع "المرخ" على "دولاب الفخار"، مما يدل على أن سكان البحرين القدماء استخدموه في صناعة الأواني والأطباق والكؤوس الفخارية .

ويبقى باب البحث مفتوحا عن تاريخ البحرين في العصور الحجرية .

عبد الجبار محمود السامرائي

باحث في التاريخ

المصادر والمراجع والشروح

١ – طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص١٦٦ .

٢ – العصر الحجري القديم : يعد أطول العصور الحجرية زمناً، عاش الإنسان في ذلك العصر على شكل أسر داخل المستوطنة الواحدة، وكان أعضاء المستوطنة يتعاونون على صيد الحيوانات الوحشية، وجمع الثمار والحبوب لتوفير الغذاء اللازم، حيث كان الإنسان يعيش على جمع القوت، ولم يعرف الزراعة بعد، لذلك عرف ذلك العصر أيضاً بـ "عصر جمع القوت" وكان الإنسان يصنع أدواته من الحجارة، مثل الفؤوس والسكاكين والمقاشط، لفصل لحم الحيوان عن جلده وما إلى ذلك من آلات مصنوعة من عظام الحيوان وقرونه مثل الحراب المسننة وغيرها، كما عرف الإنسان استعمال النار ثم توليدها والإفادة منها في ذلك العصر .

٣ – العصر الحجري الأوسط : يعد عصر انتقال من الصيد والالتقاط "جمع القوت" إلى الرعي والزراعة "إنتاج القوت"، واستمر الإنسان من خلاله يصنع أدواته من الحجر، ولكن بدقة أكبر ؛ إذ صنع أدوات لحصد الحبوب البرية، مثل المناجل، كما صنع المدقات والهواوين ورحى الطحن الحجرية . وبقي الإنسان يعتمد في عيشه على الصيد وجمع الحبوب البرية، لكنه بدأ يتعلم مبادئ الرعي وتدجين بعض الحيوانات، ولاسيما الكلب الذي استخدمه للحراسة .

٤ – العصر الحجري الحديث : ويسمى أيضاً "عصر اكتشاف الزراعة" كما عرف بـ "عصر إنتاج القوت" أو "عصر الثورة الزراعية" ؛ إذ ظهرت خلاله أولى القرى الزراعية، حيث المناخ الملائم والأمطار الغزيرة . وقد اضطر الإنسان إلى الاستقرار لانتظار نمو الزرع، وحصد المحصول، وبالتالي ترك حياة التنقل . وكان استقراره عاملاً في تبلور بعض المعتقدات الدينية عن القوى الخفية في مظاهر الطبيعة،

ولاسيما تلك التي لها علاقة بالخصب والتكاثر . ولأن إنسان ذلك العصر لم يعرف المعادن بعد، فإنه صنع أدواته المنزلية من الحجارة والطين، وصنع المناجل من شظايا حجر الصوان .

٥ — العصر الحجري المعدني : يشمل الأعصر الحضارية الأخيرة من فترة العصر الحجري، حيث تقدمت الصناعات المختلفة فأخذ الإنسان يؤسس بداية الحضارة الناضجة وكانت حضارة ذلك العصر تعتمد على استخدام ثلاثة اكتشافات أساسية وهي : اكتشاف المعادن، كالنحاس والقصدير والذهب والفضة والرصاص، ثم اكتشاف المحور الدوار أو اللولب، وأخيراً تم اختراع مبادئ الكتابة، وصنع الفؤوس الحجرية المدببة لحرث التربة، واستخدم المدق لسحق الحبوب، وعرف الإنسان كيف يخبز الخبز في تنور من الطين، كما صنع من الطين أقراصاً دائرية للمغازل، وخزن الحبوب في جرار كبيرة كروية الشكل .

٦ — د. تقي الدباغ، الآلات الحجرية، حضارة العراق، هيئة كتابة التاريخ، بغداد، ١٩٨٥م، جـ ١، ص١٠٠-١٠١ .

٧ — المرجع نفسه .

٨ — د. سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص٥٧ .

٩ — المرجع نفسه، ص٦٣ .

١٠ — د. تقي الدباغ، مرجع سبق ذكره، ص١٠١-١٠٢ .

١١ — المرخ : موقع يقع على هضبة منخفضة إلى الغرب، تشرف على منخفض واحة شمالي قرية "بير زكريت" .

١٢ — د. تقي الدباغ، مرجع سبق ذكره .

١٣ — المرجع نفسه، ص١٠٣ .

١٤ — د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٧٣-٧٤ .

١٥ — دورا م. بيلينكتون، فن الفخار صناعةً وعلماً، ترجمة عدنان خالد وأحمد شوكت، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٤م، ص٧ .

١٦ — المرجع نفسه، من مقدمة المترجمين، ص٥ .

١٧ — د. فاضل عبد الواحد علي وآخرون، التاريخ القديم للوطن العربي، العراق، وزارة التربية، مطبعة الصفدي، عمان — الأردن، ط ٩، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٩-٢٠ .

١٨ — نخبة من المؤلفين، تاريخ العراق قديمه وحديثه، طبع شركة الوفاق، بغداد، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٧ .

١٩ — د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٧٦ .

٢٠ — عصر العبيد : نسبة إلى تل العبيد الذي يقع على بعد ثمانية كيلومترات إلى الغرب من "أور" في جنوب العراق، حيث عثر على فخاره المميز هناك لأول مرة، وفيه بدأت أول قرية زراعية بحدود نهاية الألف الخامس قبل الميلاد . بدأ عصر العبيد في حدود سنة ٤٣٠٠ ق.م وانتهى في حدود سنة ٣٥٠٠ ق.م .

٢١ — د. سامي سعيد الأحمد، مرجع سبق ذكره، ص٧٦ .